

وزارة الثقافة



إصدارات خاصة



# محمد عودة

تقديم

بهاء ظاهر

رحلة في قلب نهر

حكايات هندية



رحلة في قلب نهر

وصوراً أخرى من الهند



# رحلة في قلب نهر وصوراً أخرى من الهند

محمد عودة

وزارة الثقافة



تعنى بنشر الأعمال الفكرية والفلسفية والأعمال  
الخاصة لأبرز الكتاب في عصرنا والحاضر

### • هيئة التحرير •

رئيس مجلس الإدارة  
ورئيس التحرير

د. أحمد نوار

مدير التحرير

عماد مطاوع

الأراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة  
ول تعبر عن رأي وتوجه المؤلف في المقام الأول.

• حقوق النشر والطباعة محفوظة للهيئة العامة للقصور الثقافية.  
• يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن  
كتابي من الهيئة العامة للقصور الثقافية أو بإشرافه إلى الغير.

## مقدمة الإصدارات الخاصة

تصدرها  
الهيئة العامة للقصور الثقافية

رئيس مجلس الإدارة  
د. أحمد نوار  
أمين عام النشر  
سعد عبد الرحمن  
الإشراف العام  
محمد أبو المجد  
الإشراف الفني  
د. خالد سرور

• مجلة في قلب نابو

وسمى الخزان من الهبات

مجلد عود

• الطبعة الثانية

الهيئة العامة للقصور الثقافية

م 3207

324 ص. 17 + 22 م

• تصميم الغلاف

أحمد الجنيني

• الترجمة الفورية

محمد أحمد عبد القادر

• رقم الإيداع: 177/ 1- 1

• الرقم الدولي: 3- 520- 437- 977

• الترجمات

باسم / مدير التحرير

على العنوان الثاني: 14 شارع لندن

ساحل - القصير - القاهرة

القاهرة - رقم بريدي 1561

ت 27047891 (دائلي 80)

• الطباعة والنشر

شركة النيل للطباعة والنشر

ت 2804096

**رحلة في قلب نهر**

---

**وصور أخرى من الهند**

---



9	حلم محمد عودة الباقي
21	بدلاً من مقدمة
25	رحلة في قلب نهر
33	صور قديمة
41	نهر.. الطريق الطويل
53	كمالاً
61	مذكرات سجن
71	يوميات معالي الوزير
79	أغنية من الممر
97	راقصة هندية
103	ثورة.. إقبال
111	الفشل المزدوج
123	فشل باكستان
141	شنكر.. حزب الأبطال
147	نهر.. المعركة ضد الداخل
159	إلى أين تسير الهند
173	حديث خاتون باكستان!!
181	الثورة الهندية
191	عدم الانحياز
201	مالا نتعلمه من الهند
209	نهر.. انتهت الرحلة
217	الكاتب





حلم محمد عودة الباقي

---



الهند والصين عشق قديم عند أستاذنا محمد عودة، وما أكثر ما كتبه عنهما، لكنه في كل ما كتبه لم يغفل لحظة عن عشقه لأول مصر ووطنها العربي كان حُلماً واحداً يجمع عنده هذه الأقطاب وفي تعليق سابق لي على كتابه «رحلة في قلب بهوء» حاولت أن أرصد ملامح هذا الطم الذي عاش له الكاتب الكبير املا في مولد عالم جديد شجاع، بدا مخاضه مبشرا في الخمسينات والستينات من القرن العشرين حتى اعتقدا أنه ملك اليمن، وأن مولده أقرب مما نتصور.

«فقد كنت أحلامنا والهد أحلام واحدة، بن كانت أحلام شعوب العالم كلها في الواقع تصنع نياراً جارفاً من الآمال العظيمة – تكبر فيه الشعوب ويصنع الأفراد كما يصنعهم (...)» وكم كانت الأمنيات جميلة! أن يعيش الإنسان عريفا وحرًا في وطن مستقل تماما (من أي تبعية أو هيمنة) وأن تتحطم بصرية واحدة كل القيود التي كبَلنا بها الاستعمار والقرون الطويلة من الإقطاع والاستغلال والظلم، فيملك الفلاح الأرض التي يزرعها ويحصل العمل على حقوقه لعادلة في مصنعه، ثم تتجمع بعد ذلك سواعد الرجال والنساء الأحرار لنعمرك كن ركن في أرض الوطن،

تصبح الأرض البور وتبني مكن لأكواح العماثر و لمصانع، وتحصل المرأة على كل الحرية التي طال حرماتها منها، ويتوح لأطفال ملوكها هي مدارس تحسّر تربية عفولهم وحسومهم، وتكون الفنون والصحافة و لإدعة رايات للحمال والحق والعدل ترفرف في ذلك المجمع الحر الذي يمد يده لكل الأوطان لأخرى لكي يتجسد أخيراً على الأرض ذلك العصر الذهبي للإنسان الذي صال التشير به»

وهذا الحلم الجميل هو موضوع الكتاب الذي بين يديك «رحلة في قلب نهرو» بالإضافة إلى مجموعة مقالات إختارها الأستاذ عوده بنفسه وطلب تجميعها للبشر قبيل رحيله.

لماذا ؟

للوفلة الأولى يبدو والكتاب كما لو كان يتحدث عن رمن غابر مندثر (على قرب العهد به ؟) من يحب التاريخ فسيجد فيه عبق ذلك الزمن الجميل مدوناً بلغة العصر وناضحاً باهتماماته التي أوشكنا أن ننساها، يقرأ لما الأستاذ الوقائع كما شهدا، ومن هنا يعطي الكتاب منعة لكل قارئ محب للمعرفة.

ولكنني أعتقد أن عودة كان له هدف آخر من التوصية بنشر هذه المقالات بعد مرور عشرات السنين على كتابتها، أظن أنه لم يقصد فقط الحديث عن التاريخ، وأبعد من ذلك عن المتصور ولم يعرفه أن يكون قد أُرِد البكاء على الأطلال، وإنما هو قد أراد على وجه التحديد أن يوجه رسالة إلى المستقبل وهو يبتعث ذلك الماضي بأجاده وإحفاقاته.

هناك أسئلة يريد الأستاذ أن ننبرها ونشدد أذهاننا لواجهها ونحن نقرأ هذه الفصول التي حرص على أن يقدمها لنا قبل لرحيل

لماذا بدأ للشعوب والقادة الوطنيين (ناصر ونهرو ومونسي تونج وغيرهم) في فترة الخمسينات والستينات من الاستقلال لوطني، والتنمية المعتمدة على الذات والعدالة الاجتماعية هي مسئلة مترابطة؟ بعضها البعض وأنها قضية حياة أو موت ؟ ولماذا راحوا يجربون السبل المختلفة لتحقيق هذه الغايات في أسرع وقت وكيف نبحث

جهود وأخفقت أخرى ؟

وأهم من ذلك هل عفا الزمن الآن على هذه الأحلام ؟ هل دهسها قطار « لعولة » وهيممة قصب واحد على عالم اليوم ؟ هل يجب أن نسلم بأن قد وصل بالفعل إلى « نهاية التاريخ » وأن هذه النهاية تتلخص في اقتصاد السوق الذي نراه الآن يسحق للفقراء شعوبا وأفرادا كيما يتحم الأثنياء ؟

هل وصلا إلى هذه لبقطة دور رجفة أم أن الأحلام لقديمه مرالت صالحة لأن تمدنا بطريق إلى الفرح والخلاص ؟ وكيف ؟ ما الذي ينبغي أن نحافظ عليه منها ، وما لذي ينبغي أن نطوره ، وما الذي يتحتم أن نبذنه ؟

هي فصول الكتب خطى للإرشاد ومفاتيح للإجابات علينا أن نلتمسها .  
ولبدأ كما أراد الأستاذ بالصين والهند ، كلتا هاتين اليمين قصة نجاح يتحدث العالم عنه ماردا اقتصاديان وسياسيان يحسب العالم لهما ألف حساب . فكيف وصلتا إلى إنجاز حلمهما القديم ؟ يقول الأستاذ عودة مع ذلك إن هناك فرق جوهريا بين التجريبتين منذ البدء ويحدده بقوله

« الهند أسلوب ومدرسة في التنمية الاقتصادية ، والصين أسلوب ومدرسة أخرى ، وكل من الصين والهند يستفيدان ويقتسمان من بعضهما ( .. ) وإذا كانت الصين قد قدمت أعظم تجربة في تاريخ آسيا وأفريقيا لتحقيق الديمقراطية الاقتصادية فإن الهند قدمت أعظم تجربة في تاريخ اسيا وأفريقيا . وربما في تاريخ العالم لتحقيق الديمقراطية السياسية . وكلا لتجريبتين أساس لاغنى عنه لتحقيق الحرية والرخاء للشعوب » .

ذلك ما كتبه الأستاذ في عام ١٩٥٧ ، وقد تحققت بيوعته عن إفادة كل من التجريبتين من الأخرى . فلا شك أن الصين اليوم في أوائل القرن الحادي والعشرين أقرب إلى الديمقراطية السياسية مما كانت عليه في ذلك الزمان الذي اعتمدت فيه العنف الثوري والتضحية بحريات الأفراد « حقوقهم » لنمسا لسرعة الإنجاز والتقدم . كذلك فإن الهند قد قطعت خطوات جبارة لتحقيق الديمقراطية الاقتصادية ( أي التقدم

الاقتصادي الذي يعود بالنفع على شتى قطاعات المجتمع) وهي قد حققت ذلك بالتدريج عبر برامج السنوات الخمس المتعاقبة مهادنة وحزب المؤتمر سهج بهرو الاشتراكي وفي إطار نظام ديمقراطي نياي نموذحي، وكانت خطوات الصين أسرع بالتأكيد نحو التقدم الاقتصادي الذي كرس له كل الجهود مضحية بالديمقراطية السياسية وحقوق الأفراد، لكن من الواضح أن الأستاذ عودة أميل إلى أسلوب الهند في التطور منه إلى نهج الصين العنيف. فهو ينقل بإعجاب واضح عن نهرو (بطله الأثير حتى النهاية بعد ناصر) هذه المقولة الحاسمة للزعيم الهندي «لن نضحي بالحرية المدنية من أجل أي تقدم اقتصادي» وهو يوحى مرة ويؤكد مرات أن الديمقراطية وإن أبطأت آلياتها ورقابتها من خطى التطور الاقتصادي إلى حين فهي الوسيلة الوحيدة لضمان استدامة هذا التطور وبقائه، وهل يحتاج هنا إلى الإشارة إلى سقوط الاتحاد السوفييتي المنذر للدلالة على صدق هذا الحكم ؟ فقد سمقت الإمبراطورية السوفييتية الصين إلى انتهاج العنف لثوري وسيلة للتنمية والتطور، ولم يدرك قدنها ما أدركه قادة الصين بحكمتهم الشرقية العريفة عن ضرورة تعبير النهج في لوقت المناسب نحو الانفتاح السياسي والاقتصادي المخطط والمدرس (وليس انفتاح السداح المذاح) وهكذا نجحت الصين ونجحت بينما تفسخ الاتحاد السوفييتي وتفتت عاقبة الجمود على مناهج وسياسات تجاوزها النهز ورغبة الشعوب، وكأني بالأستاذ عودة يريدنا أن نتدبر جيدا هذا الدرس - فأوطاننا العربية لم تكمل أبداً أي شوط حتى نهايته المنطقية، فلا هي تحولت إلى انفتاح ديمقراطي كامل ينشط الاستثمار لصالح الجماهير الفقيرة ولهذا فقد ظلت تراوح في مكانها بينما يتقدم العالم من حولها شرقا وغربا، بل ليتها ظلت في أماكنها، فالهوة تتسع - وكأنها تزحف إلى الخلف بينما يقفز العالم إلى الأمام.

هل تجد شيئا من التناقض بين موقف بهرو الذي تحمس له الأستاذ عودة كثيرا وبين عبارة وردت في آخر الكتاب على لسان نهرو ويقول فيها «إذا لم تؤد الديمقراطية إلى الاشتراكية فلا معنى للديمقراطية وأيا على استعداد لأن أضحي بها»<sup>١</sup>

ثم تعليق الأستاذ الصادم على هذه العبارة بقوله «ولبته فعل !»

لا تناقض على الإطلاق ! فنهرو قد عاش ومات مؤمنا بالديمقراطية ومطبقاً لها كحاكم عى أكمل وجه. لم يتخل أبداً عن الديمقراطية رغم كل إحباطات والصدمات والحروب التى خاضتها الهند طوال فترة حكمه التى كانت تتحدد بانتخابات ديمقراطية بزيهة ظل يفوز بها حزب المؤتمر. ولم يفقد الأستاذ عودة أبصا إيمانه بالديمقراطية، وقرأ العبارة التالية مباشرة لتعليقه السابق إذ يقول «إن تحقيق الاشتراكية بالطريق الديمقراطي كان يستدعى حزبا جماهيريا حقيقيا، ذا قيادة وطلبة اشتراكية حقيقية بين العمال والفلاحين والمثقفين وذا برنامج يستطيع أن يكسب الانتخابات وأن يحصل على أغلبية ساحقة وأن يقود المعارك السياسية فى البرلمان وخارجه لإقرار وتطبيق القوانين الاشتراكية وحمايتها بالوسائل الدستورية» لم يرفض الأستاذ إذن الديمقراطية بل رفض التظاهر بها - فقد كان يريدنا بيمقراطية كاملة قوامها الانتخابات الحرة وتشريع القوانين وحمايتها بالوسائل الدستورية.

وعبارته التى يؤيد فيها بية نهرو التى لم تتحقق أبداً لحسن الحظ، هى فى واقع الأمر رسالة موجهة إلى الداخل المصرى فى حينها، فقد كان مأخذه الرئيسى عى حزب المؤتمر كما كتب هو أن «أعداء الاشتراكية فى حزب المؤتمر كنوا أكثر من أعدائها فى خارجه (...) يريدون شعاراته ويعنون ما بناهها»

ولم يكن ذلك حزب المؤتمر وحده. لكنه كان فى رأى تعليقاً أو تحديراً مبكراً وجهه مفكرنا الكبير يتعلق بحال تنظيمنا السياسى فى حينها الذى كان يرمع شعارات الاشتراكية دون أن يكون «حزبا جماهيريا حقيقيا ذا قيادة وطلبة اشتراكية.. يستطيع أن يكسب الانتخابات وأن يحصل على أغلبية ساحقة».

ونحن نعرف أن هذا التحذير المبطن قد ضاع سدى شأن تحذيرات مخصصة أخرى فتقوض التنظيم بأيدي من فيه من أعداء الاشتراكية بالكثير من الأيادي الخارجية



لكن «وصفة» الأستاذ عودة لحرب الجماهيرى الحقيقى، الذى يعتمد على إيمان قارته وحلاص كوبريه وأعصائه والعمل الديمقراطى فى د حل الحزب وحارجه تنل هى الوصفة لحيثيه لتجاح أى حزب اشتراكى يريد أن يحكم، بن لنحاح أى حرب مهما تكن عقيدته

\*\*\*

قضية أخرى رئيسية تشعش يال كاتننا فى هذه لفصول «المخاضة وهى «عدم الانحياز» وت تعرف بالطبع أن لمصطلح والحركة نفس، ينمىان إلى عصر الحرب الباردة بين كتلتى شرقية وغربية لهذا فقد يبدو أن تجديد الاهتمام به ينسب فى غير زمانه، لكنك منى قرأت ما كتبه عنه «الأستاذ نكتشف أن الفكرة نفسها لا تموت «يدُ» يا كان الاسم الذى تحب أن تطلعه عليه، والفكرة هى أن لشعوب فى قارات ثلاث هى أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية قد تعرضت لاستغلال ونهب تاريخى عنيف ومظم من العرب «فقدوا وأضعفها «تصبحت عاجزة عن مواجهة هذا الغرب أو المحفظة على الحد الأدنى من حقوقه، إذا ما واجهته ككيانات متفرقة وممرقة كالأمر الوحيد لشعوب العالم الفقير (ومرال) هو أن تواجه قاهريه، ومستغيبها ككتلة واحدة قادرة على المساومة، إذ يكتسب الضعفاء القوة من تجمعهم معا.

وهكذا كما يقول الأستاذ فقد ظهرت بفضل حركة عدم الانحياز «أسس جديدة إنسانية ومثالية فى العلاقات بين الدول وظهرت مجموعة من الدول لا تتربص إحداها بالآخرى ولا تحتقر إحداها بضم أو قيم لأخرى ولكن تتفاهم جميع وتتفاعل جميعها، وتتبادل مالمدى كل منها من ثقافات وعلوم وتجارب وموارد».

ولم تحيب حركة عدم الانحياز لدى ششاتها حلم كاتننا الكبير بقيام عالم إنسانى فى الحدود الممكنة ملا شك أن وجوده قد أوقف امتداد الأحلاف العسكرية الشرقية منها والغربية، وأنها استطاعت بعصر قادتها الكبار - عبد الناصر وبهرو وتينو - أن تكسب أنصارا أكثر لحركة السلام العالمية التى أوقعت أخطر انتشار الحرب الباردة ونحوها، إلى حرب ماء كوى سخية، واستطاعت أيضا أن تحقق حدس من حلمه فى

اتحاد الضعفاء ليصيروا باتحدهم أقوى في مواجهة أسياد الكون وأذكر هنا على وجه التحديد منظمة مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد) لتي رعى عبد الناصر إنشائها من القاهرة فأصبح لدول عدم الانحياز (مجموعة الـ ٧٧) كما أسميت داخل المنظمة - دور فعال في وقف المظالم والاختلالات التاريخية في حركة التجارة العالمية المؤثرة على عصب اقتصاد لدول الفقيرة

دعك مما حدث بعد ذلك - أو بالأحرى فلنذكره جيداً - من أن سادة الأرض واليوم قد التفوا حول الحركة الوليدة بهدف تدميرها وأنهم قد استعانوا على ذلك بإشغال قتل الحروب الإقليمية وتآليب الدول الفقيرة بعضها على البعض وبالتدخل العسكري المباشر في كثير من الأحيان لتعود الفرقة والتفكك والضعف وليلخلو لهم وجه الأرض فيستغلوا الكون ويمنصوا دم الفقراء والضعفاء كدأنهم من قديم الزمان وتذكر أن الأمر قد تعاقب بعد هيمنة القطب الأمريكي الواحد لدى أعين نهاية التاريخ وانتصار فلسفة السوق الذي يأكل فيه القوى الضعيف والغنى الفقير. تذكر أن ذلك قد ترادف مع تفكك أو بالأحرى مع التفكيت المتعمد لمنظمات التعاون الإقليمي بين دول العالم الثالث، بل ومع تحول التعاون فيما بينها إلى صراع وهروب مدبرة بين أعضائها، وأذكر في ذلك كنموذج أو كعبرة تستحق ذرف العبرات حال جامعتنا العربية وحال منظمات التعاون الإفريقي في قارتنا الحرة.

لم يحدث ذلك كله مصادفة، ولا كانت مصادفة إضعاف منظمة (الأونكتاد) لتصبح والعدم سواء، ولتحل محلها «منظمة التجارة العالمية» التي يحدد مسارها وسياستها من يسمون بالسبعة الكبار، دون أن يكون للصغار صوت أو رأي.

ولم تكن مصادفة أيضاً أن ترعى هذه المنظمة لمشئومة مفهوم «العولة» الذي تدل صيغته اللعوية وحدها على الغرض والقهر والقبول. عولة هي مرادف للهيمنة أو تسع صورها تتكرر عليها منذ الآن الشعوب الواعية حتى في العرب ذاتها.

ويختلف ذلك تماماً عن حلم الأستاذ بقيام نظام عالمي أو «برعة عالمية إنسانية مثالية» كما حدها من قبل، نضمن لشعوب لعالم الاستقلال والكرمة والرحمة،

وهكذا فإذا كانت حركة عدم الانحياز قد انحسرت في جانب منها يرتبط بتغير التاريخ فإن إصرار الأستاذ على تذكيرنا في هذا الكتاب بتاريخ الحركة وأهدافها يوحي بأن لها هدفاً باقياً على مر الزمان، أيًا كان الاسم الذي سنعطيه لها وهو اتحاد الصغفاء ليصبحوا أقدر على التصدي لهيئة الأقوياء والحاجة اليوم أمس حتى مما كانت هي ستينات القرن الذي مضى لوجود مثل هذا الاتحاد وهذه الحركة إذا ما أردنا مجرد النجاة والبقاء في وجه عاصفة العولة العاتية.

هكذا أقدم رسائل الأستاذ التي يوجهها للحاضر وهو يحدثنا عن الماضي، ولعلك واجد في كل موصول لكتاب مثل هذه الرسائل الباقية، تكتشفها بنفسك حين تتجاوز التفاصيل الظرفية إلى المعنى المضمّر.. قد تتوقف مثلى عند لحظات معينة تجد فيها التشابه، بين ولطفاً بين تجربتنا والتجربة الهندية في الفصل المعنون «مالا نتعلمه من الهند» قد يلتفت نظرك بالذات التأمّر المنظم من القطاع الخاص على القطاع العام ودور الفساد الإداري في تخريب جهود التنمية المستقلة في الهند وفي غيرها وقد تحب مثلى ذلك الحوار القديم مع «فاطمة جنة» شقيقة القائد العظيم محمد علي جنة (أو جناح كما نسميه بالعربية) صاحب فكرة دولة باكستان ومؤسسها، قد تستشف حلم «القائد الأعظم» بقيام دولة إسلامية عصرية وديمقراطية، لا تتوقف عند الشكليات، بل تتجه إلى جوهر الدين وتعطي المرأة كل الحقوق وتكلفها بكل الواجبات دون أي نوع من التفرقة، كما أنك واجد في هذا الحوار الذي أجراه الأستاذ بنفسه كل بذور المشاكل التي واجهتها باكستان وما زالت تواجهها لانحرافها عن تعاليم مؤسسها.

وقد تتوقف مثلى أيضاً في الفصل المعنون «الثورة الهندية» عند حديث الأستاذ عن جراح الهند في القضاء على التطرف الديني (الهندوسي) بفضل الديمقراطية والعلمانية الرشيدة (وإنما ذلك في عهد نهرو وقيادته الواعية وليس بعده) وقد تقرأ بإمعان الفصل المخصص لوداع الزعيم الهندي «نهر» .. انتهت الرحلة هتلفك الأسس التي اختار غاندي بناءً عليها نهرو خليفة له على ما بينهما من التباين.

أشياء كثيرة نستحق التأمل كما قلت في هذا الكتاب الغني، ولكن أهم شيء هو ألا نقرأه بنوع من الحنين إلى الماضي، بل لاستشراف المستقبل كم أراد كاتبنا الكبير حلمه الحميل لعالم جديد شجاع ظل باقياً معه حتى النهاية، لم يتغير سعدنا نحن - أصدقائه ومريديه - بمعرفته صورته البهية التي يرها واقعاً لا خيالاً، يتجسد في العدس غاب اليوم وهنا هو ننقل لك هذه الصورة في كتابه الأخير لتظل لك ولنا حافزاً يحدونا إلى الأمل - والأفضل إلى العمل - .  
فشكراً للأستاذ الكبير محمد عودة وهو يسمعنا صوت بشراه حياً وز حلاً

**بهاء طاهر**

الثمرة في أكتوبر ٢٠٠٧



## **بدلاً من مقدمة**

---



نعتبت إلى الهند.  
 وكانت أول مرة أرى فيها بلداً آخر غير مصر.  
 وإذا نعتبت للهند لأبد أن تعود، وإذا عدت مرة لأبد أن تعود وتظل تعود..  
 يبقى في قلبك شوق دفين ويشور بين المين والآخر حنين يلح ولا يهدأ حتى تنتهي، هناك  
 عالم شاسع واسع لا تمل اكتشافه وتجده فيه كل مرة شيئاً جديداً . فريداً  
 كانت مدرستي الأولى ووطني الثاني وثرت عليها وشتت بها، ورشت لها . وشئت  
 منها.. ولكن في آخر الأمر كنت أعود..<sup>1</sup>  
 لا يكون العالم أو العصر . أو تحقيق الذات.. بعيداً عنها . وربما عبر هذه الأوراق . من  
 بعض هذا .

**محمد عودة**





## رحلة في قلب نهر

---



«هذه الصور أثارت أكبر صجة عرفتھا محافل الهند . ولم يسكت هذه الضجة إلا بهرو  
بشخصه عندما قال

«هذا هو أنا» وكريشنا مينون عندما أعلن: هذه هي نفسي التي أريد الهرب منها . إنها  
قصة فنان يكتب التاريخ بخطوطه وألوانه»

لم يجلس نهرو إلى هناك ليرسمه إلا «سوتيسن جوجرال» الفنان الأصم الذي يسمونه  
لهذا «الرسام الوحيد» الذي عرف مهرو من الداخل» وقد بدأت اللوحة وانتهت بمحض  
الصدفة من خلال عدوان السويس وكانت لحظات العزاء الوحيدة لنهرو في الجلوس إلى  
سوتيسن والحدث إليه «ولم يكن هناك رجل مهموم همًا ثقيلًا مبرحًا مثل الرجل الذي  
كنت أرسمه» كما قال سوتيسن.

وقد نشأ سوتيسن وولد طعلاً أصم لم يستطع أن يتم دراسته لعاهته فاقطع عن  
المدرسة وهو في الثالثة عشرة وأحد يمضي أوقاته وينسى مأساته في الرسم وفي التجول  
بين حقول البنجاب وعلى ضفاف أنهارها وعثر عليه أحد أساتذة الرسم وأدخله أحد معاهد  
الفن في لاهور وكانت عاصمة الثقافة في الهند القديمة والحديثة . حينما صقلت موهبته  
ونضجت روحه واستعد لتقبل الحياة عاجلاً وصدمته المأساة الكبرى التي صدمت ملايين  
اليهود وعاش كل انهول الأكبر والفرع الذي صبح التقسيم ورأى بعينه المذابح التي شملت

والهند والآلاف تدبج بعضها، وللملايين تغتفك كاللوحوش الضارية بالملايين ورأى «الذين كسبوا حريتهم بالحب وعدم العنف يكشفون عن أحاع وثعابين قاتلة كانت تكمن في صدورهم». ورأى «جثث النساء والأطفال والصبية بالمئات والآلاف ملقاة على أرض صفة لاهور وفي كل قرى وحقول البجانب» ورأى الهند كلها.. «عائدي وبهرو وجنة ولباقت والكل عاهرون عن أن يصدوا هذا الطوفان الذي انهجر ككل براكين الشر في الإنسان» وكما يقول «عشت كل أهوال التقسيم ولم ينعس الصمم من أن تحس «لهاوية المريعة ومن أن أسمع الزلزال الذي عصف بروح الإنسان ولم أكن لأستطيع أن أحس كيف أو لماذا وقعت المساة ولم أكن أفسرها إلا بأنه شرط من شروط الحياة وبأن مذابح النجاب قد أظهرت كل خطايا الإنسان وكنت أرى الصباح والحياة المبددة حولي فيضطرم الألم العنيف وكل الشياطين والسنة المصميم والأشباح المحففة التي تراها في لوحاتي هي لأني عشت كل هذا».

ورسم سوتيسن جوجرال كل المساة وظل الكاموس لا يعارق حياته إلى الآن، وكان احتجاجة الوحيد عليه هو لوحاته.. ولهذا صب فيها كل الخوف والعزع وكل السخط والثورة وصب فيها أيضاً كل العطف والمحج والشقة التي يشعر بها نحو الإنسان. وحيثما أقام معرضه الأول كان حدثاً من أحداث الفن في الهند ورؤ جمعاً الحدث الوحيد الذي كانوا يريدون أن يسوه وألا يروه أنداً وسطحه سوتيسن بحث لا يشعرون بالخرى والعارولكن بالعصف والرتاء وطب الغفران فانتفسهم.

ورأى معرضه سفير المكسب في الهند وقال له إنك نرسم كما يرسم ديحوي ريفيرا، رسامنا العظيم ولابد أن تذهب إلى بلادنا وستجدها وطناً ثانياً لك.. وكان سوتيسن يريد أن يخرج من الهند ومن نفسه وأن يكتشف عالماً جديداً يهدهب إلى المكسب وعاد بعد عامين وكما يقول «أقمت أول معرض لأعمالي بعد عودتي من بعثة العامين في مكسيكو وتحدثت الصحف كثيراً وكنت القاد بإسهاب وأشدت الحد في دوائر الفن وفي آخر يوم زارت انديرا عائدي المعرض وبعد أن صافت به قالت لي لابد أن يرى أبي هذا المعرض، وللهابة المعرض ولأزنياد صالة العرض بفاسين احريين طليت أنديرا أن أحمل اللوحات كلها إلى منزلها ليراها جوهر لال هناك، وتم هذا بالفعل وفي ذلك الوقت كانت مدام «ص بات صن» تزل صيفة عندهم وكانت مس ناسو حاكمة ولاية السعال ونة ساروجيني نايدو الشجرة والمجاهدة المشهورة «رأى الجميع النوحات وطلت إلى مدام صن بات صن أن أقبل دعونها للصين وأعرض هناك وقلت لها أني أقمت عامين كاملين

حارج الهند وأريد أن أدد الغربة وأبقى هنا معض الوقت وطلبت إلى مس مايدو أن أذهب إلى السعال حيث لا تزال النساء حنة ومالكون فاقعة ولكنني أردت أن أظل في بلدي تراب البنجاب وأنهار البنجاب وهواء ليندب»

«وبعد يومين اتصلت بي أديرا وقالت أن والدها يريد أن أرسم صورته وكانت معاهدة كبيرة لأن جواهر لال رفض أن يقف أمام رسام أو مثال ولأن كل رسام في الهند يريد لاشك أن يرسم جواهر لال لا لأنه رئيس الوزراء ولكن لأنه الهند الحديثة»

وهي اليوم الذي تحدد ذهبت لأرسم جواهر لال بهرو وانتظرت بعض الوقت ثم ما لبثت أن دخل مهسوماً هماً ثقيلاً حتى لم أر هي حباتي رجلاً مثقلاً بالهم منه في ذلك الصباح وقال لي «نسي أشعر مخوف على السلام وعلى مصير الإنسانية كلها لم أشعر بعشه أداً - إننا جميعاً هي خطر»

وعرفت لأول مرة ساء العدوان على السويس والهجوم على بلاديكم وحطس وأخذنا نتحدث حديثاً طويلاً حول مصر وحضارة مصر وثور مصر وواجب الهند وحينما انتهت الحلسة كان يشعر ببعض الارتياح وبدأ من ذلك الصباح معركته ضد حرب السويس وخرجت مصر منتصرة فأحسست أنه انتصار شخصي له وكان مرحاً ككفل برى»

«ولقد أنسج لي من خلال هذه المدة أن أرى جواهر لال في كل حالاته وهو شاعر عاضب وهو متكبر متعال وهو مشمئز وهو حزين متألم وهو حالم متصوف وريته يعامل الأسماء الكبيرة والرهيبه باحتقار وبعجوة وبصيق شديد وسمعه يندى لي رأيه في كثير من الداس مصراحة ويتحدث عن الهند ومشاكل الهند كما لم يعرف أحد غير أقرب المقربين إليه» وتأككت وأنا أرسم بهرو أن هذا رجل فنان صل للطريق إلى السياسة وأنه لا يكره شيئاً مثل الطريق الذي سار إليه وأنه لو خير مرة ثانية لاختار الفن بؤسى لأذكر ما قاله لي حر يوم حيمما انتهينا. أن الهند و الإنسانية كلما صارعت للبقاء فإنها تبقى وتستمر بالفئتين لا رجال السياسة

ورسمت لوحتين لشهرو..

كانت الأولى للرجل «الوحيد» الذي مقامي ويعاني في وحدته والمثالي الذي ارتفع إلى عالم لا يجد فيه أحداً يفهمه أو يشاطره أحلامه وأفكاره «والثانية للرجل النائر الذي يرى الواقع ويقارنه بأحلامه وما يريد فيحس بالثقت وتبعه هذا الأحساس وقد رسمته هي هذه الصورة يحس الوردة التقليدية و لمعرم دائن» موضعها في عروته ولكنها وردة تحوكت إلى حديد حامد وفوقه سماء مطلمه وأسامة حقول حرداء وسوحة ملائكة نحاعدد الرحن

الحساس الذي أرقته أحاسيسه لأنه يرى الأشياء ويحس معجزه عن تعبيرها كما يريد . كان بهرو في هذه اللوحة ينكرني دائماً سودا بهبط عليه الوحي وتضيء نفسه بالمعرفة ويمنحه الوحي والمعرفة القدرة على رؤية الأشياء كما هي وكما يجب أن تكون ولكن بعير أن يملك القدرة على تعبيرها ومن خلال هذه اللوحة كنت أذكر دائماً كلمة بودا . أن المعرفة قلق عظيم.

وأما اللوحة الثانية فكانت صورة رجل في حرب حامية مستمرة مع نفسه يحويط أحلامه في التي تقيد يديه وأفكاره المضطربة هي التي تذكي الجحيم حوله وصراعه «النهرقلي» الذي ينتهي دائماً كما لا يتمنى ويبحث بصر «لحرن العميق في عيبيه . كان بهرو يبدو لي في هذه الصورة.. «برومستشوس المقيّد».. والذي لا يرى فكأنما لقبوده . وحيما انتهيت من هذه الصورة . قال لي بهرو «هذا أنا تماماً».. إن الإنسان دائماً مثل حيل التلجج.. يطغو القليل منه على السطح وأما معطيه فيظل تحت الماء... وانت يا سويس رأيت الصورة كاملة»

وحيما رأى النقاد صورة نهرو ثار أكثرهم وقالوا أنت متضامن وهذا ليس بهرو وهذه صورة ذاتية لبهرو.

ولكن جواهر لال أسكت النقاد جميعاً وقال «سويتسن على صواب» وعلق لصورتين في بيته إحداهما هي غرفة المكتب والثانية هي غرفة الاستقبال . وقال لي هكذا حتى أرى نفسي ولا أنساها..

ومن خلال رسمي لنهرو كانت أنديرا تشترك معنا وكنت أتأمل وجهها كثيراً وطويلاً وكان وجهها يوقظ في نفسي دائماً الشعور بالحنان والرحمة.. كنت أحس مدى الصراع القائم في نفس هذه السيدة التي يعتقد الناس حميماً أنها مرحة سعيدة، وكنت أحس تشبهاً المستميت بالخيوط الأخيرة للأمل والنور ومدى الشجاعة والإيمان الذي يعث فيها الشعور بالخوف والعجز.. كنت أحس بالرحمة لهذه السيدة لأن المعركة في نفس أنديرا كانت أشد حدة منها داخل حزب المؤتمر وكانت تنعكس كاملة في هذه العنق الرقيقة وورسعت أنديرا كما رأيتهما بكل التيه والصياح وكل الحنان والشجاعة والحد . وكما ثار النقاد على صورة جواهر لال ثاروا لصورة أنديرا . و«نهموني نسي أرى الأب والابنة من خلال نفسي أنا .. ولكن أنديرا وقفت إلى جانب الصورة وقالت هذه هي الحقيقة وعلقت الصورة في غرفتها ..

وكان هناك شخصيتان أحرمان أرت أن أرسمهما لأنهما يعكسان لهد وملحمنا

الحاصرة ويكملان صورة جواهر لال ونديرا . وهما كريشنا منون ومولانا آزاد .  
ورحب كريشنا منون وطرب لفكرة رسمه وأسس هناك أرقى إحساساً وأدق فهماً للنسب مع  
جواهر لال مثل هذا الرجل الصارم الجبار المشتغل على الدوام.  
كان كريشنا منون يشبه لى د ثماً صغيرة صلبة مضطربة بالنار فى داخلها وكنت  
أحس بالناقض الكبير الذى يمزق نفسه بين الاشتغالات العارم المحيط ما حوله وبين  
العطف العميق الشامل على ما حوله أيضاً وكان مدولى أحياناً وكأنه يريد أن يقف  
كشمشون ويهدم المعبد عليه وعلى أعدائه لأنه لا يستطيع أن يطرد المراهبين والصبارة  
بالسيف وبالسوط.

وقد تصادفنا أنا وكريشنا منون وكان يلتصق دائماً ليرور مرسى ويقصى وقتاً مويلاً  
معى وكان يبدو لى حينما يدخل الاستديو وكأنه حيوان برى انقلب إلى قط أليف مستأنس  
ونسى السياسة والجنرالات والحيش ولم تعد الحياة سوى ألوان وحطوط وأفكار وحينما  
انتهت الصورة جاء الكثيرون ليروا كيف رسمت كريشنا منون وكيف استنطعت أن أقترح  
نفسه وهل يمكن لأحد أن يقتحم هذه القلعة المعلقة وكل شيء يتعلق بكريشنا منون كانت  
الصورة موضع جدل عفيف ربما لم تثره صورة من قبل وتهافت كثيرون على شرئها  
وعرضوا مبالغ طائلة ورفضت وقال كريشنا منون إنى لا أستطيع أن أدمع لها ثماً ولا  
يمكن أن نحرّم نفسك من ثمنها وأنا عشت التجربة والصورة وعشت نفسى الحقيقية مع  
ومعها ولابد أن تتبعها وحينما عرضت عليه أن يحتفظ بها بلا مقابل وألححت عليه رفض  
وقال «بيسى وبييك ليس لى شجاعة جواهر لال لأواجه نفسى كل يوم وهى غرفتين .. بى  
أحد كثيراً أن أنسى وأهرب من نفسى ..

وكانت الطقة الرابعة فى الملحمة هى صورة مولانا آزاد .. وكان يمثل لى قمة كبرياء  
الهند وعزتها العقلية والروحانية وكان يبدو لى وكأنه يعيش متكامل متصوفاً على حافة قمة  
شاهقة ويرى الناس حوله صغاراً أعبياء ولا يستحقون العناد ولا هدوى من تغييرهم أو  
إقناعهم وكنت أتصور فيه السوبرمان كما رسمه نيتشه وكان يجتذنى فيه نظرته هذه  
وإرادته وأحس أنه يعيش فوق البشر وكنت أحس أن لهذه النظرة ما يبرره من تطوره  
العقلى والروحى ومن وعيه وعقريته روحه ومن فرط حساسية نفسه.

وحينما فرغت من صورة مولانا آزاد واجهت مرة أخرى ثورة النقاد وقالوا هذ ليس  
مولانا آزاد وهذه ليست نظرته للناس ولكن مولانا آزاد مات وبعد ومات مشهور صدر  
الكتاب الذى لم يشأ أن يكتبه فى حياته وكتب قصة استقلال الهند كما رآها وكما عاشها



وكتب رأيه بصراحة هي كل لباس وكان تأييداً تاماً لكل ما أردت أن أقول له هي لوجهي  
عن مولانا أبو الكلام آزاد.

وسألت سويتس جرجر ل يهيب بالهامه . «إلى أين تذهب الهند وكيف تخرج من  
مفترق الطرق الذي تقف في وسعته» ولا شك أن العبد أحسن القلق وراء سؤاله لأنه قال  
«بسي أشعر رسومي بالسطح و لمساة لأجس الناس يشعرون بالدب لأنني أريد أن أثير  
الرحمة وأن ما حركتي هو نوع من العطف ونوع من الثقة النامة في الإنسان ،ومن الخطأ  
أن نقس أن مهمة الفن هي أن يجعل الناس سعداء.. إن الفن لا يجعل الناس سعداء أو  
تسعاء بل الفن عليه أن يثير الناس وأن يرتفع بالإنسان حتى ولو كان فن المساة . إن  
الفن لا يقدم إيجاباً ولكنه يحرر روح الإنسان لكي تستطيع أن تجد الحقيقة بنفسها »

«إن الفن يحطب الروح وإداه ما استطعت أن أثير أرواح الناس فقد أدبت مهمتي بؤانا  
أعتقد أن العمل الفني لابد وأن يحوي عنصرين هما الفكرة ولتعبير و لفكرة التي تدور  
حولها كل لوحاتي هي الإنسان وأنا أعبر عن عظمتة وتعاستة وصراعه الدائم في سبيل  
التقدم بؤعمر عن الأمل والامل هو أكثر بنبوع للفرح بالحياة بوبكل هذه البوحات تجعل  
بالأمل والأمل هو الذي جعلهم يكافحون وهو الذي يجعلهم يستمرون في المعركة .. وهل  
ستشهاد الإنسان دلالة لأمل أم اليأس؟.. والذي وقف وقال أستاذ أعبر لهم فإنهم لا  
يعرفون ما يعملون... هل زرع «ليأس أم الأمل؟»

وتذكرت كلمات سويتس جرجرال فقد كنت حاضراً حينما سأل أحد الصحفيين الهنود  
بهرو يوم عيد ميلاده.. بمناسبة بلوغك السبعين واحتفالك بعيد ميلادك هل تشعر باليأس  
أم بالأمل بوهل تشعر أنك بددت حياتك أم حققتها؟

وقال بهرو ربما كان في إمكانكم أن تحكموا أنتم ولكن ما أستطيع أن أقوله هو إنني  
ليس لدي إحساس بالضيق أو اليأس والتشيت بل بالعكس أحس أنني حققت حياتي ولم  
أنددها وأرجو أن لا يكون وجهي يعكس معنى آخر.. ولكن هل حققت ما أريد بالطبع لا  
وبكل تأكيد لا .ربما من وقت لأخر أحس أنني حققت شيئاً ولكن على العموم لم أحقق ما  
أريد ولا رلت بعيداً عنه . و الذي يعوصني هو أنني أجد لذة في مواجهة الصخور  
والمستحيلات والعقبات وُجد لذة في مصارعتها والسقوط تحتها أحياناً والوقوف على قدمي  
دائماً.. إن هذا يجعل الحياة مغامرة رائعة».

هناك أمل هي الهند

## صور قديمة

---



أول مرة أقف على «مرار» غاندى كان معي صديق هندي يساري كان من أول من  
تعرفت بهم هناك.. وقد رفض أن يدخل معي، وفصل أن ينتظري في خارج المسور الذي  
يطل على المكان وحيما عدت نظر إلى مبتسماً وقال:

- هو هذا المشوع حقيقي؟

حَقًّا حقيقي، ماذا تعني؟

- كنت تذكرني بمحاضرات الأوربيين والأمريكيين من الصباح، أحياناً يروون هذا المكاف  
بين عجائب دلهي ويقتلون الصمت والرهبة ويعتو مطرهم مضحكاً

- هل تريد أن أقول لك سرّاً .. بس متدين ووطني .. ولأنك أن أقف حاشعاً على قمر  
عندي .. لأنه قاد أربع مائة مليون إلى الحرية وعبر الطريق لروحاني اليس كذلك؟  
واسم صديقي ابتساماً أخرى وقال:

- لقد كنت أفهم من مناقشتنا الطويلة هذا الصباح إنك مادي ماركسي مثلي .

- أستطيع أن أقول على طريقة يوتو ، أنني مادي ماركسي على الأرض ومسلم متدين  
في السماء.. إن كلاً مما يصل إلى الاشتراكية عن طريقه الخاص الفرد والشعب أيضاً.  
ولكن هل من الضروري أن تكون مديناً وطنياً لتزور وتحشع أمام قبر غاندى وهل من  
الضروري لكي تكون ماديّاً ماركسياً أن تقف على السور وتهزأ ممن يفعلون؟

ولم يرد عن أن نسمع.. مما استثنائي فقلت

- هل ندرى ما أكثر ما صدمنى فى الهدى أنسى هين لى وكأن الهدى كلها قد سست  
عائدى سريعاً وبعض اليهود أو كثيرون منهم يتحدثون عنه وكأنه رجل غريب شدة الأطوار  
عاش هد، مند آلاف السنين ومات وانتهت ذكراه ،أليس عريباً أن أدافع أنا عن عائدى ضد  
هندى

لا تقصب يا صديقى ليس هناك هندى لم يقلب عائدى حبيته رأساً على عقب سواء  
كان معه أو صده وليس هناك فى تاريخ الهدى من غير هى حياتها الداخلية . إن شئت.  
وحياتها الخارجية مثل عائدى وليس هناك فى الهدى من لم يمت يوم قتل غائدى . حتى أنا  
يكبت

هل هذ نمازل من؟

- بكيت بحرقه .. ولم يكن يحفف من بكائى ولا الألم العميق الذى أحسسته إلا عتقائى  
أنه مات فى الوقت المناسب .ربما لو كان عاش لأصبح كالحذ العجوز المقلق . مات بالطريق  
المناسب.. عاش قديساً طيلاً ومات شهيداً . وها أنا أعترف . ولكن هذا لا ينقى كل أخطائه  
. هل تعرف ماذا كان يسميها . خطايا فى ثقل الهملايا . لو كنت هنا منذ بضعة أشهر  
لرأيتنى أنا وأسى تعزل فى هذا المكان وسعاً نهرو وكان رضاء الهدى.. يوم ذكرى  
استشهاده.

تعزل هنا؟

أنا لست العجيب.. الأعجب هو أسى أنه الآن عضو فى البرلمان عن حزب المؤتمر..  
وهو من زملاء عائدى ونهرو القدامى ولكن أسى ماركسى لينينى من رأسه إلى أخمص  
قدميه. وحببما كنت صديقاً كان بشور ويصبح . الاستقلال . هذا ليس استقلالاً هذا  
صفقة . عندنا فى يومبائى طائفة أشد من اليهود اسمهم «البانيا» منهم معظم رؤساءاليو  
الهدى.. واستقلال كما يقول لك أى شخص فى الطريق صفقة بين «بانيا» يومبائى وككنا و  
«البانيا» الكار فى لىس توريع مصالح الاثريين والواحدة هى- لفحيعتنا جميعاً- نهرو-  
نهرو واجهة..؟

يختلى زواها الرأسماليون البريطانيون واليهود.

هل نربئنى أن أصدق هذا؟

- أسمع يوم قبل عائدى قال أحد الرفاق عندما لو كانت هذه الرضاصة قد أصابت  
نهرو لكان أعظم من عاشوا وماتوا فى تاريخ الهدى . لكان قد أصبح أعظم من «مودا» ولكنه

سيغيش لتقصي عليه متناقضاته.

- متناقضات؟ ربما متناقضاتكم؟

اسمع .. إن ما تحتاجه الهند ليس نهرو .. وإنما ستالين .. الهند معبد قديم مليء بالوحوش والأفاعي والطلاسم القائلة ، وما يحتاجه هو شمشون .. شمشون جديد يهدم المعبد وينجو من تحت أنقاضه.

نهر فنان . مثل الإله كريشنا ..

- ولكن هناك ستالين واحد لا سنطيعون اقتراضه واستيراده

وحتى لو استعتم هاب ستالين لن يصلح في الهند كما لن يصلح نهرو في روسيا وكما لا يصلح ماونسي تودج في مصر . لكل شعب طريقه وقابته أليس كذلك؟  
- نهرو حارة مسنودة وإيس طريقاً ، تكاد تماماً.

\* \* \*

وكنا قد وصلنا إلى المدينة بعد الرحلة الطويلة من مزار عاندي إلى دلهي الجديدة ولكنه التفت إلى وقال

هل تريد أن تتأكد أنني لا أتحامل على نهرو ..  
- كيف؟

- سأدعوك لتناول الغداء عندما ، عندما سأدبة اليوم بعض الدواب والوداء ووكلاء لوزارات.

- ولكنني لست مدعواً

لماذا .. لن تشعر بالحرج ليس لدينا بروتوكول في الهند .  
سنرى قطعاً من حكام الهند الحدد الوطنيين وسنأكل أكلأ فاحراً .  
- أكلأ فاحراً .

- نعم عشنا طاه ماهر .. هذا من علامات الاستقلال . لدينا قبلا أنيقة في شارع ه بريثقي راج قبل الاستقلال لم يكن أى هندي ولا جواهر لال نهرو نفسه يجرؤ على السير فيه . وعندما سيارة توصلك بعد الغداء إلى الفندق إن أردت بورجوازية .. كاملة ..

- طبعاً . وحتى أبي يعمل حاهياً بالولائم والمصلات ليكون وزيراً . وهو لا يناقشي قط .. وأحياناً أشعر أنه يحجل من مواجهتي ولكنني أعرف . وأضحت ..  
ونهبنا معه .. كل شيء في الدعوة كان مغرباً . من سبب توجيهها حتى الطعام

الفخر الموعود.. وبالفعل وكما يحدث في الهند.. بعد دقائق .. رال أي شعور بالحرج أو العربة «واحد منهم كان «مسلماً» وكان وكيل وزارة سابقاً.. وكان أكثرهم حماسة بي وسألته إلى أين تسير الهند؟

وصاح ولماذا تسألني بصوت منخفض إن السؤال سهل والإجابة سهـل هي السياسة الخارجية الحياد . وفي الداخل الاشتراكية الحكومة التي يرأسها جواهر لال نهرو ليس لها سوى طريق واحد.. الاشتراكية..

– أي اشتراكية؟

– قال دلاميرطور «أكبر» أعظم الأباطرة المغول حينما دخل الإسلام الهند أنه انصب في قوالب هندية. وحينما طمعت الصين المركزية الصينية بم تصفها كما هي وصفتها هي قوالب صينية وهذه ما يسمونها « لماوتسي توشية» واشتراكية نهرو هي اشتراكية حقيقية ثورية في قوالب هندية .

– هل قرأت كتبه أو خطبه؟

– لا إن لي أسبوعين فقط

مدد ربع قرن في سنة ١٩٣٦ في خطابه في مؤتمر حزب المؤتمر قال نهرو «إن الاشتراكية بالنسبة لي ليست مجرد نظرية اقتصادية أهملها ولكنها عمدة حمة اعتنقها بكل عقلي وقلبي»

– البعض يقولون إن نهرو يقف وحده. في الحكومة؟

يقف وحده .. إن نهرو قد صنع جيلاً ناكمله، كل الذين تراهم حولك هنا تلاميذه قرأوا كتبه وحفظوها سطرًا وسطرًا وسروا معه من أول الطريق حتى حره وليس في حياتهم سوى تحقيق أحلامه.. ربما تنقصنا بعض الخبرة. معظم حياتنا كُنت في السجون أو في القرى. ولكننا نتعلم ونتعلم سريعاً ولكن الجماهير تبدو خاملة وغير مكترثة..

لا تصدق ما تسمعه من رواد الفنادق الكبيرة،

ولكنني أسمع من الشبان الجدد.

– هؤلاء يستعجلون كل شيء

نحن أرض الاستعمار التقليدية ومن أجل الهند استعمرت بريطانيا كل البلاد الواقعة على طريقها وهي الهند نفسها وطوال أكثر من مائتي عام استشرت بريطانيا كل دم وحبوبة الهند.. ومع هذ في ظرف ثلاث سنوات. أقمنا الدولة العظمى.. ومع في هذه العرفة

مسموم ومسيحى وهندوكى وملحد.. ويحتلون أعلى مناصب الدولة ويكلمون ويعلمون معاً وعند زمن طويل.. وأقمنا الدولة الديمقراطية.. ويستطيع أى هندی أن يعتلى أعلى منصة ويقول ما يشاء أو يكتب ما يشاء وأماكن قليلة في العالم تستطيع أن تعجز بهذا الآن.. ونحن نقيم الدولة الاشتراكية ولجنة التخطيط تجتمع كل يوم وبعد أشهر سوف تصدر الخطة الأولى.. وسوف تكون شيئاً جديداً وأصيلاً في الاشتراكية.. ذهب إلى كلكتا يا صديقي.. وحيما تعود.. تعال وسوف نتناقش؟

وبعد العدد.. سألني صديقي بسخريّة.. هل أقبعتك.. إنه محرم مشهور وكان رئيس جمعية المناظرات في كمبريدج ويمكن أن يتراجع معك في مساء وصداك في الصباح.  
- على أي حال أنا أشكرك جداً لهذه الدعوة لأنني القعتني تماماً أني على صواب وأحب أن أقول لك أن لي أصدقاء كثيرين في مصر مثلك وقد جئت إلى الهند وأحد الأسباب، أنني ضقت ذرعاً لأنهم لن يحققوا شيئاً مثلك وسيهرأون كل شيء وسفهمون كل شيء مثلك.. أليس كذلك..

وابتسم وقال-

ثلثني عداً..

وبعد سبع سنوات طويلة كنت عائداً من اليابان وقررت أن أبقى بضعة أيام في كلكتا.. وقرأت في إحدى الصحف سم وكيل «الوزراء» وقد أصبح وزيراً كبيراً في حكومة البعمال الإقليمية.. وعلى الفور قررت أن أقابله وتصورت أنه سوف يذكرني على الفور وسوف يرحب بي واتصلت به تلفونياً.. وبعد عشاء هويل.. قال لي السكرتير باقتضاب إنه سوف يراي عداً في الساعة العاشرة والنصف إلى الساعة الحادية عشر «هكذا».

وفي موعد المصعد ذهبت.. فاجأتهني صورته.. شيء منزعج تماماً السمعة والمثل واتخذ كاريكاتير الوري الهندي كما تنشره مجلة «شانكر» الهريية وذكرته بمقابلةنا الأولى ولكنه بدا وكأنه لا يذكر شيئاً.. وكان عنده اثنان من «القوموسيونجية» يهذون إليه نتيجة لإحدى شركات الشاي الهندية الكبرى رسمت عليها صورة طغور وإعلان عن الشاي الذي كان يفضلُه «طغور»!!

وبادى الوزير ساعة المكتب وأمرهم بتعيقها على الحائض ووقف يشرف عليهم

وسألني بعدم اكترأث

- كيف تجد الهند منذ زيارتك الأولى؟

-لم يتغير شيء كثير فيها..



كيف..

- سائقو لوكشا لا ر لوا كما هم وثلاثة ملايين ينامون ويعيشون على الأرصفة في كلكتا كما هم وعشرة الارب امرأة وطفل ينامون في محطة كلكتا كل ليلة تماماً كما رأيتهم أول مرة ونماثل «كلايف» وهما يستجر» لا تزال في كل ميدان فيها.. مزهوة متعالية.

ويبدأ عليه لضيق وقال لي

هذه بلد ديموقراطية يا عزيزي والديموقراطية بطيئة ولكن مؤكدة والعنف أو الاعتصاب ضد طبيعتنا..

- ولكن حتى عاصي قال إذا خيرت بين الجبن والعنف فأبى اختار العنف..

يا عزيزي.. هذا ليس شعباً.. هذا قارة كاملة.. ومنذ كم سنة حصلنا على استقلالنا عشر سنوات فقط.. وبعد كم سنة من الاستبعاد أكثر من مائتي سنة.. ماذا تكون عشر سنين في عمر لشعوب.. وفي عمر الهند.. أقدم تاريخ في العالم. ولكن بلائاً أخرى فعلت.. الصين مثلاً..

- م يصلح للصين، لا يصلح لنا . وما يصلح في مصر لا يصلح عبدا . لقد كان تأميمكم للقناة مغامرة وقد أفلتم منها بأعجوبة..

وشعرت بالاشمئزاز وأنهيت المقابلة وخرجت.. ربما كان صديقي «نيرمال» محقاً بعض الشيء .

وتدافعت كل هذه التكريات وأنا أنتقل بين إدارة الجوازات وإدارة النقد وشركة الطيران استعداداً للسفر مرة أخرى إلى الهند.. ترى أين هؤلاء كلهم الآن..»

نهرو.. الطريق الطويل

---



لكل هندي صورته الخاصة عن نهره..

بالنسبة لمحاهمير الحاشدة وللايين الهنود هو بطل من أساطير المهاباراتا، أو «الراماياتا» والفارس العجيب الذي ترك كل شيء وتبذ كل شيء، المجد والمنفعة والشراء العريض من أجل السهارات متا أي «أمننا الهند» وهذه الصورة هي التي تهز خيال وضمير الهند، منذ بوذا وتلميذه الإمبراطور أشوكا.

وبالنسبة للمثقفين وصعوبة الوطنيين نهره هو الصورة المشرقة للهند، وأروح الهند في عصر العلم ولأور والدرة . إن رسالة الهند، وعقريه لهند هي لامبصس والتوفيق. هي امتصاص كل الديانات والطسعات والثقافات، و لتوفيق بينها، وضمها في روح وعقل الهند، وحلقها من جديد كتراث هندي.

والهند الحديثة كما يتصورونها هي الأرض التي تشرمت كل الأيديولوجيات والمعارف، من تعاليم المينا إلى الماركسية ومن حساس إقليدس إلى نواة الذرة، والتي «هندتها» ودعمت بها صرحها. ونهره بعاديته وفابيانيته وماركسيته ونزوته الفكرية الخلاقة.. هو صورة هذه الهند

وبالنسبة لرجال حزب المؤتمر التقدميين هو العمود الفقري للهند، هو كل شيء وأي شيء، وهو الطسسم الذي يضعون أيديهم على قلوبهم رعباً لمجرد التفكير إنه ليس هناك..

بل وإنه قد لا يكون هناك.. والذي لا يجرون على تصور الهند بعيره لأنها قد لا تكون بعده  
قالهند هي نهرو ونهرو هو الهند ولا شيء غيره

وبالنسبة لأفريقي واستهازي حرب المؤتمر وهم كثيرون أكثر مما بظن أحد- هو مدير  
الدعاية الانتخابية وبوسيلة كسب الأصوات وقضاء المصالح والحاجات ونعيين الأقارب  
والمحاسيب والاحتفاء من الفضائع والمخازي.

وبالنسبة لمحمدلقي اليسار، هو مد منحسر ورجل يعيش أكثر من عمره لأه نهاية  
مرحلة، ومجموعة متناقضات ومهادبات.. وهو بهذا يقف عقبة أمام التقدم، أي حنلالهم  
بقير حق لمراكز الرماة، وبالسمسة الليبروقراطية الهندية هو (الولد الطيب من كميريدج)  
الذي يصمن استمرار المراكز والمرتبات الميروقراطية الاي س اس . والذي بغفر لهم  
خدمتهم القيمة للبريطانيين وتقانيهم فيها.

وبالنسبة للرسمالين والاحتكاريين هو الحالم الذي يريد أن بنى قصوراً على الرمال.  
ولا يترك الواقع والمحقق، ويسوق البلاد إلى طريق عريب عن روح الهند وروح غاندي  
«كذا» أي طريق لا يحق لهم الأرباح الخرافية، ويتركهم يتمكون ويعصفون بمصير الهند.  
وبالنسبة لنساء الهند هو (كريشنا) الإله الوسيم الجميل الذي تضع كل امرأة صورته  
في قلبها وتدعو وتصلي من أجله قبل أن تنام.

حافل بالصخور والمجاهل والكلمات وأن كثيراً من القادة والأدلاء يسقطون عبر هذا  
الطريق أو ينكسون وأن القائد نفسه كثيراً ما ين ويتعثر ، ويتروح الأمل في نفسه تحت  
وظة أحماله، وأن الكثيرين حوله أو قريباً منه، يتمنون من صميم قلوبهم أن يسقط ولا يقف  
مرة ثانية، ويلوهم عيباً ومرارة وحقدًا، أنه يقف دائماً، ويضطرم بالثقة والأيمان.. ويحقق  
كل ما يريد.

وقد كتب نهرو تاريخ حياته في كتاب من أجل كتب المستقبل، وكتب تريخ الهند، كجزء  
من تاريخ حياته ومحاولة لفهم الهند التي وهبها حياته، وكتب محاولة لتاريخ العصر في  
رسائل كان يبحث بها من السجن إلى استه وهذه الكتب الثلاثة هي المفاتيح الأولى لفهم  
الهند، ولفهم نهرو.. ومشاكل نهرو.. ومعركته ضد الاستعماريين البريطانيين ثم ضد  
الإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال.. ومن أجل ٢٦٠ مليون مشكلة كما يسمى شعب  
الهند ومن أول لحظة في الهند بسطيع الإنسان أن يترك أن نهرو هي كل شمس وفي كل  
ركن وأنه في كل يوم يمر يريد أن يحمي طابعه ويرسخ صياغته لنفس وعقل وروح الهند  
وهو لهذا لا يستقر في مكان، خاصة حينما تتابع المواقف العصبية في هذه الأوقات بهرع

بهرو إلى الهند الحقيقية إلى مصادر قوته وسر شيايه وحيويته، إلى الريف والقرى وبك  
كعب علمه غاندى، وكما علمه تاريخ الهند

ومشكلة بهرو الرئيسية هي أنه يريد أن يقود الأربعمئة مليون عبر طريق هريدي يشقه هو  
ويرسمه هو ويحدد معالمه وملامحه هو، ومشكلته أنه يريد أن يمس الهند على أسس نابغة  
من روحها وكما قامت «الثورة الوطنية» على أسس من تراث الهند ومن ثانياً قلبها، فلا بد وأن  
تكون لاشتركية والديموقراطية والتعاونية كما كانت الحرية هندية أولاً وأخيراً.

ومشكلة بهرو أن هذه مهمة تنوء بها الصال وأن الطريق الذي يجتاره طريق وعبر شاق  
ولابد لهم بهرو أن يستعرض الإنسان تاريخ الهند من خلال المائتي عام الأخيرة، وكيف  
حكمت بريطانيا لهند وكيف استعلت واستعبدت واعتصرت آخر نقطة دم في عروق الهند،  
لابد وأن يعرف كيف سبى اللوردات الإنجليز إمبراطوريتهم وراثهم العاشر العريس من  
عظام وحمام أربعمئة مليون، لم يتركوا لهم حتى الفصائل بوتاريخ البريطانيين في الهند  
أقصى وأقطع من أن يصدق، وإن يصدق أحد حتى يراء ولا زال الإنسان يستطيع حتى  
الآن أن يمس من التماثيل والقصور واليوانات ومن الشركات والبنوك الباقية، أن  
الإنجليز كانوا هنا، وأنهم عاشوا في البلاد مساكين وعسفاً وظلماً وطغياناً.

لقد حكم الإنجليز الهند حكماً مباشراً من خلال مائتي عام، كانت حلقات متتالية من  
الإرهاب الأسود جعل من جنكيز خاں وتيمورلنك مجرد هواة، ويجعل الإنسان يرى  
بوضوح بربرية ووحشية المستعمر الأجنبي وثفاق وريف ما يسمى زورا وبهتاناً بالفضارة  
العربية مثلاً في سنة ١٨٥٧ ثارت الهند ثورة كانت آخر محاولات الهند القديمة  
لاستخلاص حريتها وأخذ البريطانيون الثورة بوحشية لا زالت متعقبة على كل وحشية  
عداها، ولكن بعد الثورة أراد القائد البريطاني أن يلقن الهنود درساً لا يسونته فامر أن  
يلقى هندي، أي هندي، على كل شجرة في الطريق الممتد من بشاور في كلكتا، وهو طريق  
أنشاء الإمبراطور (شيرشاه) بعرض الهند كلها أي حوالي ثلاثة آلاف كيلومتر، وأمر بأن  
يزرع الأشجار على جانبيه، وبذل نفس القائد على آخر أباطرة المغول ووراءه ضباطه  
يحملون صبيحة كبيرة من الفضة وقال ساحراً للإمبراطور (منذ زمن لم يتبادل الهنديا يا  
صاحب الجلالة، وقد أربنا بمناسبة انتهاء الثورة أن تحمل لك هذه الهدية) ورفع الفطاء  
عن الصبيحة ووجد الإمبراطور رؤوس أولاده الثلاثة الشبان!

وفي سنة ١٩١٩، وعندما اشتركت الهند في الحرب العالمية الأولى ومات أكثر من مائة  
ألف هندي هندي، واستمع الهنود إلى صحف وولسون، عقد اجتماع سأم في مدينة

امريستار لبحث مطالب الهند بعد الحرب، ورأى القائد البريطاني أن هذا تحد سلطنة الملك والإمبراطور . فذهب بجنوده إلى مكان الاجتماع، وحاصر المحتشمين وطلب مدامعه الرشاشة التي حصدهم جميعاً بلا استثناء، وهي «لديحة المشهورة بمدحة امريستار، ولم يكف الحبال الصندد بهذا ، بل أمر بأن لا يسير الهنود في بعض شوارع أريستار إلا سيراً على أربع كالنوب، ورفع النعم لبريطاني في عدة أماكن وأمر أن لا يمر هندي إلا ويركع ويحيى العلم البريطاني

وهي سنة ١٩٤٢ بدأ السخط يعم الهند للمطالبة بالاستقلال وكان السخط علي أشده في مقاطعة البنغال، وهي دائماً قلب الثورة في الهند، فهاقتل البريطانيون جماعة أعنوا صراحة أنها لا ذلال البنغاليين ولا رغابهم علي التطوع في جيوش الإمبراطورية، ومات في هذه المخاصمة علي أقل تقدير رسمي ثلاثة ملايين، وكانت الأمهات يتصارعن مع الثعالب والسنور علي قطعة من لحم آدمي يطعمن بها أطفالهن كما كتبت الأديبة الهندية (إيلاش). وفي سنة ١٩٤٧ حينما تقرر تقسيم الهند إلى هندوستان وباكستان أدكى الموطعون البريطانيون بارهقنة ووقف ضباط الجيش وأوليس البريطانيون متفرجون علي أبشع مذابح في تاريخ البشرية كلها وهي المذابح التي مات فيها علي أقل تقدير سبعة ملايين والتي زرعت محيطاً من العداء ولحقق بين الدولتين لازل قائماً حتي الآن

ولقد حكم البريطانيون الهند ما يقرب من مائتي عام عرفت الهند من خلالها ٢٨ محاعة كبرى أي في كل الهند، أي بمعدل محاعة كل ستة أعوام، وعرفت الهند ١١٢ محاعة صغرى أي في ناحية فقط من الهند وبمعدل محاعة كل عامين تقريباً.

وحسبما بدأت منتجات لاكتشير تفرو الهند ولم يجد الزواج الكافي، أمر حاكم الهند ونائب الملك فقطعت أصابع كل عمال النسيج البدوي من الصنع المهرة والفنانين وذلك حتي لا تفق أصابعهم الخلاقة أمام إبتاع آلات لاكتشير

وهذه مجرد عينات وليست القصة كلها طبعاً ، ولهذا فإن إزاحة كل هذه الآثار ومحوها وإعادة ترميم وبناء المجتمع الهندي والفرد الهندي، مهمة شاقة هائلة تتطلب وقتاً ومصاراً .

ويقول الكثيرون أن الهند تستطيع أن تسير بأسرع مما تسير، بل وأن الهند يجب أن تسير بأسرع مما تسير وأنه لا بد أن تتناسب السرعة مع شدة المشكلة ، وأن الهند لن تستطيع أن تفق جسداً لجانب مع الصين واليابان وإسيا السوفيتية ومع الجمهورية العربية المتحدة وبنينا وعدا إلا إذا قدمت طريقاً جديداً فعلاً ونموذجاً حلالاً يحتذى لتحقيق الثورة الاجتماعية.

وربما كان هذا صحيحاً في بعض أوجهه، ولكن العدل بالنسبة للهند، أن لا ينسى أحد أن معركة الهند التحررية كانت مختلفة ومغايرة تماماً لأي معركة أخرى وأن المجتمع الهندي مجتمع معقد، يختلف عن أي مجتمع آخر.

ومعركة تحرير الهند بدأت في أوسط القرن الماضي وبدأت كما لا يعرف الكثيرون هنا كمعركة إرهابية عنيفة بدأها شباب لينغال بسلسلة من الأعمال الفدائية الخارقة، روعت البريطانيين القضاء على الإرهاب بالارهاب، وحاولوا تقسيم مقاطعة البنغال كلها، وإنكسار الصراع الديني ولكن فشلت كل محاولاتهم

واهتمدى بريطاني مصطلح إلى أن خير وسيلة لامتصاص وتوجيه وتبرير هذا السخط هو إنشاء حزب سياسي يجمع المثقفين والوطنيين والطبقات الوسطى والمستبعدة ويخلق وطيدة إصلاحية معتدلة، متعارفة وموالية للتاج البريطاني، وبشأ حزب المؤتمر الهندي في رعاية البريطانيين ولحسابهم، وقل المعتدلون يسيطرون عليه حتى ظهر غاندى، وتولى قيادته وانتزعها من المعتدلين، وحول حزب المؤتمر من ناد سياسي أرسنقراطى للمطالبة المهذبة لدستورية إلى حرب جماهيرية ثورية يطالب باستقلال الهند وإن كانت الثورة قائمة على اللاعنق وعدم التعاون.

ومهما تكن تطورات حزب المؤتمر إلا أن جناح المعتدلين ظل قائماً وقوياً في الحزب وقد تدعم بعد ذلك بمعتدلين من طراز آخر ونوع آخر.. كنوا دانتا تحييون فرصهم ويترقبونها، ويفيدون منها، وكانوا لا يلقون بأطماعهم وأحلامهم دون السيطرة على الحزب وتوجيه الحركة الوطنية ثم الثورة الاجتماعية كلها.

إن الطريقة التي تنهز بها بلد ما أي ثورتها الوطنية تنعكس دائماً في ثورتها الاجتماعية، وأن طبيعة المجتمع إذ كان هذا المجتمع ذا خصائص وكيان فريد مختلف تطبع وتوجه الثورة الاجتماعية ولم يشأ هذا ملغماً ثبت وتكد في الثورة الاجتماعية الهندية.

وقد تحررت الهند وتحققت الثورة الوطنية لأن عاصدي عا الهند التقليدية، هند الفلاحين والقرى ولأن بهرو عبأ الهند المتطورة وهند المستقبل، وقاد المعركة وتحررت الهند بلا علف لأن غاندى تلفح بشاله وحمر عصاه وطاف كلها قرية قرية ومدينة مدينة واستطاع أن يوقظ شعباً من أرمعانة ملبون، كان قد سحقهم الاستعمار. وامتس كل وأخر قشرة من سماتهم ولم يبق فيهم القدرة على أن يقفوا على أقدامهم، أو على أن يفتحوا أعينهم ليروا النور والحياة. وتحررت الهند لأن غاندى استطاع عن طريق فلسفته ودعوته وشخصيته أن يمس شمل هذا الشعب الذي مرقه وفتته الاستعمار وأن يدفعه إلى المعركة كجيش عرمم لا



يتقهقر لأنه يعنى مقدامة زحفه ، وتحررت الهند لأن عاندى استطاع أن يحيل الشعب الخائف لمذبح الدليل لأعزل من أى سلاح شعباً مجتهداً متحرراً من الخوف ومن الذى يبدع بلا سلاح أندأ سوى قوة روحه ليواجه المدافع والرماس المنهمر ويسقط الصف الأول فلا يترجع رجل واحد من يتقدم الصف الثنى وهو يشتد أوشيد الجينا ويقرأ سور القرآن أو يعنى آيت الإنجيل، أو الرنداستا وهى كتب ديانات الهند الكبرى.

وكنت هذه هى المعجزة التى وضعت اهند على طريق الحرية وهو طريق كان عاندى نفسه يؤمن أنه طريق طويل شاق وأنه لن يتحقق بطرد الإنطير فقط، ولكن (بعد أن تسمح كل دمة فى عين كل هدى) ولعل عاندى بعبقريته وإلهامه قد أدرك أن صورة المستقبل تختلف عن القرية القديمة السعيدة التى كان يؤمن بها، ولعل هذا الإلهام و لعبقرية هو الذى جعله يحمار بهرو (ابى وخليعتى) ولم يكن نهرو يؤمن باللاصف، بالعدينة كعقيدة وإنما كسياسة ولم يكن نهرو يسير وراء عاندى كأحد حواريينه، ولكن كما قال نهرو لأن الجيفير كانت تسير مع غاندى ولأنه أن يسير مع الجماهير، وكانت صورة الهند حيال بهرو غيرها تماماً فى خيال غاندى كان عاندى بالنسبة لبهرو قنيساً تهرع إليه الهند كلها، وسواء فهمه أم لم يفهمه، وسواء أسأ بفلسفته أم لم استطع أن يؤمن . فلا بد أن يكون إلى جواره نثر فيه ويتأثر به ويتفاعل معنا ويتفاعل معه لأنه يملك الشعب ويقود الشعب، ويجب أن تكون حيث يكون الشعب.

وكن نهرو يؤمن بالعصر الحديث، بالآلة والصناعة الثقيلة والحييفة، بمصانع الصلب ولسود، والكهرباء ويؤمن بالاشتراكية، وعدالة التوزيع وكان يرى أن حصارة العرب وثقافة العرب التى استعملها البريطانيون لتطعيم وتعميق استعباد الهند واعتصار دم الهند لابد أن تقلب رأساً على عقب لتحقيق رخاء الهند وتؤكد سيادة وقوة الهند.

وكان بهرو وعاندى يعرفان تماماً أين يلتقيان وأين يفترقان.

وكان حينهما لبعض وتعايشهما فى بعض لا حد له، وكانت هذه العلاقة التاريخية محوراً التفت حوله كل قوى الهند والقوى الدافعة لتحرر الهند.

ولكن الصورة لا تكون كاملة ومعركة الحرية لا تكون واضحة إلا إذا «استكملنا الفصول الأخرى وهى كثيرة وحاسمة.

وقد تحررت الهند لأنه حدث أيضاً فى عام ١٩٤٢ ، أن أطلق عاندى صيحة « عاندرو: الهند» وطلب إلى البريطانيين لجلاء هوراً لكي يستطيع الهود أن يدافعوا عن وطنهم لا عن الإمبراطورية الرئاسية، ودعا عاندى الهود إلى الكفاح بلا عف فى سبيل تحقيق هذا

الحلا، ورد البريطانيون على هذا باعتقال غاندى وكل زعماء الصف الأول والثنى وثالث بلا استثناء، وانفجر الشعب الهندي بقيادة شباب لجناح الاشرافي هي حرب المؤتمر، وكانوا قد طرحوا سياسة اللا عنف والعصيان المدني، وأعلنوا أن الهند لن تتحرر إلا بالكفاح المسلح، وأن غاندى قد قاد الهند طويلاً ويجب أن تقوده الهند، ودارت معركة سنة ١٩٤٢ التي سقط فيها مالا مقر عن ٢٠ ألف شهيد ودمر فيها الثوار الهنود شبكة المواصلات، والإمدادات لبريطانية في الهند وأثروا أربع هي أرحاء الإدارة الامبراطورية، ونحزرت الهند لأنه من خلال الحرب استطاع (سويها تشندر أنوز) الرعيم ليعالي لثائر، والرجل الذي تحدى غاندى واستطاع أن يمرع رئاسة حرب المؤتمر ضد رادة أبي الأمة، ستماع أن يهرب من الاعتقال وأن يذهب إلى المناء واليابان، وأن يكون حبشاً من الأسرى الهنود وأن يتقدم به لتحرير الهند، ولم يهر خيال الهند زعيم مثل نشارندرا نور وملحمة مثل ملحمة جيش التحرير الوطني الهندي، وكس نور يعتقد أن عاسى مرحلة من كفاح الهند، وأن مهمته انتهت بيقاط للشعب، وأن حرب المؤتمر يجب أن يتحول إلى حرب ثوري يؤم بالعنف والكفاح المسلح وأن الهند لن تتحرر وأن الثورة الوستية والثورة الاجتماعية لن تتحقق إلا بثورة حقيقية مسلحة ضد الاستعمار

وقد صهر الجيش لوطنى الهندي كل عناصر الأمة الهندية وكان قائده ضابطاً مسلماً هو الكولوبيل (محمد شاه نوارخان) وكان ضباطه من الهندوس و لسيح والمسمين، حتى أصبح رمزاً أسطورياً لوحدة الهند، ولم يرتعد لبريطانيون لشيء مثل قيام هذا الجيش الذي لا زال حتى الآن حديث الهند، ولا زال أبوز أيضاً أسطورة .. يؤمن جمهير النعمال أنه سوف يعود.

ونحزرت الهند لأنه في سنة ١٩٤٦، انعجرت في يومى ثورة في الأسطول الهندي من البحارة والضباط لشبان وما لبث أن تصام معها الجيش والطيران الهندي.

ولأول مرة في تاريخ الهند حول هؤلاء مدافعهم لا نحو إخوانهم وأبناء وطنهم ولكن ضد العاصب المحتل وكان لحيش الهندي الإمبراطوري وولاءه لأعمى للإمبراطور هو الأساس الذي ارتفعت عليه الإمبراطورية البريطانية في الهند مل ولأساس الذي قامت عليه الإمبراطورية في آسيا كلها ولعله ذا كان هناك دليل على مدى الاستعداد والاستخذاء الذي يصل إليه شعب هو هذا الجيش، وكانت ثورته دليلاً على أن جذور الثورة قد امتدت إلى كل شيء، وأن العمود الفقري للإمبراطورية قد نهوى

وتحررت الهند لأن مائة مليون مسلم في الهند، وهم الأقلية الكبرى قد غدوا بهم نسو

أقلية ، ولكن شعب له حق تقرير مصيره وأنهم لن يكونوا بعد الآن مخالط قط في يد لاستعمار البريطاني وأنه لا بد لهم من الحرية والسيادة في نطاق هند مستقلة وموحدة أو مقسمة. وقد قامت الإمبراطورية البريطانية في أساسها الآخر على التفرقة بين الهندوس والمسلمين، وعلى تفصيل وتفسير طبقة معينة من المسلمين ومن لهندوس لتحقيق هذه العرقه ولكن حماهير لمسلمين في الهند التي ستغل ظموها للحرية، وصممت على تحقيقها ، ووجدت في محمد علي حبه، قائدها حرقت هذه الصنقة وهذه السياسة وقوضت أركانها

ثم تحررت الهند لأنه خلال الحرب العالمية الثانية ، نمت قوة الحزب الشيوعي الهندي نمواً كبيراً وكان هذا لحرب قد وقف ضد الحركة الوطنية وعارض في حركة «غاندوا» الهند، وأعلى تأييده للمحسوب الحربي البريطاني بعد دخول الاتحاد السوفيتي في الحرب، واستطاع البريطانيون استغلالاً بارعاً في إنشاء الحرب لتخريب الحركة وأرادوا التخلص منه بعد الحرب، حتى لا يعدوا خطراً يهدد المصالح البريطانية الراسخة العتيدة في الهند.

وتحررت الهند لأن الاتحاد السوفيتي قد ظهر على المسرح العالمي كقوة نولية كبرى في اسيا وأوربا، وأيقظ هذا كل ذكريات الصراع «لروسى البريطانى طوال قرنين من الزمان على حدود الهند ومن أجل الهند..»

وخشى البريطانيون أن يستغل الروس الحزب الشيوعي أو السخط الوطنى في الهند، وأن يستغلوا الأحزاب الشيوعية في اسيا أو السخط الوطنى في اسيا ضد قلعة الإمبراطورية ودرتها وجوهرتها الكبرى

وتحررت الهند لأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد قررت أن تجعل من الصين قاعدتها الكبرى للتوسع الآسيوى ولالإمبراطورية الأمريكية هي آسيا، وقررت أن تجعل من الرأس ماليين، الصينيين رجالها، وعملائها، وأعمدة نفوذها في التسلسل والسيطرة الاقتصادية على اسيا، ومنعت حررتها لتشينج كائ شيك وأدكت كل شهواته ومطامعه ليكون رجل اسيا الأول.. كما تصور

وتحررت لهند ، لأنه من خلال الحرب العالمية الثانية كانت الهند هي قاعدة التمويل الأولى في آسيا، وبعث فيها صناعة واسعة النطاق، وطبقة صناعية وتجارية كبيرة. ووصلت الرأس مالية الهندية لتي بدأ نموها متعزراً منذ الحرب العالمية الأولى، إلى ذروة كبيرة من الثراء والنفوذ، ورأت مصالح واحتكارات بريطانية كثيرة أنه من الحكمة أن تدخل مع هؤلاء اليهود هي كارتلات وترسات بسمة ٤٩/- / ٥١ / واستطاع هؤلاء الرأس ماليون اليهود الذين كانوا يمتصون مقدار من لنفوذ في حرب المؤتمر أن يوطدوا سيطرتهم على مراكز

السلطة هي الحزب، وأن يدعموا سيطرة رجالهم على لجانه وتنظيماته الرئيسية ، وكان رجلهم الأول هو هندوكي رجعي متعصب رهيب يسمى (السردار باتل) كان السكرتير العام لحزب المؤتمر وكانوا يسمونه قنصة الهند الجديدة وبسمارك لهند والقوة الحقيقية. إلى جوار الحاكم السبع في أحلامه و لدى هو جواهر لال نهرو.

ومد علق البريماثيون كل آمالهم على هؤلاء، وعلى الصراع الداخلي في الحزب الذي كان يشهد كل يوم بين سردار باتل وما يمثله وبين جواهر لال نهرو وما يمثله وبين القوى «لى وراء كل معهما.. ووثق البريطانيون بأنهم سيحققون في الهند تجربتهم في الذي وضع أسسه بيقين و«ستعماريو حزب العمال

وكان الرأسماليون الهنود مثل الاستعماريين البريطانيين يحافون من الاشتراكيين، ومن الشيوعيين ومن جماهير المسلمين ومن الاتحاد السوفيتي وكانوا ينظرون بقلق لأطماع الرأسماليين الصينيين ووراءهم الولايات المتحدة الأمريكية.

وأدرك البريطانيون أنهم يستطيعون أن يفتحوا الهند عن طريق هؤلاء استقلالاً معتدلاً.. وأن يتركوا لهم السلطة السياسية كلها، مقابل الاحتفاظ بالسلطة الاقتصادية وأقسامها معهم بالنسبة ٤٩/- ٥١ / واستيقظت أمامي هؤلاء الرأسماليين ورعت أنصارهم نحو الشرق الأوسط وكتوره والشرق الأقصى وحبوب شرق آسيا وذخائره.

وكانت «ثورة الاحتجاجية هي معركة نهرو وحده ضد هؤلاء.. وربما كانت أقصى من معركة الثورة الوطنية ضد الاستعماريين البريطانيين لأن هؤلاء أثبتوا في وقت قصير جداً أنهم أقصى بكثير على شعبهم من المحتلين الغاصبيين.

وقد كانت معركة نهرو وهذه، لأن الاشتراكيين انسحبوا من حزب المؤتمر الذي سقط في رأيهم في أيدي (بيرلا ترماليا) وشنوا معركة لاهوادة فيها ضد حزب المؤتمر.. ولأن الشيوعيين أظنوا حرباً أهلية طبقية ضد الحكومة الوطنية.. وخطوا بين نهرو وبين هذه الطبقة وعدوهم شيئاً واحداً، وسموهم كلاب حراسة الاستعمار الإنجلو أمريكي) ولأن جماهير المسمين قررت وأهمرت على تقسيم الهند وعلى أن تستقل موطئها هرباً من طغيان هؤلاء الذين كانوا يحطون التعصب الهندوكي وإيقاظ هندوكية والتراث الهندوكي، شعاراً وقناعاً لأطماعهم

ثم لأن الأجهزة التي كانت تحكم الهند وتديرها وتستغلها لحساب الإمبراطورية بقيت كما هي، لأنه لم يكن لدى حزب المؤتمر الذي كان مكوراً من خطباء ومهيجين وهانمين ومقاومين روحيين كادر ممن يصحون للإدرة ودقائق لحكم، ثم لأن (المعتدلين) رُ دوا

استيقاظ هذه الأجهزة، لاحتياجاتهم ولتشقبت القوى الحديدية المعانية.

بقى رجاله الألى سى أس، كم يسمونهم فى الهند، وهؤلاء طبقة من أبناء الأسر الكبيرة لولاية البريطانيين فى الهند دربهم البريطانيون تدريباً محكماً فى كسفورد وكمبريدج وفى ملاعب الجولف والبولو، وخلقوا منهم (الطوق الفولاذى) لدى حكماء الهند حكماً غير مباشر..

وبقى صباط الجيش الإمبر صورى الهندى، الذين حاربوا كل معارك الإمبراطورية والذين حارب أبائهم وأجددهم أيضاً تحت راية الملك وإمبر طور، وكانو يشعرون بالزهو والفخر لهند..

وبقى المهندز لبوليسى الذى كان يطلق الرصاص والمدافع لرششة على مظاهرات لطلاب الهند الذين كانوا ينشدون لجيتا وحميات عاتدى.  
وبقيت الصحف التى كانت حرباً على الحركة الوطنية وعلى الرعماء الوطنيين والتى أنشأها وأدراها البريطانيون أنفسهم ونشيب الراى العام الهندى  
وبقى الأساتذة الذين زعموا تاريخ الهند، ومولوا عقول الأحيال الحديدية بالسفساف والسموم.

وشعر أحد الحكام البريطانيين بالثقة فترسل خطاباً مشهوراً إلى (ليدل هارت) العقب لهربرى اليريدنى المشهور يقول «يا عزيزى ليدل لا تحف لقد تركنا وراءنا كل ما يضمن استمرار وازدهار مصالحنا فى الهند وباكستان» ووقع الخطاب فى أيدي صحفى باكستانى فنشره وأحدث ضجة.

وكتبت التايمس نقول (إن مصالحنا الاقتصادية بعد الاستقلال أعصر بكثير منها قبله.. ونحن نكسب كثيراً بغير أن نتحمل تبعات الحكم».

ولم يمض زمن طويل حتى تحقق اسمعيع أنهم لم يفهموا حق الفهم (جواهر لال نهرو) ولم يقسموا حق التقدير مواهب جواهر لال نهرو. وأنهم فلو كثيراً من دكانه وإرثه ولم يكن جواهر لال نهرو اليريدنى الذى يحتفون وراءه بولا لعالم الهائم الذى يستعصبه واحبه أمام الشعب، ولا صنام الأمر الذى يعص ويبدد سحق الشعب. كانت فلسفة نهرو دائماً هى «لا يستطيع أن يكون مثاليين بغير أن نكون واقعيين» فمثالنه يعبر واقعية نوعها فى الأوهام، ولواقعنه يعبر مثالية نوعها إلى لانتهازية ويهده الاستراتيجيه استطلاع نهرو أن يشنب محالهم ويقصر أحسنتهم وبحولهم من اسداة ولهجوم إلى، لا يحصر ومحدد الناح.

كمالا

---

« قصة غرام نهر »

---



كانت كملا- قبل أن أتزوجها- فتاة ساذجة بسيطة ولم تكن متعلمة لأنها لم تقض في المدرسة غير بضع سنين.. وقد ظلت بعد أن تزوجتها محتفظة بتلك الصلة «الطيفة» البريئة وطلت بعيدة عن عقد المرأة العصرية، وكانت كلما تمت ونضجت نجت أبوتها.

وكانت عيناها تزدادس عمقاً وحرارة وكان وجهها يبدو كبحيرة هادئة واسعة نخفي تحتها بركناً متأملاً لم تكن من هفوات العصر ولهذا ظلت على وقارها.. ومع ذلك كانت منفتحة الوعى لكل ما هو جديد، كان سحره وفقتتها أنها كانت في حوهره هندية.. بل كشميرية . حساسة وذات كبرياء وعزة بريئة وساذجة كانت ناضجة وعاقلة. وكانت أيضاً على شيء من الحق..

كانت أسرار صفاتها أمها تبدو متمهنة صامتة مع الذين لا تعرفهم أو لا تحبهم ولكنها كانت تملا الجو مرحاً وصحفاً مع الذين تألفهم حتى تبدو كالأطفال، وكانت سريعة الحكم على الناس وعلى الأشياء فكانت تحور في هذا الحكم أحساناً ولكنها كانت تحكم بإلهامها، وغريزتها ولم يكن فيها التواء قط فإذا كرهت بدا كرهها واضحاً . ولم تحاول أن تخفيه مراً حاول إخفاء غلبتها طبيعتها ففشلت والذين قابسهم في حياتي وأشعروني بالصرخة والإحلام منها.. لا يرينون على أصابع اليد الواحدة.



ولقد كنا في نظر الكثيرين روحين مثاليين ولكن المثل الأعلى دائماً بعيد المنال، قلت لها يوماً ونح في جريرة سيلان أنا سعيداً رغم كل النصاع وكل الفخامات وكل مفاجات الحياة.

ووافقتني على رأيي رغم أننا كنا نحترف أحياناً ونشدد في الخلاف إلى حد الثورة والغضب ولكن الشرارة المقدسة في علاقتنا ظلت مصيبة ولم نحاول إطفاءها فكانت الحياة بالنسبة لكل منا راحة شائعة وتكشف كل يوم عن شيء جديد يزيد كلاً منا مهماً للآخر.

كانت «كمالا» شبيهة «بشتر» بطلة مسرحية طاقور المشهورة كانت تبدو وكأنها تريد أن تقول:

«أنا بشر». لست آلهة تريد أن يعبدوا الناس ولست ضعيفة فتستحق العطف أو الرثاء ولكن إذا ما جعلني أقاسمك واجباتك العظمى نحو الحياة فستعرف حقيقة من أنا وستفهمني على حقيقتي».

لم تقل «كمالا» هذا بلسانها أنداً ولكني أنا الذي بدأت أقرأ في عينيها رويداً رويداً. وفي مستهل حياتها الروحية كتبت أكاد أنساها وأكر عليها حقها في زمالتي. الزمالة التي كانت تتصاف. وذلك لأنني كنت أعيش في عالم وحدي بيني وأحلامي أنا... وكان الناس يلوحون لأمري كظلال، وكان رأسي لا يحوي غير القضية التي اعتنقتها قضية «تحرير الهند» ولكن لم أنسب إطلاقاً بل كنت أعود إليها مرة أخرى كما يعود المسافر إلى واحة خضر، جميلة وكت إذا ما بعدت عنها أياماً ظلت فكرة وجودي تمنحني الطمأنينة وتجعلني أترقب العودة وكثيراً ما تساءلت: «ترى ما قيمة الحياة لو لم تكن هي هي حياتي لتهدني وتمنحني الراحة والسعادة ولتساعدني على أن أزيد جسمي وعقلي المنهوكين بما يجدهما».

وفي سنة ١٩٣٠ وجدت أحياناً أن الحل الوحيد هو أن تكافح معاً ووجدت في هذه التجربة متعة وسعادة وقطعنا معاً مرحلة شاقة وكانت الهند على شفا أحداث خطيرة.

كانت العاصمة على وشك التجمع وكانت البلاد تستعد لوثبتها الوطنية الكبرى وكانت شهراً رائعة ولهذا مرت بسرعة وأعلنت حركة العصيان المبني وقامت الحكومة باعتقال كل من استعانت باعتقالهم وبخلت أنا السحر مع كثير من رجالنا وفي تلك الفترة حدث شيء رائع. قررت تدوينا إلى نصف لأول وقت حركة الكفاح. لقد كن دائماً مع في الحركة ولكن في هذه المرة كن وحدهن وكن كل شيء. ودارت معركة أنهلت الإنجليز بل وأدللنا معهم فقد اجتمع جميعاً نساء الطبقة العليا وبنساء الطبقة الوسطى والفلاحات

لفقيريات كل أولئك اللواتي لم يعرفن من قبل غير حياة البيوت وفي كتف الأزواج وتدعفن في عثرات من الألوف متحديات قوة الحكومة وقسوة البوليس ولم تكن شجعنهن وحدها هي التي أدملت الجميع بل كانت قدرنهن هي النصيم أيضاً  
لقد شعرنا في سجنا بالزهو والفخر بنساننا وكانت قلوبنا تصطرم بالشاعر ومحبوبها تغرورق بالدموع.

وجيء بأسي إلى السجن وكان قد شد حركة العصيان المدي هي المدن وكس هو الذي شجع النساء على الاشتراك في الحركة وكنت أعرف الناس بأخلاق أسي بكربانه وبساليه القدسة وكان لا يحب كثيراً بثفت العصر ولا يحب اشتراكهن في الكفاح القاسي الذي كنا نحوضه ولكن تيار الشعور الشعبي أقنعه بغير هذا فلم يثن واحدة من النساء عن الكفاح حتى روحته وبياته وزوجة ابنه وكان أسي يقص علينا في السجن قصص كفاح السيدات ومالم تكن نعلمه وما كان باعتزفه موضع دهشة.

وكان يتحدث عن نساء بيته برهو وعطف.

ولعبت «كمالا» في الحركة دوراً كبيراً ملحوظاً ووقع على عاتقها عبء تنظيم المقاومة هي «الله اباد» كلها ولم تكن ذات تحرية في هذا الميدان ولكنها عوضت قلة خبرتها بكثير من الحرارة والحيوية اللتين كانتا تتدفقان من أعماقها ولم تلبث أن أصبحت رعية «الله اباد» وموضع فخرها

وإني لأذكر يوم قدمض على في «كلكتا في فبراير سنة ١٩٢٤» ودخلت «كمالا» إلى غرعتي لتعد لي بعض الملابس وتبعتها لكي أودعها وتعاتقنا وتعلقت بي بحارة ثم لم تلبث أن أقمت عليها وسقطت بين برعي وكان هذا عكس ما اتفقنا عليه وكنا اتفقنا على أن يأخذ كل منا الأمور بسياسته وعلى ألا تحفل بها مطلقاً فمادام حدث؟

هل كان هناك إلهام داخلي بأن هذا الوداع هو الأخير؟

لقد هرق السحن ببشنا حين كانت أحوج ما تكون إلى وحين بدأ كل من يعرف الآخر معرفة أوسع وكان هذا الحاضر موضع تفكير في أيام السجن لطويلة لثمة ولكن كنت أعود لأحلم بأن السجن سينتهي وسأعود إليها لستأنف حياتنا معاً على ما يريد  
ولقد جاءت ليررتي في فترات الزيادة التي كان مسموحاً به فكان كل من يحاول أن يتجلب وأن يصمد. ومع هذا فقد كنت أحس بأنها في حاجة إلى ولكن كيف أستطيع أن أساعدها من وراء القضبان؟

وفي الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٢٥ أطلق سراحني صداة من سجن «الموراء» ولما

سألت عن السبب قيل لي أن روحي تحتار مرحلة حرجة وأن الأخمار وردت بذلك اليوم فقط.

كانت «كمالا» نستشفى بمعدة على نالاف الأميال بمصحة للأمراس الصدرية هي «باديويار» بالفاعة السوداء بتانبا ولها أسرع إلى «الله اباد» حيث بلغت في اليوم التالي وفي نفس المساء ركبت الطائرة ووصلت إلى باديويار بعد أربعة أيام من وصولي إلى «الله اباد».

وقالت «كمالا» فرأيت على شفعتها تلك الابتسامة التي رسمتها الشجاعة الماثورة بها ولكن تدهور صحتها كان واضحاً وكانت الآلام تستد مها ويدو أن وصولي معها شيئاً من الراحة فتحسنت قليلاً في اليوم التالي وفي بضعة الأيام (التي تلتها) ولكن الأزمة ظلت قائمة وكان المرض قد حقف عودها وأحد يستل حياتها هي يده كرية.

وكان لأطباء على عانتهم يشجعوني على الاسترسال مع الأمل حتى بدا أن الأزمة قد زالت . وجلست إلى جانبها كما كنت أفعل دائماً ولم أحدثها طويلاً فقد كانت أضعف من أن تحتمل الأحاديث ففضلت أن أقرأ لها حصولاً من قصة «الأرض الطيبة» القصة المعروفة عن الصين ليرل باك وكانت «كمالا» تحب هذا كثيراً.

وكانت أغامر الدار التي استأجرتها كل صباح لأذهب إلى المصحة ثم أعود في المساء متناقل الخطي تضطرم الأفكار في رأسي وقضيت ليالي الحريف الطويلة وحيداً في عرفتني بالدار التي أزل فيها وأحياناً كنت أهتم على وجهي في الحقول المجاورة لها فتراحي لعيني صور حياة «كمالا» وجواب شخصيتها الخصبة العميقة.

واجتازت «كمالا» المصحة وتنفسنا جميعاً الصعداء وظللت إلى جوارها حتى جاء الشتاء وإذا بأزمة تتنابها فحاة ماتت معها حياتها وكانت معلقة بحيط ضعيف وكانت أنظر من خلال النافذة فلا أرى غير الثلج يعطي كل شيء وأحس صقيع الموت يدب إليها فأنقذت تعاؤلي ولكن «كمالا» تعلت على هذه الأزمة أيضاً بقوة عجيبة وتحسنت صحتها وبدأت في مرح متصل

وبعد بضعة أيام استولى على نفسها حزن مفاجئ وضطت إلى أن أنقلها إلى مكان آخر وألحت في هذا الطلب ولم أهتم له شيئاً وأخذت أسأل وعرفت أن ارلندياً صغيراً كان مريضاً معها في المصحة وكان يبعث إليهما كل يوم ساقاة من الورد وهجاء... بنقطة الورد وعرفت «كمالا» أن الطفل قد مات ولم ينطق البقاء في محيط ذكراه. وفي أواخر يناير ١٩٦٦ نقلت «كمالا» إلى مصحة أخرى في «لورن» بسويسرا وحيل إليها أن هذا الانتقال

قد أفادها إذ تسحتت صحتها و رداد إشراق وجهها واعتقدت أنه لن تكون هناك أرمات بعد ذلك.

وكانت الرسائل تأتي من الهند ملحة في عيني فقررت أن أعود وناقشت الطبيب ثم حجرت مقعداً في إحدى الطائرات..

وأعدت كل شيء للعودة

كنت أحس أن «كمالا» لا تريد أن أعود ،ولكنها لم تقل هذا فأكدت لها أن برقية منها تكفي لأن تعيدني إليها على الفور

وقبل موعد سفرى بأربعة أيام طلب إلى الطبيب أن أدخل سفرى ولم يزد حرقاً واحداً فوافقت من غير تردد.

وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٢٨ من فبراير لمضت «كمالا» أحر أنفاسها وبقلت لي حش أحرق جسدها وفقاً للطبوس وهي حلال. دقائق تحول الوجه الحامل لمعنى الإنسانية والشجاعة إلى حفنة من التراب.

لقد تحولت الحياة التي كانت متدفقة بالنور والرحمة إلى رماد خيمه في رجاجة هي ما بقي من «كمالا» التي أحببتها! وسافرت به إلى الهند!



## مذكرات سجين

---

فيجايا لا كشي مي بانديت

شقيقة نهر وسفيرة الهند في أمريكا

---



## ١٢ من أغسطس ١٩٤٢:

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل حينما استيقظت من نومي معروجة وأصأت لنور فوجدت «سدا» حادمي واقفًا على حافة السرير.. ولما سألته ماذا يفعل ؟ قال أن البوليس قد وصل وأنهم يريدون أن يروني.

ولقد كانت رأسي ساعند ثقيلة مصطربة وتموج بكل الأحداث التي تعاقبت في حلال الأربع والعشرين ساعة الماضية وكان الرصاص الذي حصده مواكب الطلبة لا يزال يدوي في أذني، وكانت وجوه الذين سقطوا ووجوه الذين حملتهم إلى المستشفى لا تزال ماثلة أمام عيني . كل شيء في كان مهدماً..

عقلي وجسدي وروحي على السواء . وكانت الحياة وكل صورها تبدو متهجرة معكوسة أمامي..

وكانت البنات ذنعات في الفراش فلم أشأ أن أوقظهن  
شهدت «لبكاء» و «تأراء» أهداث الأمس وحبيب أوتّ إلى مخدعهم كائنات مهكتين  
تعستين.. ولا أظن أن ما رأته سيمحي قط من ذاكرتهما .  
وخرجت إلى بهو الدار وأهيمست أن هناك حشدًا من الجنود والضمباط وما أن  
أصأت النور حتى نهشت فقدت وحدت كل ركن قد مثلاً بهم . بعضهم في سترهم الرسمية



وبعضهم هي ملابس عادية ورأيت شرنمة معهم نصعد إلى القرائدة حيث تنام النكات  
معضيت وأمرنهم أن يعودوا وطلبت إلى الجميع أن يعادروا لكن وأن ينظروني هي  
الحديقة

ويسر أن حكمد ر اليوليس قد ضايقه هذا فقد قال لي أن معه أمرٌ مالمص على هودت  
علمه فائقة ولكن أي ضرورة لكل هذا العدد من الجود المساحين للقبض على سيدة عزلاء  
وهي مثل هذه الساعة الشادة ورد قائلاً إن معه أيضاً أمرٌ بتفتيش المنزل كله متركتهم  
يفعلون ما يريدون وذهبت لاستعد للسجن.

وهي الواقع لم أكن أتوقع أن يقصر على ولهذا كان الأمر مفاجأةً سحيقة فلم يكن هي  
البيت أحد مع لسات ولم يكن في الوقت متمتع لكي أرنب لها شيئاً وقد وصلت أدير ابنة  
أخي من يومئذٍ مد يضع ساعات فقط ولهذا صعدت لكي أقبلها قلة ودع ولكي أوصيها  
بأيدت وبعد حدث عاجل ذهبتا لوقفن وبخبرهن بالأم

وكن شجاعات بأسلات كالعادة وتركى الموقف فوراً فتقبله هي بساطة وهي حماس..  
من وبعد لحظات كن يسعدنني في حزم حقنني وحررت «ليكا» إلى المكتبة وأحضرت  
صعة كتب دستهم هي حقائبي ولكن «ريتا» تلك ساكنة تنظر إلى نظرات ساهمة بعينيها  
لواستعتين المتلفتين بالتوم وكلما بصرت إليها أنا- حاررت شجاعتني فقد كانت «ريتا»  
صغيرة والعالم كبير ولا أحد لعني به.

وكنما أخصت هي بما هي نفسي إذ تسست قائلة «هي أدت إلى السحر معك يا  
ماما» وأرحت الكلمة كل همومي وضحكنا جميعاً وحنيت أنا أقبلها وحنسها بحرارة  
وقالت تارا «سوديك يا ماما في الحديقة لسرى الموليس كيف تقابل سرنما هذه  
الأحداث».

وخرجن جميعاً معي إلى الحديقة وحيب افترنا من الموليس قالت «ليكا» هي صوت  
عال «ماما العزيزة لا يهمي شيء سأعتني أنا بالجميع بوصاكت «تارا» .  
«وداعاً يا ماما ستحتلظ بالعالم مرفوعاً وكانت «تار» متحمسة مرفوعة لرأس تشعل  
عيدف بيريق عريب وبعلقت «ريت» الصغيرة بي لحظات ثم قالت في صوت قوى حوى  
«ماما.. اعنتي بنفسك وستحارب نحن الإنجليز خرج لسجن».

ووجدت على الباب في انتظارى ثلاثة لوريات مشحونة بالجود ووجدت كل الشورع  
والطرقات التي تؤدي إلى المنزل محاصرة وطلب إلى الحكمدار أن أصعد مجانته إلى أحد  
الوريات فصعدت

ولقد كانت الأحكام العرفية معلنة في المدينة ولهذا كان الظلام يسود كل شيء وكان الجو مكهرباً عنيفاً مشحوناً بالاحتمالات. وكلما تعدت السيارات إلى شارع تدافعت إلى رأسي الأحداث ليس فقد أحد ث لأمس وإنما كل أحداث العشرين عاماً الماضية. وهبما وصل الموكب إلى جسر «الجمعة» أوقفها الحراس لتأكدوا منا ولدهشتي ظللنا مدة حتى اقتنعوا وتركونا نمر.

وقد عجبت وأنا أشاهد هذه الدقة بأي ولاء خمسين يزرعه السربانتون في نفوس خدمهم وعملاتهم

ووصلت إلى السجن في الساعة الرابعة صباحاً ويبدو أنهم لم يكونوا على علم بزيارتي فقد شرت مشكلة انتهت بأن قدوسى إلى الجراح الذى أعرفه جيداً.

وكان الصداق يفتك برأسى ومقاصلى تكاد تنهار فلم أستطع فقد أن أنام وظللت أفكر طويلاً في «ليكا» وأخشى أن يكون مصيرها مثلى إلى السجن ومي لساء هفتى قبل أن تنام و أخذت تحدث في حدة قائلة «ماما سيمضى وقت طويل قبل أن أستطيع أن أنسى ما رأيت اليوم.. وسيمضى وقت طويل قبل أن أستطيع اقتلاع الحقد والكراهة الذى يطغى على كل حواسى. إن الحياة العادية الطبيعية قد انتهت بالنسبة ليا. وحب أن نمضى في الطريق وحتى النهاية».

### أول سبتيمير

إن الأيام هنا طويلة.. طويلة.. لا تنتهى ويبدو لى أن لير لسجن أكثر ساعات من ليل الحياة. بل إن الزمن هنا يطول أكثر مما يجب.. إن كل يوم تشهر وكل شهر سنة وكل سنة بقرن كما قال جواهر لال.

ولقد كان اليوم عيد ميلادى وجاء ضابط لسجن يهنئنى ويسألنى كم عمري؟ وقلت له لا أعرف. وأب حلف لا أعرف.. إسى أحس وكأننى عشت من حلال عدة قرون طويلة طويلة... ولقد أخذت أتذكر اليوم ما قيل لى يوماً أننا لن نستطيع أن ندرك الزمن من حلال كرة من الزحاج أو من حلال صمغيات يوميات وإنما من حلال أرو حيا. وإذا ما سنفرت ثرواحد فى سبات. حثم الزمن وطال.. وإذا ما استيقظت واصطُرمت يوم بالأسى ويوماً بالآمل ويوماً بالهفة فقد تحمل ساعة في ثابها ما لا تحمله عشرات السنين الجاعة

### ١٥ من سبتيمير

إننى أطلع الذيلة إلى امسة جميلة في صحبة كتاب بديع أعطته لى أندريا هو: أحمل رسائل لتاريخ» وأنا أريد أن أستغرق كل وقتى فى شيء لأننى لا أعرف كم تمتد مدة

السجن هذه وأحياناً يلقى الحبس إلى ليت وإلى الدت.. يجب أن أقهر هذه النزوات.

١٦ من سبتمبر

إن تصور الحياة بغير كتب أمر فطبع تماماً كتصور الحياة بغير رسائل  
لقد قرأت في مقدمة الكتاب أمس «أن البريد هو سلقى الحياة الوحيدة وطالما في  
الحياة سعاة يريد فلن يفتّر حماسنا للحياة أبداً».

وما أظن أن هناك أحداً في الحياة لم يشعر هذا الشعور يوماً وما أظن أن أحداً ما لم  
ينتظر يوماً في لهفة ساعي البريد يحمل إليه رسالة .. رسالة واحدة فقط.

أكتوبر

إننا نعطي الطعام أهمية أكثر ما يستحق .. وهذه حقيقة لا نعرفها إلا في السجن .. ولهذا  
صممت اليوم على أن أطرح الطعام من حياتي.. فلقد مرضت وأنا أحاول أن أطهى طعامي  
وعلى موقد فطري وبمواد عريضة يسمونها تموين. ولم أجد سوى أن أطرح فكرة الطعام  
نهائياً وأن أكتفى بالخبز والشاي.

والشاي في السجن شيء لا يصدق ولقد كانت تجاربي في الشاي عديدة ومتفاوتة وهي  
تتراوح بين الشاي المعطر الذي كانت تعذب به إلى مدام تشياج كاي شيك وبين الشرب  
العسلي الذي لا يوصف والذي نتحرره من خلال الانتخابات  
ولكن شاي السجن تحريرة فريدة لم تمر في حياتي من قبل وأحياناً يهين لي أنهم  
يزرعونه فقط وخاصة للمساجين..

أكتوبر

أخبرتني السجاة اليوم أنها قد حصصت لي خادمة من السجينات العاديات تساعدني  
في الطهي وهي تنظيف غرفتي وجات السجينة وكان «سما» «دورجي» ومنها عرفت أنها  
في السادسة والعشرين وأنها تقضي حكماً طويلاً لقتلها زوجها.  
ولقد كانت «دورجي» سوداء كالحة ولكنها كانت سمحة لطيفة المعشر ومهتبة حتى لقد  
أدركت فوراً أننا سنصبح أصدقاء..

وأحدث «دورجي» تحدثتي حديثاً طريفاً عن السجن وعن قسوة ومواربه الاجتماعية  
ومنها عرفت أن لكل مكان حتى السجن أصوله وحدوده الدقيقة فقد عرفت مثلاً أن القاتلات  
يتربصن على قمة السلم الاجتماعي وعن تحتين السارقات ثم النشالات ثم المحلات ثم  
مزيفات النقود ثم في الدرك الأسفل البغايا وتاجرات الأعراض.

ولقد فهمت ساعتئذ ما كنت أسمع حينما كانت تثور ثائرة السجينات سنة ١٩٢٢

وتقف إحداهن متهددة وتصيح «كيف تجرؤين على معاملتي كما لو كنت سارقة.. إنني هـما بحكم قتل»

ولقد كنت أول ما سجلت سنة ١٩٣٢ أخاف من هؤلاء النساء»

ولكن بعد أن عرفت «دروجي» تغير قهقي للإنسانية كثيراً.

وبدت يوم من خلال الحديث وكنا نجلس كثيراً لنتحدث روت لي «دروجي» قصتها وهي قصة عادية، قتلت زوجها لأنه يضربها ويهملها ويحرمها من الطعام «وروت لي كل التفاصيل الكريهة المزعجة بشعف وكأنا تستمد نشوة عميقة من الذكرى.. تزداد وتطول كلما ذكرت كيف فحمت حمايتها القاسية هي أسفا الوحيد».

وتركت «دروجي» ولداً في الثانية من عمره ودخلت السجن بينت في الشهر السادس من عمرها وماتت الفت بفعل السحر الأسود كما تقول.. ولكن الولد لا زال حياً.. وهو الآن في الحادية عشرة من عمره ولم تره مرة واحدة منذ سجلت

وفي كل يوم كانت تتابها بوية تشجع ويكاء عتيقة على ابنتها الذي لم تره وأجلس أنا بجانبها لأسري عنها

١٢ من نوفمبر

استلقيت على سريرى.. وأخذت أنظر إلى السماء وأتأمل السجوم إنها تمسحت دائماً شعوراً بالطمأنينة. هي ساكنة عادية لا تغير من كل ما نراه من حماقات البشر ولكنى أحياناً أسمع صوت الطائرات.. وهذا الصوت يثيرني ويبعث القلق والعذاب في نفسي.. ويجعلنى أريد أن أحطم هذه القصص.. إن من الحماقة أن يوضع البشر في أقفاص إن هذا لا يحل أى مشكلة قط إن العالم يسير في حلقة مفرقة ويعود دائماً إلى حيث بدأ أى معنى للتقدم أنها مجرد كلمة .. مجرد كلمة.

يناير.

كانت صدمة كبرى لي أن أعرف اليوم يموت «مهديف ديزاي» في السجن بالسكك القلبية. ولقد قضيت يوماً تيمساً أليماً.. فقدت فيه كل سيطرتى على نفسي.. وأخذت أبكى.. إن صور حياة «مهديف ديزاي» تتابع أمامى وأستطيع أن أحس أى عالم ضيق لا يحوى «مهديف ديزاي» وأسى أفكر في «ديرخا» زوجته وابنها الصغير.. وماذا يفعلان الآن و «بابو» (غاندى) في السجن وليس لهما أهد سواء.

(مهديف ديزاي) كان (سكرتير غاندى)

ولقد ظلت طوال الليل ساهرة لا أنام وأستعيد كل الأحداث التي تصلني به.. ولقد

رأته.. وكأنما «الأمس» وهو يدفع إلى منسحة من «المودرن ريفيو» المجلة الجديدة ويطلب إلى أن أقرأ مقالاً لصديق له صديق شاب لامع من أنكى الشبش وأحبههم إليه ولقد كان هذا عام ١٩٢٠ وكان عنوان تحت أقدام الجورو «المعلم» وكان الكاتب يدعى «رانجيت بانديت» وبعد ذلك الحين ومن خلال اثنين وعشرين عاماً وأنا زوجة «الصديق» لشاب «اللامع» إلى موت «مهديت ديزاي» هجعة أليمة «لرانجيت».

يتابع:

قرأت اليوم ذكريات «جفرى موسسل» عن «السجن». «إن السجن مقبرة يدفع عنها «الناس» أحب» وتري هيه «الشربة عارية».

وقرأت له قصيدة تقول

لقد رأى وهو يسير فى حقول ماشا زمرانة فيها سجين وحيد وفرح الشيطان

فقد أرحت له بسجن مبتكر جديد لجهم

وأنتى أتمنى أن يزور الشيطان زمرانتى هابه مسجد الكثير ليقتبسه من سجون البريطانيين فى الهند

مارس:

تناولت فحشاً من الشاي هذا الصباح ونعددت فى سريري أسرتي و جاءت «بيرنما» و «كالى ديفى» و «مهديتى تشوبى» و «لكشميى يابات» واشتتان من طالمات الحامصة الصعيرات هما «قيد يافاب» و «جوفيندى ديفى». وجلسنا نتحدث أن السجن لم يعد مقبرة بالنسبة لى هذه الأيام فقد وعد عنه فى الأسابيع الأخيرة كل من أعزهم . حتى «ماريسى» العجور التى تقضى الليل ونصف النهار تنلو أسفار الجييا والتقيدتنا ونؤننا لأننا لا نشاركها

وسمعنا هجاة ضجة فى فناء السجن وفامت «بيرنما» لتظل من البافدة وما لبثت أن صاحت تناديني ولما أطلت رأيت «ليكا» متلعة بعدد من عقود الورد وقد سارت متلهلة فى فناء السجن ووراها زينب السجانة وصف من الجنود.

وطئت أبحاث لربارتي وإن كنت «سنعرت كثرة عقود الورد ولكن بعد لمطت كدت «ليكا» فى وسط نعن فرحة مزهوة أنهم قد قبضوا عليها.

«ليكا» هى السجن إبن صبح مانوقته هذه الطفلة التى لم تعرف بعد الحدة . هما نال لسياسة.

وجلست «ليكا» تروى معمر كيف قبضوا عليها وكيف حبستهم ستطرون لئلا كامله وهى

البرد القارس حتى أمسكوا بها وجلست أستمع إليها وهي تتحدث وأخذت أتأملها.. يوم ولدت . ثم وهي طفلة غي سنها الأولى وأنا بهوار سريرها والثلاثة أشهر الطوال أصلى وأنكى لتشفى من مرضها.. ثم وهي في الثامنة من عمرها ويوم هضوا علي أنا وراحيت أموها ويوم ذهبت تودع علي محطة القطار.. لقد كنت يومئذ تحمل علماً كبيراً أطول وأضخم منها.. ولما قلت لها لاتحملني هذا العم لكسر يا عزيزتي قالت «هذا يخيف البوليس يا ماما».

ثم «ليكا» منذ أشهر حينما احتفلت بعيد ميلادها الثامن عشر وكانت تصطرم سعادة وبحوية وتبدو كأنها تريد أن تعيش كل لحظة وأن تسترع من الحياة كل متعها وأحبتها.. «ليكا» التي أمامي.. لقد تغير كل شيء فيها «إن الحياة الطبيعية العادية كما يعرفها الناس» قد انتهت بالسبب لنا . ولابد أن نمضي في الطريق حتى النهاية.. لم يكن هناك مناص من أن تأتي «ليكا» إلي هنا.. لا مناص لنا جميعاً.. من أن نأتي إلي هنا.



**يوميات معالي الوزير**

---

**« من السجن ذهبت إلى الوزارة »**

---





تسلمت صباح اليوم برقية من الباشيت .. «جوفته بالا بهات سات» يسألني إذا كنت أقبل الاشتراك في الورارة . وبدا لي عسيراً أن أصدق وشعرت بصطراب وحواف وصعمت على الفور أن أرفض ولكنني ما لبثت أن استرددت شجاعتي وفكرت في أن هذه فرصة لا تعوض لدي المسامح الأخير في نعيش الخرافة الكبرى خرافة التمييز بين المرأة والرجل.

واستلقت على مقعد قريب أستريح من وقع المفاجأة وأخذت أستعرض حياتي . وأحلم لو وقع هذا لحادث منذ عشرين عاماً فقط لما صدقه أحد ولكان حرافة أو أسطورة من أساطير الهند فقد كانت السياسة والوطنية عالماً بعيداً مغلفاً لا نستطيع لראة أن تسلك السبيل إليه وكانت الجاهلات والمنعمات على السماء لا يطمعن في أكثر من البيت والزوج والأولاد فريدا ما محررت إحداهن قليلاً لم يتجاوز تحررها نطاق الخدمة الاجتماعية أو النشاط الثقافي والفني.

وتذكرت كيف حدثت المعجزة -هذه عشرين عاماً فقط- آلمن المهاتما غاندي عزمه على السير ماشياً إلى «داندي» لخرق قوانين الملح «ولقد أداع لهاتما يومئذ نداء حاصصاً على النساء دعاهن إلى الخروج لشركن أزواجهن في السير الطويل . إلى الحرية لها امرء في السجن

وسرى لىءاء يومئذ كشرارة مقدسة وهزجت الآلاف طارحات وراهن تقاليد وظلمات وأغلل الآف السنين.

وقصص فى ذاك لعام على ألقى امرأة وحكم عليهن بالسجن مدداً تتراوح بين ستة أشهر وست سنوات، وكانت الشحامة والتضحية اللتان أبديتها- حتى الفلاحات البسيطات - مثار دهشة العالم كله.

ومى غمرة هذا الكفاح تذكرت «سن».. كانت صديقتى وقريبة لى من بعيد .. وكانت من سيدات المجتمع الراقى وعلى جانب كبير من الثقافة والجمال . وذهبت إليها ذات يوم من أيام عام ١٩٢٦ لأقنعها بالاشتراك معنا . وكما أقلية ضئيلة هى ميدان الكفاح فنظرت إلى باستعراب وقالت : ولماذا أشارك؟ إبنى لا أحد ما يدعونى لأن أترك أولادى وبيتى لأتشرذ فى الشوارع- إن هذا من واجب الرجال وليس من واجبي، إن واجبي أن أخدم زوجى وأجب له أولادى. قلت لها ولكن عليك أن تحرر بلادنا أيضاً وهذا جزء من واجبنا ومن صالحننا لأنه تحرير لنا.. لى ولك ونساء الهند جميعاً

واستدارت إلى مفعمة وقالت :إنى أستمتع بكل الحرية التى تحتاج إليها المرأة، لمهذبة المحترمة وليس هناك من يتشقق بالحرية إلا أمثالك اللاتى هجرن بيوتهن وأرواجهن وأولادهن.

ولقد حاولت يومئذ أن أدافع عن نفسى وأن أثبت لصديقتى أن زوجى وأولادى لا تنقصهم السعادة والعناية وأنتى أضيف إلى واجبي نصحهم واجباً آخر نحو وطنى.. ولكن بلا جدوى.

لقد وقع هذا فى عام ١٩٢٦.. وفى عام ١٩٣٠ كنت هذه السيدة نفسها وهى حامل فى شهرها الأخيرة- تقود مقدورة كبرى فى حركة العصيان المدى.

ولقد قضى عليها وأودعت السجن وأُجبرت لزوجها ولده الرابع هناك . إتماماً للواجب فى غرفة الوزير لأول مرة، كانت لدى فكرة عامضة ضئيلة عن تعدت الوزير حينما دخلت غرفتى فى بناء وزارة الصحة لأول مرة.

وبقد كانت معرفتى بشئور الحكم تامهة ولا تتعدى المرات القليلة التى كت أصحب فيها أبى وأنا هناك صغيرة إلى المجلس التشريعى فى «دلهى» و«سملا»، وكنت أجلس فى شرفة الزوار وأشهد أنى وهو يتربع حزب « لسواراج»- أى الاستقلال- المعارض للحكومة.

وتقدم منى شاب رقيق مهذب.. وقدم نفسه قائلاً إنه سكرتيرى الخاص.. ولم أفهم ماذا يعنى؟ ولكنى لم أشأ أن أسأل لكى لا أفصح جهلى..

وأخذت أجيل بصري في العرفة التي ساقضى فيها معظم وقتي وأتأمل.. كان في وسطها منصدة كبيرة نرجمها . وإلى جوار الحائط تمددت «أريكة جلدية عريضة وشعثت في كل أركان الغرفة كراسي وماصد صغيرة وأرفف كتب قديمة. مما جعل الغرفة تبدو وكأنها إحدى غرف مزادات الأثاث القديم.

وصدمت عيني سجادة حمراء معلقة على حدار الحائط الأخضر وكان هناك طابق من الغيار المتراكم قد علا كل شيء في الغرفة وكلما أخذت أمعن النظر فيما حولي غاص قلبي في حثني وأحسست بالنعاسة . كيف يمكن أن أجلس في هذه الغرفة الكثيبة وكيف يمكن أن أصرف فيها شؤون الدولة؟

واقفت إلى سكرتيري الخاص وسألته بأدب وتردد هل أستطيع أن أريح شيئاً من هذا الأثاث؟ وشعرت بالراحة حينما أحاب- بعد تردد- أنه لا مانع.

واستجمعت شجاعتي وأهدت أصغر الأوامر وبعد لحظات كانت السجادة الحمراء الفاتحة قد اختفت . وكان كل الأثاث تقريباً قد هبط إلى قاع المخزن.. واستجمعت بعض التسميمات وكلمات بطراء أن أستخلص من معاون الوزارة بضع ستائر خضراء. ولما لم تستطع التسميمات أن تستخلص منه سجادة حمراء أيضاً أرسلت إلى منزلي حتى لي بسحابتين مناسبتين على الفور شمريت عن ساعدي وأخذت بمعاونة معاوني والسكرتير والخدم تعير أماكن وضع الأثاث وزواياه إلى أن أحسست بأنني أستطيع أن أقضي هما بعض الوقت دون أن أشعر بالهياس والنعاسة..

لا زال هناك شيء ناقص في العرفة...

**الأزهار..**

وأرسلت أحد القرائين ليشترى زهرية من معرض مصنوعات الحكومة الموجه للوزارة ولما عاد طميت إليه أن يملأها بالورد وكنت قد رأيت منه في حديقة الوزارة فنظر إلى العراش هي صمت ودهشة ولم يحرك. وكثرت عليه الطلب فأسرع بالخروج ويعت إلى بمعاون الوزارة.

وكانت إمرات الفرع والاضرب تندو على معاوني وأخذ يستجمع أطراف شجاعته ليقول. ولكن يا صاحبة المعالي كيف توضع الأزهار هنا؟ لم يحدث قط أن وصعت الأزهار في عرفة الوزير وقلت له لم يحدث قط.. إذن فليحدث الآن وما دمت لا تريد أنت أن تحصر الزهور فسأترك أنا لا قطعها بنفسى.

ويبدو أن منحر «معالي الوزير» وفي يدف مقص تلمط الأزهار في حديقة الوزارة قد

أفزع معاون أكثر مما أفزعهم وضع الأزهار في عرمة الوزير فأسرع بالخروج قائلاً أنه سيحضر ما أمرت به على الفور.

بدأ الجهد والاجتهاد اليوم. فقد وجدت على مكتبي كوماً من الملفات لم أكد أناملها حتى أخذت أفكر كيف سأستطيع أن أقفل فيها أو حتى أن أقرأها..

وبالطبع لم يكن هناك من يعلمني قراءة الملفات... ولم أشأ أن أبدو جهلاً بولنا لم يكن هناك مناهج من الاعتماد على النفس وأخذت أقفل فيها واحداً تلو الآخر حتى عثرت بملف بدا من نظري سهلاً مبواضعاً. فأخذت أقرأه من الصفحة الأولى. ولحسن الحظ كانت المسألة معقولة بسيطة فاستعرت في دراستها إلى أن أحسست الشجاعة لأن أقفل فيها وعلى الفور أرسلت القرار لسكرتري ليمدأ تنفيذه. ويبدو إنه كان صائفاً معقولاً لم يسهر به أحد. فشعنت هذا وتحمست واقتنعت بأهم الملفات ولم تعد تخشى.

#### بدا تحضير الميزانية.

وقد تحول كل شيء حولي إلى أعداد وأرقام أخذت تطاردني حتى في نومي وأحلامي ولما كنت لم أدرس شيئاً قط من الحساب وعجز أمهر المدرسين عن تعليمي مبادئه الأولى فقد بدت لي التجربة مرعبة.

وفي لحظة من لحظات اليأس كتبت إلى سكرتيري البرلمان قائلة «أن الأرقام تعرعى.. أرجو عمل شيء» ولم يبطئ رده الذي قال: «الأرقام تعرعت؟ لا أصيق يا صاحبة المعالي». انت التي وجهت المدافع وصعقت مستقبل الأمة تحييلك الأرقام؟ أنت فقط تريدين تشجيبي وأرفق برده مذكرة عن أسرار الميراثية جعلت من الأرقام شيئاً مفهوماً لا يقف. يبدو أنني لم أكن أعامل أعضاء البرلمان كما ينبغي.

لقد كنت أنظر إليهم كما كنت أنظر إليهم وأنا فتاة صغيرة أي كأصدقاء أبي وبنائى مكتبته أو كالضيوف الذين كانوا يزورون بيتنا من خلال سبي الجهاد.

ولقد كان عسيراً على حقاً أن أنظر إليهم كما كنت أنظر إليهم وأنا فتاة صغيرة أي كأصدقاء أبي وبنائى مكتبته أو كالضيوف الذين كانوا يزورون بيتنا من خلال سبي الجهاد. ولقد كان عسيراً على حقاً أن أنظر إليهم الآن كخصوم أقوياء الشكيمة يترصدون بي الفرصة حتى حان موعد خطابي الأول في البرلمان.. فقد قدم قانون تنظيم الإدارة الجديد.. وكان معروضاً أن يقدمه رئيس الوزراء ولكنه مرض أو تمارس لسوء الحظ.. ووقع اختياره لسبب لا أدريه.. على لا قوم بالهمة ولقد جاء إلى من همس في أذني بأن هذا هو أهم مشروع قانوني تقدمه للحكومة وأن مصير الوزارة - يا إلهي - متوقف عليه

ولم تكن الخطابة في الميادين العامة جديدة على.. ولكن لم يسبق لي قط أن خطبت في برلمان. ولذا كنت كلما اقترب الموعد أصبست بقلق وتخاذل شديدين حتى تذكرت فجأة ما قاله لي أني مرة «لاتنقدي أعصابت قط. أعدى خطابات بعناية ثم انسيه بهماً وتكلمي وكأنهم لا يعرفون شيئاً عن الأمر».. واستعدت شجاعتي ورياسة جثتي ووقفت لأحطب ولم أحس بما قلت إلا حينما اشتد التصفيق ومر القانون بسلام.

حينما كان السياسة مجرد حلم بالنسبة لي كنت أقرأ الصحف بشغف وإعجاب خاصة حينما تنتشر أحاديث العطاء سواء أكانوا سياسيين أم رياضيين أم من نجوم السينما. وكان يبدو لي أنه ليس هي العالم مهنة أعظم وأمتع من مهنة الصحفي هذا الذي تفتح له كل الأبواب والذي يستطيع أن يقتحمها كلما أراد والذي يصوغ بقلمه وما يكتب عقول الناس وقلوبهم

ولقد ظل هذا اعتقادي حتى أصبحت ممن تقتحم أبوابهم وتنتشر أحاديثهم وأراؤهم على الناس، فتغير الاعتقاد تماماً ووجدت أن هناك خطرين لا يمكن دفعهما التليفون والصحفي. وإذا كن التليفون يمكن الخلاص منه برفع السماعة، فإن الصحفي لا خلاص منه مطلقاً بل كلما حاولت لتخلص منه وحدث أكثر إصراراً، وما مكفي لأن يثير حمرة الخجل في وجه لرجل لعادي ويدفعه بعيداً.. لا يتعدي عنه صاحبنا «قطرت ماء على ظهر مئة» كما يقول المثل.

وبات يوم كان علي أن أخطب في اجتماع سياسي مهم واندمع إلى جماعة من الصحفيين الشبان المتحمسين يطلبون مني نص الخطاب وقلت لهم أني لا أعد خطبي وأنا ألقياها أرنحلاً..

ورجوتهم رجاء أخوياً حاراً أن يقولوا «الخطاب كما ألقيه. ووعودوني وعد زملاء شرفاء فاطمانت وذعبت إلى الاجتماع منشرة الصدر..

واستيقظت صباح اليوم التالي على أجراس كل تليفونات البيت تدق من كل صوب لتسأل عن التصريحات المتناقضة التي بثرتها هي خطابي!

لقد نشرت كل صحيفة نصاً مختلفاً، ولم تنشر أحداها ما كنت أريد أن أقول ومرة أخرى كان علي أن أحطب في كلية للنداء، ألقيت خطاباً دعوتهم فيه إلى التحرر من كل الخرافات والإيمان بمساواتهم المطلقة مع الرجل، لأن كل تعريق بينهما إما هو خرافة لا أساس لها من الحقيقة.

وهي اليوم لتالي ثارت ثورة الاناء و لأروح حينما نشرت الصحف معاوين ضحكه

«مسز مانديت تقول: .. البيت حراة اخترعها الرجل» وكنت أعتقد أن هذا قصور طبعي في صحافتنا الهندية ولكن ريارتي لأوربا وأنا وزيرة أقنعتني أن صحافتنا المتواضعة أهون شراً وأخف وطأة من الصحافة الأوربية الكبرى.

واليكم مثلاً

لم أكد أهبط من الطائرة في مطار «كرويدون» في الساعة الثانية صباحاً حتى وجدت عدداً من المصورين والصحفيين أحاطوا بي في المطار وأصروا على أن أدلي لهم بكل شيء واستطعت بصعوبة أن أقنعهم بتأجيل ذلك للغد بعد أن وعدتهم بمؤتمر صحفي وتسللت إلى جوارى مخلوقة صغيرة رفيقة هضمت في أذنيها صحيفة ناشئة وترجو أن أحتمسها سبق صحفي لنثت حداثتها بين الصحفيين الرجال وشعرت بتحير لبنات جسي حاصة وكانت هذه أول صحيفة أقابلها فحملتها معي في سيارتي إلى الفندق.

وظللت إلى ساعة متأخرة من الليل أجيب عن أسئلتها وكانت عن المرأة الهندية .. ما لها وما عليها .. وتشعب الحديث حتى انتهى بنا إلى الرياضة الهندية وأخذت أحدثها عن رياضت الهندية «الكوجا» مزاياها وقصائلها وانصرفت العصفورة مرحة مشرحة ونمت مستريحة لأنني فعلت معروفًا واستيقظت بعد ساعات لأجد الخبر الأول في صحيفة «العصفورة المرحة» هو الوزارة الهندية تبدأ يومها بالوقوف على رأسها.

كلما نظرت إلى هذين العامين اللذين قضيتهما وزيرة أحسست أنها تجربة رائعة لقد مرت ساعات من الفشل ومن خيبة الأمل ومن الشعور باليأس والعجز. ولكن الأمر الذي لا شك فيه هو أن هذه الساعات على اختلاف ألوانها لم تضع هباء.. ولا شك أن الدروس التي تلقيتها زادت من قدرتي على مواجهة كل شيء.

ولقد كان خير ما قمت به هو أنني أسهمت ولو بمجهود صغير في دفع الحرافة الكبرى بأن المرأة لا تستطيع أن تؤدي عمل الرجل..

## أغنية من الممر

---





«هذا ليس قبراً، هذا أغنية خالدة من الممر»  
نهر

دق باب عرفتني في ساعة منكزة حذاً من لصباح. وكنت عارقاً في النوم، وقلت أن أفتح  
عيني لأزد، كان قد دخل وجلس ووضع ساقاً على ساق وتحسس في جيبه ليخرج علبة  
السحائر. وأنا لا أطيق رائحة الدخان في الصباح. وقال بلا كلفة  
- حينما تزور احرا بحب أن تستيقظ مع إشراقة الفجر وتجمع أرهار (النسر) كم  
كان يفعل أب طرة لمول.

وايتسمت، وبعثت إليه موافقاً، وكنت بعد أسابيع في الهد قد تعودت هذه المادح  
وتقبل كل ما يصدر عنها.  
واستطرد بقول

سمي مبارك على خدن وأنا دليل فندق الإمبريال سحر. وأنا الذي سأصحبك اليوم  
لزيارة الحاج مهمل ولقلعة الصمراء وظلال منق مورسكوي ولقد كانت مفاجأة عجيبة لي  
وهذه أول مرة أقابل فيها مصرياً، وقد كان حلمي أن أقابل مصرياً وما هو قد تحقق، وأنا  
سعيد، ولقد كنت أعتقد أن أقدر من يستطيع أن يفهم الممول ونراث للمول هم اسم  
المصريين بناة العباد ولما ساعد الأهرامات، ولقد كن هناك شيء واحد يجمع بين  
المصريين والمول هو الله في السماوعفره لنا، واستعير بالعمدة والأثر ج والعباد،

ولشيء الآخر الذي تحسه في البناء ولا تعرفه ولا تدركه . روح المبنى تماماً كروح ملحمة أو التمثال أو لأعية وهو شيء ستلمسه اليوم كما لم تلمسه في أي مكان آخر في العالم، وبقيت الجرس وجاء خادم العديق وطلعت الإفطار وسالت مبارك على حان هذا أطلب لك إفطاراً ولكنه قال-

بني لا أكل شيئاً يوم أذهب لزيارة التاج بل أصوم وكذا ألبس ملابس الإحرام، تماماً كما لو كنت داهياً إلى مكة لشريعة، رت رؤية عمل فني مثل التاج تحتاج إلى تركيز ودماج، وهذا ما جئت لكي أنبهت إليه، انني هه منذ عشرين عاماً، ولقد زرت التاج أكثر من ألف مرة، ولكنني في كل مرة لا بد وأن أقف خاشعاً مثبتهلاً فرحاً بالحياة وكشفتي أراه لأول مرة . فرحاً بالبيعة وكشفتي أراه لأول مرة . فرحاً بالحياة، هه تستغرب بني أحس بالفرح بالحياة أمام قبر مرّة؟ لكن هذا هو الواقع، لقد قلت لك أن في المقول هو البناء. ولكن قبل البدء كان فيهم الأول والعقري هو الحياة نفسها، كانت الحياة لديهم هه جميلاً، في كل شيء هي الطعام والشراب واللباس، وفي لعب والعرب ومن لصباح حتى المساء، هل تعرف سرّة ليس فيها إمبراطور عظيم إلا في حياته حب عظيم وكتاب عظيم وأثر عظيم..

إنني أعتقد أن ليس هناك حضارة تقريبهم سوى حضارتكم أنتم المصريين، إنني أعيش في الحضارات القديمة عشرين عاماً لأن، وأنا أهيم من عالم سحري إلى عالم سحري، وأنا طمناً لم أبدأ حياتي دليلاً، ولم يكن في بردمج حياتي أن أصبح دليلاً، ولا شيء أضيق به مثل أن أكون دليلاً، خاصة حينما ارزأ بهؤلاء الأمريكيين والغربيين وحينما يقعون ليمتدوا كل شيء ويسألونك في صخب وصجيج كم تكلف هذا البناء أو يقفون في ثقافة جوفاء لينادوا.. كم هو جميل.. جمال المليون دولار..

- وماذا كنت تريد إذن؟-

- لقد جئت إلى هه رت كنت طالباً في الجامعة وجئت في زيارة عابرة، ومن النظرة الأولى أحسست أنني لن أعود للجامعة وأحسست أنني أنتمى إلى هه إلى هذا المكان أو أعلى، لأصبح إلى هه لئلا، وعدت إلى لجامعة وأنهيت دراستي في التاريخ، وتخرجت، وكان هناك قلق مستمر في نفسي لم يسكت إلا حينما جئت إلى هه، وأقمت هه، ولم أجد سوى أن أعمل دليلاً.. إنني أشعر بالطمأنينة والرضا والسكون ويفرح عميق في نفسي حينما استنطق كل صباح وأحس أنني أستطيع أن أرى لتاج أو أجول في إطلال فتح بورسكري أو القبة الحمراء-

أو حتى لتتنفس نفس الهواء الذى تنفسه رجل وساء وحسان وأباطرة الملوك.  
إن التاج فى حياتى، تماماً كما كانت معتر محل فى حياة شاه جيهان..

ومتى سذهب للتاج؟

- حينما تستعد مادياً وروحياً، قم واغتسل وأعد نفسك، إنتى أريدك خاصة أن ترى التاج كك أحب أن تراه .إنى لست متحمساً قط لصيوف اليوم .رجال وساء أعمار لا روح فيهم، يطوقون العالم ليبريها الملل أو ليسكنوا ضمنهم القلقة أو ليجثرو عن معدرة مثيرة، بلا اعتبار أو احترام للكون..

وهل تدرى كيف أريكم التاج محل، إن لى طريقة خاصة، وأسلوباً فريداً، لى أنا فقط، إننى لا أذهب لى التاج مباشرة ولا أوجه التاج مرة واحدة وجهاً لوجه، ولكنى أذهب إلى القلعة الحمراء، على بعد عدة أميال من التاج، وهى شرفة القلعة التى سجر فيه الإمبراطور شاه جيهان أتطلع فى المرأة الصغيرة بأن قصة هذه المرأة هى قصة التاج - دعني حتى أغتسل.

ودخلت أغتسل وأعد نفسي لرحلة ولكنه لم يسكت، وتابع الحديث بصوت عال  
- لقد سجن أو رجزب الصارم المتكشف أبه شاه جيهان فى قاعة بالقلعة الحمراء، ولم يحد أبوه ما يطلبه منه، ولا ما يريد من الحبة سوى أن يرى قبرها، ولم تكن هناك وسية، ولم يكن هناك حل، فقد كان لقرار يبعد عن قلعة عدة أميل، وتطوع مهندس عبقري من مهندسى المغول ووضع له هذه المرأة لسحرية فى أحد الأعمدة، وهى امرأة تستطيع من بعد هذه الأميال أن تعكس له صورة التاج، وكان يقضى يومه كله امام هذه المرأة وكان الشيء الوحيد الذى عراه حتى مات فى السجن، وراح ضحية ابنه المتزمت، المتكشف الصارم.. لقد كان حباً عجيباً . حباً كاملاً فيه كل شيء، المجد والعلق والهزيمة والمأساة

إن قصص الحب عادة لا تكتب كاملة وكثيرون يريدون أن يخفوا جوانبها الضعيفة أو القبيحة أو المريبة، ولكنى أحب أن أروى القصة كاملة لقد خلق الله الحب مزيجاً من الأرض والسما، ولا يجدى أن تحاول أن تجعل منه حرامات تطربنا ولا تعلمنا . لقد كان شاه جيهان رجلاً وكانت ممتاز محل امرأة . وقصتها قصة رجل وامرأة ، وعلى هذا الأساس يحب أن تروى . لقد كانت ممتاز محل زوجة لأحد رجال البلاط حينما راها الإمبراطور شاه جيهان فى احتفال الزهور فى عيد لتبروز، أحمل احتفالات البلاط وكانت ممتاز محل ابنة أصف خان وزير (جهانجير)..  
- قف قليلاً عند هذه الأسماء يا صديقى مبارك،

- جهاسحير ، فاتح الكون هو الإمبراطور العظيم والد شاه جيهان. ولقد دارت كل حياته حول امرأة هي (بور جيهان) بور الكون وهذه قصة أخرى محببة ، وقد أروبوها لك اليوم أيضاً ، لأنني الحقة لأولى من قصة شاه جيهان، وكان أحوها أصف حسن. والفتاة المفضلة لدى عنتها الإمبراطورة العظيمة. ولكن مختار ، كانت فتاة رقيقة حالة تختلف تماماً عن بور جيهان، التي كانت إمبراطورة بكل ما تتضمن الكلمة والتي كانت كل شيء في حياة الإمبراطور وحياة الإمبراطور أيضاً وكانت محبة عاشقة بقدر ما كانت سياسية خاتمة بل بقدر ما كانت محاربة قاندة ، لقد قادت نفسها الحرب ضد الجبرال المتمرد (محبة خات) لتتق روجها الموشب على الهلاك جهاسحير .

وهيما سقطت في الأسر وحكم عليها بالإعدام سألها (محبة خات) ماذا تريد قبل أن تموت فقالت أريد أن أرى زوجي.. مرة واحدة ، وحيثما شهد محبة خات اللقاء، اهترت نفسه ولم يملك سوى أن يعفو عن الاثنين..

لا تدعني استلرد.. متى أريد أن أروي لك قصة لناج  
كلني دأن صاعية يا صديقي مبارك..

- لقد ورث شاه جيهان الحب عن أبيه، وحيثما التقى بمعناز محل في حفلة السرور، وجد نفسه على العور ، أن امرأتك هي المرأة التي تفتح لك أسرار الكون.. وأسرار نفسك والتي تحس الحياة معها هيضاً متحدداً مناسباً وهذه هي أعظم وأندر ما تعثر عليه، ومن بين مليون امرأة تمر في حياتك قد لا تجد هذه المرأة وحيثما تظل حياتك قلقاً حاوياً ولو أحاطت بك نساء العالم كله، إن حكمة السبعة في الحب عميقة عظيمة ، هي حكمة الكون كله. وهي بحق لكل رجل عظيم امرأة عظيمة، وكل مهمته أن يبحث عنها وأن يجدها، وأن يحصل عليها مهما كان لشئ، بقاؤون الطبيعة العميق وبحق بناء الكون أو على الأصح واجب بناء الحياة والكون.. أنترى لماذا أشرح لك هذه؟

- لماذا؟ .

لقد رأى شاه جيهان مختار محل وأدرك أنه امرأته وأدرك أنها أيضاً تنتمي إلى روج آخر ضعيف من رجال البلاط فقرر أن يخلص من هذا الزوج، وبعض المؤرخين يقول أنها بداية قبيحة لقصة مجيدة، ولكني لا أرى هذا..

- أن يخلص من روج لحصل على امرأة. هذا ليس شيئاً يا صديقي مبارك.  
لا تصح لسالة هكذا من هو رجل ضعيف عقبة بين زوجين عظميين، وأن يحول بين الهدم وبين كل العدل والرحمة ووجد والحصل الذي نعمت به . إن بعض الرجال

الضعاف كالطفيليات يلصقون بأجساد وأرواح لنساء لعظيمات، ولا يستغنون هؤلاء مطلقاً انحلص منهم ، إن النخلص من رخص ضعيف أقسى بكثير من النخلص من رخص قوي أو عظيم ، ألا تدرى هذا ، ألا توافق عليه

- إن هذا جزء من القصة.. أرويه فقط . وبحكم عليه بعدئذ

وتزوج شاه جيهن من ممتاز محل وتعجز هي بنفسه كل ما تفحره امرأة عصبية هي حياة رجل عظيم وكان العصر الذهبي لكل امبراطورية المغول، لم تكن (ممتاز محل) كما قلت لك كعمتها نور جيهن تتدخل وتحسم في السياسة و لاقتصاد والحرب ولكن كانت هذرة رقيقة حاملة دافئة باعسة خلقت للحب والحب فقط، وكانت تملك تلك اللمسة الساحرة التي تطوى كل من يقترب منها.. ولقد كن البلاد في عصر جهانجير قائماً على المجذ، أما في عهد شاه جيهن فقد كان قائماً على الحب وحده، ولكن ممتاز محل لم تكن مجرد أنثى، لقد كان دكاؤف وإلهامها هو أثمن ما هي، لإمبراطورية ولم تكن تشارك في لحكم أو هي الحرب، ولكن كانت مستشارته الأولى والأخيرة ، وكانت من معبد تشير في كل شيء.. لم يكن ينشئ حديقة ولا يقيم مسجداً ولا يبنى قصر ، وهو قد زين الهند كلها بأجعل حدائقها ومساجده وقلاعها وقصورها- إلا وترى (ممتاز محل) التصميم وتوافق عليه، ولم يكن يقضى أو يبرم أمراً أو يصدر حكماً أو يعلن حرباً قبل أن يتشير (ممتاز محل)، وبم تكن هي التي تطلب أن تضع أنفها، بل هو الذي كان يحمل كل شيء إليها، وبيصت حتى تجلو إلهامها ونكاها وتشير..

وبين دراعي (ممتاز محل) قال كنعمه المشهورة (إذا كان هناك فردوس على الأرض فما هو - ها هو).

وعاش شاه جيهان في هذا الفردوس تسعة عشر عاماً، وعاشت الهند كلها معه في هذا الفردوس تسعة عشر عاماً وأنجبت له أربعة أولاد وبنين، سهل التاريخ أسمهم جميعاً، د ر اشيكو الفنان، وأور بجريب الصدم، وروشارة الحاملة، وجهاناره الوفية التي ظلت إلى جوار والدها حتى لحفته الأخيرة .

وهي كل مرة كانت تتجيب معلماً كن كل شيء، كما قال يواد في الامبراطورية هي حياتها ، كأن كل شيء يسعد لينتظر مولودة، وكان كل شيء يقف في حياتها، ويطل إلى جاسها حتى تند، وحيما كانت تطلب إليه أن يعدها وأن لا يراها وهي تتعذب، كان يبكي ويقول لها: إن أحمل ما هي حياتها هو رؤيتها وهي تحمل في أحشائها أسرار، لتكون والطلق والإيد ع.. وتغنى وتكمل بها الحياة.

ولقد ماتت (ممتاز محل) في لحظة كهده . ماتت مئة امرأة مجيدة وهي تده ، وهي تده  
لحياة إسماً جديداً .. وكان إلى جوارها شاه جيهان .. وكانت حر كلماتها إليه (لا تتزوج  
معدى.. لن تحب امرأة مثلي، لا تنس أن ترور قبوري) أنابية أو فنبأ أو عروراً أو وفاء  
سمه كف تشاء .

ومات كل شيء بالنسبة لشاه جيهان لا نكراف . ولقد صمم على أن يعيش لهده  
لذكرى وأن يجعل قبرها شيئاً خائفاً لم يشيد مثله لامرأة ، قرأ حياً متجدياً تراه كل يوم  
قبيحاً لك أنه بنى اليوم فقط وانت تراه لأول مرة . وبعث يطلب المهندسين والقسدين والبنائين  
والحطاطين من روما ومن القاهرة ومن سمرقند ، ومن بكير . لقد صمم على أن يجمع  
الإسانية كلها في هذا القبر ..

ولم يعد هناك ما يشغله سوى بناء هذا القبر . ولقد كان يحتجم من لصباح إلى  
المساء مع مهندسي المرمز لقادمين من إيطاليا ، أو الحطاطين العرب القادمين من بغداد  
أو هنائي المسقيف من القادمين من الصين أو البنائين القادمين من سحاري وسمر قد .  
وحدث بين هؤلاء جميعاً القصة .. ولعله لم يسبق أن تالف وتتر هذا الجمع المتباين من  
الفنانين في بناء واحد مثلكا حدث بومند . ولقد مرتهم جميعاً من أعماقهم القصة ، ودخلت  
(ممتاز محل) في حياتهم كلها وألهمتهم بعض اللقاء . والصفاء والعمق الذي كانت تسره  
وتلهمه في حياتها . وأراد كل منهم أن يهب أحمل ما في روحه ليخلد قصة حب عظيم ، وأي  
مهمة أحسن للعس وأمجد وأعرق إلهاً من تحلد قصة حب عظيم .

ولقد ترك كثيرون منهم أوراهاً سجي ، فيها أحاسيسهم ومشاعرهم من حلال الباء ..  
وهي كلها قصائد نصية لذكرى هذه المرأة العجيبة . ولقد كتب أحدهم يقول لقد سكبت  
روحي كلها في هذا القبر ، ولن أبس بعده شيئاً لأنه لم يعد لي ما أستطيع أن أخلق به شيء  
جديد

وظل كل هؤلاء سبعة عشر عاماً طويلة يبون حتى خرج (التاج محر) تدماً كف  
تصوره شاه جيهان ، رمزاً لطلود الحياة لا لسهبتها ، ولم يكن ساء ، ولكن أغنية من المرمز  
كما قال جواهر لال نهرو ..

وحيثما تم البناء أحس شاه جيهان أنه يريد أن يموت ، وأن كل ما يريده من الحياة قد  
تحقق ، وأنه لم يعد به سوى أن يذهب إلى العالم الآخر إلى حيث تحيا ممتاز محل ، وإلى  
حيث لا يفترقا أبداً إذا التقيا

ومرر شاه جيهان . وهين للجميع أن يساعته قد مات ، وكان هو يستعجل الموت كل

يوم، ولكن بدأت مرضه قصة أخرى مريضة دامية هي قصة لصراع على لعرش بين أبنائه الأربعة، و«بثيق أو رنجزيب، ثائراً قاسياً متديناً صامياً كحد السيف وناقماً على أبيه عى إسرافه وينخه وضعفه أمام امرأة حتى ولو كانت أمه.

وفتكت أو بجزيب بنخونه الثلاثة واحداً واحداً . وقبض على أبيه وسجنه فى القلعة حيث ظل سجيناً مريضاً عشر سنوات طوال، ولم يكن يعرف فيها إلا امرأة الصغيرة التى كان يقف إلى جوارها ويسمى كل شيء.. ثم أبنته (جيهارا) لنى مقمت على أخبها، ولمقت نأبيها لتقف إلى جواره فى حلال محنته المتعيسة.. لا .. لم يكن تعيساً، إن من يحب مثل شاه جيهان، ومن يتعذب فى حب امرأة كمتناز محل أن يكون تعيساً، أنه يستخلص من الحياة أجمل وأنبل ما فيه ..

ولقد كان شاه جيهان يقضى أيامه الأخيرة، يهلى ويذكر ممتاز محل، ويدظم الشعر، وينتظر اليوم الذى يعبر هذا العالم إلى عالمها

ولم يصق بالسجن، ولم يحرق عى ابنه، ولم يك لمسيره، لقد حرر لعب روحه، وأغنى لعب عالمه الداعلى، وكان سجنه الوحيد هو عالم ليس فيه (ممتاز محل).

وبدأت الهند كلها تهتز لقصة شاه جيهان، وتنشد قصة شاه جيهان، وتتداولها الرواة والشعراء، ومشدو الملاحم والأساطير، ولم تلهمهم قصة حضارة لشرق والغرب أيضاً . ما ألهمته قصة حب شاه جيهان وممتاز محل.

ولقد جاء فى العام الماضى (روبرت مين) ليكتب القصة من جديد، ليقيمها لهذا العصر الحاوى الأحوف، وليذكره بالقيم الكرى لتى نلست معها الحضارة.. قيم الحب العميق لعظيم الخلاق..

ولم يكتب (روبرت مين) شيئاً لقد كنت أنا الذى رويت له كل شيء، ودالته عى كل شيء.. وطبعاً لم يشأ أن يذكر من لدى دله على مغزى القصة وجوهره، ولم أهتم.. إن كل ما يعتبني هو أن يروى هذه القصة رجل يحسب ويعشقه ويقدمها لهذا العصر ولكل عصر . وليس هناك ما تحتاجه الإنسانية مثل مخلصه إلى مثل مخصصة عاطفية تغد روح الرجل وترفعها وتدفعها كما فعلت ممتاز محل .

لقد مات شاه جيهان، ولحق بممتاز محل. وهى اندج محل ترقد رفات ( ممتاز محل) وإلى جوارها رفات شاه جيهان.. هن هناك رجل و امرأة أسعد منهم فى الحياة أو موت؟ بالطبع لا .

إن هيا بد.. لقد استعددت للزيارة..



لا يختلف كاتب المصنع في شيء عن الحيوان الأعجم . ارفع صوتك في العاصف  
فسيرفع صوته عليه، واشتم الحمال مسيلقى حملت من فوق ظهره . احتقر الشحاذ مسيحد  
وسيلة يشعرك بصالك . وهنى لصبر سبركك برجليه إذا شددت عليه ، أما كاتب المصنع  
فلا.. ارفع فيه سمه واشتمه واصبره فسيحتمل كل شيء . في سكون.. إن قدرته على  
لتحكم في أعضائه لا يستطيع حتى (البوجي) أن يكتسبها بعد أعوام من المراس وضبط  
النفس إنه صورة لبقاعة وتمثال للولاء وتمودج للاحترام، بل هو مزيج من كل الفصائل ،  
ومع هذا فإن الحد لم يمس له قط . إن سقف كوخ الفلاح الناس يحظى أحياناً بلقمة من  
الحظ وذلك في ليلة عيد النوالى . عبد الأضواء . حين يهطل المطر وتتغير الفصول .

أما حبة (بابوحى) فهي سلسلة متصلة من اللبل . بلا شعاع نور واحد وسط الظلام  
وحتى وجهه لم يضىء مرة بانتسامة إن لالا فاتح نشاند من أعضاء الإنسانية الصماء  
العجماء .

وقد قيل يوماً أن الاسم دلالة على مصير صاحبه ولكن اسم قنح تشاند يعنى نجم  
النصر بينما صاحبه ليس سوى عبد للهريمة.. وهو قد فشل وانهزم في حياته لعائلية وبين  
أصفيائه وحيثما حل بعث الهزيمة وحبية الأمن حوله . وهو لم يجب أولاداً بل ثلاث بنات  
وليس له أحوة بل ثلاث أحوات ثم هو لا يملك قرشاً واحداً يعتمد عليه عند الحاجة .. وأن  
كان قد لا دخل له فيه لأنه طبيب كريم ولكن الناس جميعاً استغلوا هد فيه . وهو يقاسى  
من صحته فإن شعر رأسه في سن الثانية والثلاثين مثل الملح والفلفل وعباءه قد انطعت  
بريقها ومعذته قد تلعت ووجهه شح وخبوده قد عارت وأكتافه انحت ولم يعد في قلبه ذرة  
من الشجاعة ولم يعد في عروقه قطرة من الدم..

وكان فاتح تشاند يذهب إلى مكتبه في التاسعة صباحاً ويحود في السادسة مساء..  
ومهدا لا يجد في نفسه القدرة على مغادرة المنزل . وبهذا لم يكن يعرف شيئاً عما قد يحدث  
في الدلم كان حاصره ومستقله وفردوسه وحجيمه هما في مكتبه في المصنع . ولقد مرت  
سنوات طويلة منذ لعب الورق مع أصحابه . وكان الوقت شتاء والسما تكتنفها بعض  
الغيوم وحيما عاد لالا فاتح تشاند من عمله في الخامسة ونصف كانت زوجته تضيء  
الشمع، وتمدد هو كالعبد في سكون على المقعد وذلك ليجمع قواء ليتكلم ولكنه كان لا  
يرال مستمداً . حينما ارتفع صوت في الصراح وبأدى عليه ، وذهمت سنه الصغيرة  
لترى . وحامت تقول أنه ساعى المصنع وكانت زوجته (شاردا) في هذه اللحظة تنظف الأرض  
لنجهير العشاء.. فقالت لايتها

اسئاليه ماذا يريد؟ لقد عاد نوا من المصنع؟ فلماذا يعيشون إليه؟

ورد السامعي قائلاً

«صاحب» يريدك ويقول أنه لأمر مهم؟ وأحس لا لا فاتح تشاند مقلق ورفع رأسه ليسأل

(من الذي خدم؟)

وردت زوجته (أنه شيراسي)

(شيراسي.. وماذا يريد «صاحب» مني).

يقول أنه يريدك حالاً؟ وأب لا أعرف أي نوع من اللباس صاحب هذا؟ يبدو أنه في حاجة إليك على الدوام؟ قل له أنت لا تستطيع الذهاب؟ ألم تشعل بما يكفى طوال اليوم قل له أنت لا تستطيع الذهاب؟ إن أقصى ما يستطيع هو أن يفصلك فستريح.

وتتم فاتح تشاند لنفسه (لقد أنهيت كل عملي.. فماذا يريد مني .. شيء عجيب) ولكنه نادى على الشيراسي الذي كان لا يزال وفقاً خارج الدار وقال (سأحضر حالاً).

وقالت زوجته (تناول شيئاً من الطعام.. فسوف تنسى، وعطته طبقاً من العدس وجلس حبيماً رأى العدس وتأمل به بشتها.. لحظات ، ولكنه لم يثبت أن سأل شاردا «هل أكل الأطفال».

وصاحت فيه شاردا بغضب (نعم أكلو وأخذوا نصيبهم، كل أنت).

وفي هذه اللحظة ظهرت الطلفة الصغيرة ووقعت ساكنة وصاحت فيها شرد، (ماذا

تفعلين هنا، اذهبي والعبي في الخارج).

وقال فاتح تشاند إلى زوجته (لا تحفي الطلفة تعالى يا تشوي تعالى اجلسي هنا).

وبظرت تشوي إلى عيني أمها مسرى فيها الخوف فأسرعت إلى الشارع

وصاح الشيراسي من الخارج (يا بوجي.. إن الوقت يتأخر).

وقالت شاردا لماذا لا تقول له أنك لا تستطيع الذهاب.

ورد قائلاً كيف أستطيع هذا، وأنا أعتمد عليه لكي أعيش.

أنه يمتص دمك حتى تموت، هل رأيت وجهك في المرأة إنك تبدو كالمريض منذ سنة

أشهر.

ولم يرد فاتح تشاند ولحق بعضاً من طبق العدس ثم ابتلع كوباً من الماء وتسرع إلى

الخارج. ولم ينتظر شاردا لتتم كلامها .

وقد الشيراسي حبيماً رآه. لقد صحت ب مابوحي فلنسرع ولا أحد صاحب يشتم حين

برانا .

وحاول فاتح تشاند أن يهرى ولكنه عدل لأنه لم يستطيع وقال يشتم كما تريد.. إسي لا أستطيع الجرى.. هل هو فى البنجالو أم فى المصنع؟..

وقال الشيراسى وإذا يكون فى المصنع؟.. هل هو ملك أم هو بهوان؟  
وكان الشيراسى متعوداً على المشى السريع، وكان بابو فاتح تشاند متعوداً على المشى سبطاً، ولكن كيف يعترف بهذا؟.. كان فى نفسه بقية من كسرية فحاول أن يحق بالشيراسى ولكنه عجز، كانت أنفاسه تثقل، والألم يحز فى أضلاعه ورأسه يتداعى وجسمه كله ينقص بالفرق، وكان الدياب المصى يتراقص أمام عينيه كالبرق، وأخذ الشيراسى يجذره ويلومه قائلاً يحسن أن تسرع يا بوجى إلك بطيء.

وكان فاتح تشاند يجد صعوبة فى الكلام، ولكنه قال استسقى.  
وجلس على حجر فى الطريق ووضع رأسه بين يديه وأخذ يلهث ويتنفس تنفساً عميقاً، وحينما راه الشيراسى هكذا لم يمس كلمته وتركه ومضى. وكن فاتح تشاند يشعر بخوف مما قد يقوله الشيراسى (لصاحب) الإنجليزى، فتحامل على نفسه وقام. ولو دفعه طفل صغير ساعدت لنهاوى على الأرض، وأخذ يقاوم حتى وصل البنجالو.

وكان (صاحب) يتمشى فى الشرفة دهاناً وحبشة، وكن ينظر بين لحظة وأخرى إلى الدب ويشير عبطاً كلما لم يجد أحداً، وما أن رأى الشيراسى حتى صاح أبى كنت حوال هذا الوقت؟

ووقف الشيراسى مخصوع على عتبة الشرفة وقال (هارور) فاتح تشاند استغرق وقتاً طويلاً حتى ملكت لانتظار.. وأنت تستطيع أن ترى أمتى حنت أجرى.  
وقال (صاحب) بالهدوستانية الرديئة التى يعرف بعضها منها وماذا قال بابو؟  
إبه قائم.. لقد استغرق ساعة.

وفى هذه اللحظة دخل فاتح تشاند حديقة البنجالو، واقترب من صاحب وحماه بحفاة صولة، وبصر إليه صاحب بطرف عينه قائلاً لماذا تأخرت إلى الآن؟.

وحميم لمح فاتح تشاند وجه صاحب حمد الدم فى عروقه وقال (هارور) لقد تركت المصنع منذ قبل، ولكن ما أن جاء الشيراسى ودانى حتى تركت البيت بأسرع ما أستطيع.

- أنت كذاب.. لقد انتظرت هنا أكثر من ساعة  
- (هارور) أنا لا أكذب.. فقط ريم استغرقت وقتاً أكثر من اللازم، لأنى متعب.  
ولكننى تركت المنزل بمجرد أن نادى الشيراسى.

ورمي صاحب بابء كان في يده ، وكان واضحاً أنه مخمور ، وصاح  
أيها الكذاب الأحمق.. اعنق فمك لقد انتظرتك ساعة ، ويجب أن تمسك أنفك بيدك  
وتطلب العفو .

وضبط فاتح تشاند أعصبيه ، وكأنه يلع دماً وقال .

(هارور) .. لقد شتقلت اليوم .

- اظلق فمك أيها الضير .

- (هارور) يسمى لم أفعل شيئاً يستوجب هذا .

شبراسي .. أمست أننى هذا الضير ..

ورد الشر سى في صوت خافت .. ولكنه حازم قائلاً

- (هارور) هو أيضاً رئيسى فكيف أشد أدبيه ؟ .

شد أدبيه كما قلت لك .. وإلا عرفت كيف أؤدك ..

ورد الشراسي (هارور) اننى اضطر للمصنع لأشعر لا لكى تأنسى ، أنا أيها لى

كرامة ، (هارور) يستطيع أن يأخذ عملي منى .. إننى أطيع أوامرك ، ولكنى لا أعتدى على

كرامة أحد . أنا لى أشتغل عندك للأبد .

ولم يلق صاحب هذا فانفجر وهجم على الشراسي ، ولكن هذا أطلق ساقه للريح ..

ووقف فاتح تشاند صامتاً جامداً كالصم وحينما لم يلحق صاحب بالشراسي رجع

إليه وأمسكه من كلا أدبيه وهزه قائلاً

- أيها الضير .. أنت تعصى أوامرى . أنت تعصى أوامرى . ذهب إلى المكتب واحصر

الملف

وأحد فاتح تشاند يتحسس أدبيه قائلاً ملف صاحب ؟

- أي ملف أى ملف . هل أنت أصم ؟ .. أريد الملف .. هل تسمعى ؟

واستجمع فاتح تشاند بعضاً من الشجاعة وسأله بشيء من الضيق

- أي ملف تريد ؟ .

وكان فاتح تشاند نائماً ، ولكنه لم يستطع أن يسأل مرة ثانية ، فإن صاحب ساء الحلق

، وهو مخمور ، مخمور بالسلسلة ، ومخمور بالويسكى ، ولا أهد يستطيع أن يتصور ما قد

يقعه ، ولهذا سار فاتح تشاند في صمت إلى المصنع .

وصاح صاحب أجري ..

ورد فاتح تشاند (هارور) .. لا أستطيع أن أجري ..

لقد تعلمت الكسل.. إيه .. سأعلمك كيف تجرى. ودفعه بقدمه.

وفاتح تشاند كاتب في المصنع ولكنه أيضاً آدمى، ولو كان على شيء من القوة لما تحمل هذه الإهانة ومن محمور، ولكن كما كان الحال لا جدوى من المقاومة

ولم يذهب فاتح تشاند إلى المصنع. فإن صاحب لم يخرجه أى ملف يريد، ولعله كان مخموراً إلى حد لا يمكنه أن يميز ولذا فقد سار إلى مرله، وكان بطيئاً يحس كأنما يقيد أقدامه الآلم والهوان الذى رآه. ومن الواضح أن صاحب أقوى منه حسماً، ولكن ألم يكن يستطيع أن يرد أهانتة؟ ولماذا لم يطلع حذاءه ويضربه على وجهه؟. ولكن ما جدوى هذا؟.. ومن يدرى ربما أطلق عليه الانجليزى مصاصة قتلته.. وعلى أقل تقدير كانوا سيحكمون عليه حكماً خفيفاً أما بضعة أشهر حبس، أو غرامة مائتى أو ثلاثمائة روبية ولكن أسرته كانت ستتحطم وتتشرذم. لم يكن هناك أحد يعنى مآطهاله وربما ماتوا من الجوع على الأرضة. يا إلهى.. لماذا لم يكن على شيء من الثراء؟. لو كان لديه ولو شيء من المال لما سمح بهذه المعاملة، وما اكتثرت للموت إذا ما أعطى هذا الحيوان درساً.. إنه لم يخف لنفسه، وليس هناك متعة فى الحياة بأسف عليها، ولكن زوجته وأولاده.

وأخذ يفكر فى كل شيء وهو سائر. لماذا لم يهجم بصحته وأهملها إلى هذا الحد؟. ولماذا لا يعمل معه سكيناً ليمزق به صاحب؟.. ربما كان (حاسامة) صاحب يمزقه هم وحدهم الآخرون. وماذا بهم. كان سيسمر رمزاً لكفاح الطمعان إنه سيموت يوماً وسيترك عائلته. ولكن اليوم كان سيموت ميتة شريفة.. واستولت عليه هذه الفكرة الأخيرة حتى لقد استدر وسار بضعة خطوات عائداً إلى البنجالو، ولكنه ما لبث أن تخاذل ورجع. لابد أن صاحب قد عاثر البنجالو إلى البادى؟. وما فائدة خلق متاهب جديدة؟. إن ما حدث كان كافياً.

وما أن وصل إلى الدار حتى سأله شاردا، لماذا أرسل إلين؟ لقد تنحرت ورد عليها وهو مستلق على المقعد الطويل (كان مخموراً) وأخذ الملعون يشتمنى ثم أهاننى وطلب إلى الشيراسى أن يشد أذنى).

وأجابت شاردا حافقة (ولماذا لم تضربه بهذاك على وجهه).

وقال فاتح تشاند كس الشيراسى طيباً فقد قال له فى وضوح (هارور أنا لست فى خدمتك لأهين أناساً محترمين ثم تركه ومضى).

(لقد كان هذا شجاعة منه؟ ولماذا لم ترد الإهانة للإنجليزى؟).

(لقد صحت، لقد رددت له أكثر منها فقد اندفع نحوى بعضا مغلطت هدائى.. وجبىما

صبرني بالعصا انتهلت عليه بالحذاء)

وكأنما اسكرت شاردا القصة فقالت (حقاً ، لابد أن وجهه كان مسطراً)

(كان وجهه كإرض الغرفة القذرة)

(أحسننت أحسنت.. لو كنت أما هناك لما تركته حياً).

فقال لها (ولكن الأمور ستتغير بعد هذا الحادث.. ولا أدري ما سوف يحدث.. ولكنني

سأفقد عملي على أي حال وربما وضعت في السجن أيضاً.. وإن ينصت لي أحد حتى ولا القضاء فسينهازون إلى صفه).

( لا تهتم سري بعد الآن أن أي إنجليزي لن يحررني على معاملة مرؤوسيه هكذا )

(ربما كان قتلني).

(كان سيفلج جراحه حتماً).

وابتسم فاتح تشاند وقال ( وماذا كنت تفعلين أنت).

(الله كان سريعا، ألا تعرف أن أعصم ما يحافظ عليه الإنسان هو كرامته، وإذا فقدت

كرامتك فانت لا تستحق أن ترعى زوجة وأطفالاً.. وما دمت قد ضيرت فمأفقورة بك، ولو

كنت تحمكت الإهانة ساكناً لكرهت أن أنظر في وجهك.. وربما كنت سكت ولم أقل شيئاً

وهي قلبي كنت سأفقد أي احترام لك).

وهذا صوت شاردا وسرت فيها لسكينة ثم قالت

(والآن مهما كانت النتيجة فإنني سأحتملها مفرح - هاي أين تذهب - هه - اسمع)

ولكن فاتح تشاند كان يجري كالمحمون خارجاً من المنزل وظلت شاردا تصيح ولكنه لم

يحب .. لقد كان مندفعاً إلى النجاء ولكن لم يكن في قلبه هذه المرة دقة من الخوف بل

على العكس كان رفيعاً رأسه - وكان وجهه كقطعة فولاد وكان هو كله إنساناً جديداً لا

الكاتب المصعب الشاحب ولكن إنساناً شجاعاً حياً ذا هدف.. ومال إلى بيت صديق يعرفه

واقترض عصا طويلة ثم أسرع إلى النجاء.

وكانت الساعة التاسعة وكان (صاحب) يتناول عشاءه ولكن فاتح تشاند لم ينتظره

ولكى يتم طعامه وما كاد خائسامة يقدم الطعام إليه ويعود إلى المطبخ حتى رفع سياراً

ودلف إلى الدحل وكاد أرحس العرفة مغروشة مسجدة جميلة ثمينة لم ير مثلاً لها فاتح

تشاند حتى يوم روجه ونظر إليه (صاحب) بعينين تتطايران شرراً.

ورفع فاتح تشاند العصا وقال (لقد طلبت الملف وقد أحضرت الملف - فانت من طعامك

حتى أعرضه عليك، إنني منتظر هنا فاستمتع بالطعام إذ ربما كانت أكلتك الأخيرة)

ودهر (صاحب) ونظر إلى فاتح تشاد نصف ثائر ونصف حائق.. ولكنه تحقق أنه أمام شخص لم يعد يأنه لشيء.

وشعر صاحب بخوف إذ من السهل أن تصرب الكلب طالما أنه لا يحض ، ولكن إذا هجم عليك ليعضت فستفقد إرادتك .. وهذا ما شعر به صاحب

طالما كان فصح تشاد يتحمل صامتاً ، فصاحب قوى جبار ، ولكنه الآن في حالة أخرى لقد كان يرقب كأنه كل حركة ، وقد حانت عزمته ، فإن أى هامة بسيطة مستهوى بالعصا على وجهه ، طبعاً إنه يستطيع أن يعصه ، بل ويستطيع أن يصعه فى السحر ، ولكن الفضيحة والفجة سلاخاته.

ولهذا كان لابد له كرجل بعيد النظر أن يعدو معتدلاً ودبلوماسياً فقال بيذوب عريري فاتح تشاد أنت عصب ممي.. ولكن لماذا تغضب؟.. هل قلت شيئاً أساء إيت؟..

- منذ نصف ساعة فقط شددت أدنى وسميتنى المفلح الأحمق مائة مرة .. فهو نسبت بسرعة يا صاحب؟..

- أنا شددت أنيك؟.. هل تقول جاد؟.. هل تظننى مجنوناً؟

- إن الساعى يشهد على هذا ، وخدمك أيضاً رأوا الحادث..

- متى فعلت كل هذا؟

- منذ نصف ساعة فقط.. لقد أرسلت إلى ، وحينما جئت شددت أنى وركنتى بقمك

- حقاً .. يجب أن أعترف لك يا بابوحي أنني كنت قد شريت قليلاً ، وقد أكثر الهادم

من الويسكى ، ولماذا قلنا لا أنكر شيئاً . يا إلهي.. هل فعلت كل هذا؟.

وأجاب فاتح تشاد ، وهل لو كنت قللتى وأنت مغمور أما كنت أموت؟.. وهذا كان كل

شيء مغمور للمغمور فأنا مغمور فى هذه اللحظة.. والقرار الذى اتخذته هو أن تسلم

أدنيك وتشدهم ثم تطلب العفو وتقسم أيضاً أنك لم تعامل الناس هكذا .. وإياك أن

تتحرك حركة بسيطة وإلا سأسلمهم رأسك .. والآن أمسك أنيك واشدهما ..

حاول صاحب أن يضحك قائلاً بابوحي بك تحسن المزاح . أليس كذلك؟ . وإذا كنت

قد أسأت إليك فأرجو أن تعفونى..

- أدنيك

ولم يكن الإنجليزى مستعداً لأن يخضع.

وهز فاتح تشاد ، العصا قائلاً أمسك للإمامة بسهولة ، فقفر من كرسية وحاول أن

يحترف العصا من يد فاتح تشاد ، ولكن هذا كان منيقطاً ، فما أن عاثر صاحب الماشة

حتى هوى عليه بضربة على صلعتة برنح على أثره وأمسك رأسه بين يديه، وظل دابقة يصيح ساقصلك . ساقصلك..

وقال فاتح تشاند لن يهمنى.. ولكنى لن أعادر هنا حتى تمسك أذنك ثم تقسم أنك لن تعامل أحداً كما عاملتني وإن لم تفعل فستعد للضربة الثانية . ورفع عصاه ولم يكن صاحب قد نسي الضربة الأولى قط، فأمسك بشديبه على «تو» وقل هاك ما تريد . هل اكتفيت ؟

- وهل لن تسب أحداً بعد اليوم؟..

أبدأ..

- وإذا فعلت فلنذكر أنني لن أكون بعيداً.

- لن أسب أحداً أبداً ..

- حسناً.. والآن مساتركك، ومنذ اليوم لم أعد كاتباً في مصنعك ، وسأرسل استقالتى غداً، وسأكتب أنها بسبب سوء خلقك.

- ولكن لماذا تستقيل؟. إننى لم أقصلك..

- لا أريد أن أشتغل لدى حمر أحرق منك بعد اليوم . وفادر فاتح تشاند البجوالو

وسار إلى بيته هادئاً مطمئناً فقد كان يشعر بالنصر والحرية ولم يحدث قط في حياته أن شعر بهذه السعادة.

قصة هندية.. بقلم أيريم تشاند

ترجمة : محمد عودة





## راقصة هندية

---



«كان في رقصها قنصية غاندى، وشاعرية بهرو،  
وصوفية براشادا!!»

رأيتها ترقص في الاحتفال باستقلال الهند فإثركت ما قبل لي يوماً من أن الاحتمال  
باستقلال الهند لا يتم بغير رقصاتها.

كانت تعكس في رقصاتها أجمل ما في الهند.. قنسية غاندى، وشاعرية بهرو، وصوفية  
«راجندرا براشادا» رئيس الجمهورية .. الذى كأن حاضراً.. يتأمل رقصاتها وكأنه  
يتعبد!!

وكانت تبعث نفس ذلك الشيء الحار العميق الجميل السماوى الذى تحميه في المعابد،  
وأمام تماثيل الآلهة.

ومال على جارى وأنا مبهور وقال

«لا يجب أن تراها هنا.. إنها هناعرية في دلهى، وسط البيروقراطية والحكام العظام،  
أما هناك.

– هناك أين؟

– هي مدراس، في «الكالاكشسترا» ههناك ثلاث واحات لروح الإنسان في الهند  
«الكالاكشسترا» في مدراس حيث بنت «روكمينى ديبى» معبداً للحمال و «الشانتسيكيتين»  
في كلكتا حيث بنت طاقور معبداً للسلام و «السمى كولوفى» مسموعة المبدعين في دلهى،

حيث نرى عاندي معبدٌ للإسار، ولا بد أن تذهب إلى هناك لتعهم الهند.

- مدراس هذه قارة أخرى"

- ولكن الرحلة تستحق وستراه كما يحب أن تراها، ساريها القطن البسيط بين

تلميذاتها تعيش معهن في قلب «ناتارام» إله الرقص نفسه

إن كان شيء في «الكالكشتر» من حرار، «أكواح إلى الفنون التي تعم حتى الطعام الذي يأكلونه يمثل الهند، ورمز لأصالتها، ولكن لشكل هناك ليس كل شيء، لقد أبقيت «روكميني ديفي» روح الرقص في الهند، وانتشلت «لهارات نانيام» رقصا المقدس من محنة ميارنا الثقافي، وإن كانت أيضاً أكثر من راقصة.

أفضل. لقد كانت مبدعة وطيبة وهنت رقصها لمعركة لمرية، وأسهمت به فيها، ولقد كان رقصها فصلاً من قصة نحرنا، ولا زال شعار «الكالكشتر» هو «لتحرر لابد أن يكون حميلاً، لأن الحرية بحر حمال مستحيلة، تماساً كالجمال يعبر حرية

\*\*\*

ودعيت إلى مدراس

وجدت «روكميني ديفي» تحت الشجرة وكانت «الكالكشتر» عبة بعيدة صغيرة من «أكواح والأشجار، تناثر تحتها هتيات وفتيان صغار مع معلمهم ومعلمتهم بعزفون ويرقصون ويمسرون ويمرحون. وكان كل شيء هدياً خالصاً وعريقاً، وحينما سألت الأستاذة

أين القصة هذا؟.. اعروقت «الأستاذة» في الصلح. ضحكاً صافياً كنعام السارود وقالت.

- لم تكن البداية عادية، ولقد بدأت حين تنتهي لرقصت، وعندما بدأ لرقصة من سن السادسة أو العاشرة، وهي تطوف بأستاذة الرقص تتعلم رقص «الكالكالي» في «تاجور» وتتلمذ «لهارات» «تيام» هما في مدراس، والكاتال رقص لمقول في «أجرا» في الشمال، و«المالابور» رقص الشعب في «أسام»، وحينما يمسحها أستاذة الإذن تبدأ لرقص وتطل هني يشير عليها بأن تكف فتعزل أو ترحل عن ميدان بحر، ولكنني بدأت هكذا في سن لست، في سن الخامسة والعشرين، ولا أدري ما الذي انتق في نفسي هجأة ودعيت لأن أرقص وأن أتحدي عقبات كثيرة وعسيرة، ولقد كان في نفسي دائماً مند طموحتي شعور منهم عارض سأني أريد أن أرقص ولكنه لم يستد بي إلا في ذلك الحين، وربما كان عاندي. كان عاندي قد أيقظ الهند كلها واستيقظت معها، وأحسست أنني أريد أن أسهم في المعركة وأن أجاهد مع ملايين المحاضرين والمجاهدين، وهي لي أن لو رقصت

وهربت في رقصاتي عن حلمها بالحريه فإبسي أكون قد أدبت واجبي، كان سلاحنا هو قرانا الروحانية، أولاً وأخيراً والرقص منها وبدأت أتعلم الرقص..

كيف، بطريقة الفتيات لصغار؟..

- لا بطريقة أشق، لقد ذهبت إلى كمبر أساتذة الرقص هما وسليل الحكيم القديم العظيم «بهارات» مستدع «البهارات» تمام، فطلب إلى أن أرقص أمامه، وحببما رقصت سألمي هل علمت أحد قبل الآن، وقلت له لا، فقال لي هذا، لم يحدث منذ رقصت «لكشمي» للإله «شيفا» وما أظنك في حاجة إلى أن تتعلمي كثيراً، وقلت له لا ي مهاراش أريد أن أتعلم، ابنتي أحسن روي حايوه، وروي لي القصة التي لا زالت درسي الأول والأخير، وقال لي أن تعلم الرقص ينبغي منذ ألقى «ناتاراجا» درسه الأول على تلميذته الحالدة «شانتا» هل تعرفينه؟.. ذهبت «شانتا» إلى «ناتاراجا» ليعلمها الرقص فقبل لها «أذهني أولاً وادرسى الموسيقى»، وعانت عاماً تعلمت فيه أصول الموسيقى. وجاءت وقالت له لقد درست يا أستاذي، فقال لها أذهني ودرسي الشعر، وعانت عاماً درست فيه أصول الآب والأساطير القديمة وعدت، فقال لها هل «ترين الكون»؟ فقلت نعم يا أستاذي، فقال الآن تستطيعين أن تتعلمي الرقص.

ووعيت هذا درس جيداً، ولا زال هو الدرس الذي استذكره كل صباح وأعلمه لكل تلميذي وتلميذاتي. إن لرقص يجب أن يعدو شعله من روح «ناتاراجا» نفسه.

- هذا منهج رائع لكل مكان. ولكنك لم تقل كل هذه السنين في تعلم كل هذه «العزف»؟

- كنت أريد أن أعبد محد رقص «البهارات» تمام، وأن أسهم في انتشاله من الهوة التي انحدر إليها، وأعيدته إلى لمعاد حيث ولد وحيث يجب أن ترد إليه قدسيته، وأخذت أطوف وأجمع الرقصات وأتعليم وأرقص للحماهير، وقال لي عاندي يوماً «أنت سفيرتنا الثقافية للعالم أذهني ويشري بثقافة الهند وقتنعهم أس أحياء ولا نموت»

ورحلت إلى أوروبا وأمريكا، ووقصت على معظم مسارحها من ستوكهولم إلى نيويورك وتقتنعت روي إلى حضارة الغرب، وإلى لمعاني التي تجمع روح لإنسان في لشرق والعرب، وامتت ثلاثين معاً، ولما كنت أحشى د ثماً أن تكون أيامي على المسرح قصيرة، وأن يشير لي أستاذي بإصبعه هاترل أردت أن أقوم بعمل كبير أبقى به على المسرح حتى بعد أن أعادته، ورأيت أن أبعث ملحمة الهند الكسري «كومارا سامسيفان» التي

كتبها الشاعر الحالد «كاليد» سا، هي القرن الرابع قبل الميلاد، وجمع فيها كل حكمة الهند القديمة تماماً كما روى هو ميروس في الإلبانذة حكمة الإغريق. وكان عملاً كما روى وهو ميروس هي الإلبانذة حكمة الإغريق. وكان عملاً طموحاً استغرق مئتي سنوات عمري، ولكنه حينما تم، أحسست أنني حققت حياتي، وذهبت إلى أستاندي وقلت له هل أنزل، فقال لا . لن تنزلي طالما كان هناك رقص وطالما كانت روحنا هي حاجة إلى الحرية، وسبكت يومها طويلاً . وقال إن معركتنا الروحية مستمرة حتى بعد أن تستقل برمن بعيد .  
- وأظنها على أشدها الآن..

ولهذا رأيت أن نعد لهذه الحركة جيشاً صغيراً من الراقصات والراقصين ليعيدوا إلى روح الهند، وييسروا بها، ويحفظون عمودها الفكري قائماً..  
وها أنت هي قلبه ، ولقد أنشأنا «الكالاكشترا» ندرس ونتعلم ونعيش معاً، كما كان «الجورو» معلمي الهند القديمة و «الريشي» حكماء يصيرون نلاميذهم إلى ظل شجرة البوروثوم ما تعلموه.  
وفي كل بضعة أعوام تخرج للهند راقصاً أو راقصة عبقرية تحمل رسالة «الكالاكشترا» وتجدد ثقافتنا بالهند وفي الإنسان - ومرة أخرى أدركت وأمت لماذا لا يتم الاحتفال باستقلال الهند بغير رقصاتها.

## ثورة.. إقبال

---





بدأت باكستان حلاً في رأس شاعر من شعراء الهند ومفكر من مفكرها اعطاهم هو  
«محمد اقبال».

واقبال تراث تتفق عليه وتتقاسمه الهند وباكستان. ويشهد الجيش الهندي قصيدة وطنية  
من قصائده.

«والماجا كارنا» لباكستانية حصد ألفاً في الثلاثينيات في مؤتمر حزب العصبة  
الإسلامية

وباكستان التي حلم بها اقبال كانت شيئاً مختلفاً وبدأت كسر المشاكل التي تعيشها  
باكستان الآن من بعد عن طريق اقبال. وقد كان اقبال مع كثير من رعماء وأقطاب  
المسلمين في الهند في مقدمة الحركة الوطنية الهندية من سبق بعضهم عاين في مقاومة  
الحكم البريطاني، والدعوة للاستقلال.

ولكن لأسباب عديدة ، رئيسية وثانوية، نعتز أمم هؤلاء في الحركة الوطنية الهندية  
وبدأوا لبحث عن طريق آخر.. للمسلمين وحدهم!

وكانت البصمة الدبسة (الهندوكية) للحركة الوطنية على يد عاين، معلمهم وفي النهاية  
نشرت كثيراً منهم.

وكان عاندي يريد أن يوقظ ملايين الهنود، أن ينفذ إلى ثمار راحتهم، وأن يدع لهم وأن يجد لهم طريقاً وسلاحاً خاصاً، بعد أن جردهم الاستعمار من كل الأسلحة وسد كل لمرق ورأى أن عبث حياتهم ويتكلم لعنتهم ويغند إلى أرواحهم من ترثهم الروحي.

ولكن عاندي كان يريد أن يوقظ كل الهند، المسلمين الهندوس والمسيحيين وكل الملايين المستعدة

وكانت دعوته لهند إيسابية، وصلواته مريجاً منساوياً من كل الديانات، ونداء لكل الهند.

ولكن حول عاندي في حرب المونمر تجمع أقطاب الهندوس، بعضهم متدينين تديناً عميقاً، مثل المهاتما، وبعضهم متعصب، يرى الهند وطن الهندوس، ويجب أن يكون وطنهم أولاً، وبعضهم يحفى مطامعه تحت أفتنة الدين، ورأساليون يريدون أن تستقل الهند ليملكوها هم ويحكموها

وهب لسريطاسيون الدين رأوا وحدة الهند، تقوم فحاة، وتهدد كل ما أقاموه من خلال قرون صوية على التفرقة بين الهندوس والمسلمين ليفتقوا الوحدة.

وكان لدى كثيرين من أقطاب المسلمين حساسية الطائفية، المعترزة بنفبها وهي على قلنتها النسمة حكمت الهند ألف عام، وأسهمت في حضارتها وراثتها تماماً كما أسهمت الأعسية وهي لم يقطع كفاحها من أجل استقلال الهند منذ بداية الاستعمار.

وأنت كل هذه العوامل محتمة ومتفرقة إلى أن ينقسم المسلمون فريقين، الدين يريدون السحت عن طريق حر لاستقلال المسلمين في الهند، والدين يصرون على اللقاء مع الأغلبية في وطن واحد والصمود، حتى يسحق ويذهب العدو والذي يقف وراء كل الفرقة وكل المشكر كما قال أحدهم «أين ذهب وبترك تاج محل ومسجد الجمعة والقلعة الحمراء» وهي أزهى الآثار الإسلامية في الهند.

وكان رأى هؤلاء أن المسلمين ليسوا أقلية، هم أقلية عديدة، ولكن أقلية حلقة مدعة هي القوة الأخرى التي لا تتحق ولا تكتسب شخصية الهند بدونها، ولأن أن يبقوا على السراء والصراء مع الأغلبية، ويحلوا المشاكل معاً.

وكان أعظم هؤلاء أنو لكلام أراد، وكان أعظم الآخرين (أقل).

ودعا قبال إلى أن يستقل المسلمون موطن خاص في الهند، ولكي يحقق المسلمون هذا الوطن، لاند من ثورة ثقافية يصلحون فيها ما ران على عقيدتهم وثقافتهم ثم ثورة شعبية يتخلصون بها من الاستعمار والاستقلال.

ولقد دأب الحكم البريطاني بكل ما استطاع على أن يبقى ويشتد التخلف لدى جماهير المسلمين خاصة وسلط عليهم حيثما من المشعوفين الدسيسيون يشرون البدع والخرافات، ويدكون الفارقة والانقسام بين مختلف المذاهب.

ولهذا رفض (أفعال) الصوفية والمنصوفة وقاومهم وأعلن أن (لصوفية أفيون المسلمين) ودعا إلى العمل والثورة.. وانتقال.. انقلاب.. انقلاب.. أي الثورة.. الثورة.. الثورة.. الإرادة.

وقتل أشعار أقبال وكتابات الهند كلها، المسلمين والهندوس على السواء، كان أعظم شعراء اللغة الأردية بعد (غالب)

وقال أحد كبار المفكرين:

ولدى الهندوس طاعور الذي يدعو إلى أن ندم، ولدى المسلمين اقبال الذي يدعو إلى الثورة،  
كان طاعور يبحث عن الجمال والسلام، الجمال في كل شيء والسلام والإخاء مع كل

وكان اقبال يدعو إلى تصحيح الحياة والبطم - أولاً - ليقوم العمال وسود السلام.

وكانت باكستان بهذا (ثورة) بحققها جماهير المسلمين.

ولكن حينما دعا إليها، لم يدع إلى استزاعها من الهندوس، أو إلى أن تقوم دولة إسلامية تتناسب البؤلة الهندوكية معها، ولكن أن تقوم دولة مسالمة، بالاتفاق بين الاثنين ويكون الطريق لتحقيق السلام بينهما.

تتحقق باكستان من الولايات ذات الأغلبية الإسلامية في الهند ويستقل بها المسلمون ويحكمونها حكماً عسكياً نعيش في تلك الأغلبية المسلمة والأقلية الهندوكية التي تبقى فيه حياة أفسس

ويتكون من الولايات ذات الأغلبية الهندوكية الهند.

ويعيش فيها الهندوس وما يبقى من المسلمين حياة معاناة.

ولا بد أن تكفل الدولتان للأقليات حقوقاً وشرعية والطبيعة أن توفر لهم كل الضمانات.

كان الشرط الأول هي حكم اقبال أن يكون الوطن منكاً لكل المسلمين ولأغلبتهم خاصة ولبدأ لابد أن يسوده نظام اجتماعي، يحرم المسلمين من الاستعلاء ومن الاستغلال معاً.

إن التحرر بالنسبة للمسلمين لا معنى فقط خلاصهم من الاستعمار وهو أساس كل النلاء. ولا من الهيمنة والسيطرة الهندوكية محسوب، ولكن من الاستغلال. أي من الفقر نصاً. وأساساً وكان المسلمون في الهند - أشد جماهيرها فقراً وعوزاً بعد المسيحيين. وقد

تعهد الحكم البريطاني أن يعفيهم دائماً في القاع

انتزع البريطانيون حكم الهند من المسلمين

وحسبما تار المسلمون ، ثورة عارمة كادت تقضى على الإمبراطورية كلها سنة ١٨٥٧ ، برل  
نطش البريطانيون لأكثر المسلمين شرب القائد لريعي ، كويلاً مترعة من دم امرأة المنفل  
وأرسل رؤوسهم على صينية كبيرة إلى الإمبراطور في قصره .. قبل محاكمته وعزله وبقيته.

وقد دعا اقبال المسلمين منذ البداية إلى (أن يدرسوا الاقتصاد أولاً - وحتى قبل أن  
يبدأ الدعوة إلى باكستان بوقت طويل كتب كتاباً باللغة الأردية بعنوان (علمي اقتصاد)  
يدعو المسلمين إلى أن يكبوا على دراسة الاقتصاد لأن (الامة التي لا تبنى اقتصاداً قوياً ،  
لا يمكن أن تبقى في هذا العصر..)

وظل يقال يبحث في الإسلام وفي مذاهب ونظم العصر عن حل للمشكلة التي تقص  
مضجعه وهي الفقر ، فقر المسلمين في الهند

وقاده المبحث إلى الحقائق الرئيسية الأولى وهي أن الاستعمار يستغل شعوب الشرق  
كما يستغل شعوب العرب وأن الرأسمالية هي لغة العصر - نظام ضد الإنسان  
وشر افعال حملة على الرأسمالية والإقصاء . وأعلن أن القضاء على الفقر لابد أن يبدأ  
من القضاء على هؤلاء ، وأن الإسلام ضد الاثنين ، وليس هناك إقطاع في الإسلام لأن  
الأرض ومكة الأرض ، هي لله وحده ، ولابد أن توزع بين عباده بالعدل ، بل وليس من حق  
أحد أن يملك أرضاً لا يزرعها ويعيش منها وكل من يملك أرضاً لا يعرفها كما يعمل  
الإقطاعيون لابد أن تنزع منه وأن توزع على من هم أولى بها ..

وهذا هو الإسلام

وقال قصائده المشهورة دعا بها فلاح البيجاب

«قم وحطم لأصنام و لقبود حطم سلاسل الأغلال إلى الإسلام يدعوك كل لحظة إلى أن  
تحقق ذلك».

« عرف نفسك أيها الفلاح .. أنت النحر والحقير و الطير ، كن شعلة تناسب وبحرق كل ما  
يشاعى وأحكام لله هل نحاف الزيف ، حطم الريف ولا نخافه»

وقامت الحرب العالمية ومن خلالها انتصرت الثورة الروسية وكانت حدثاً أثار العالم كله ،  
ولكنها هزت ضمير الهند العظيم ، كما لم يهره حدث من قبل ، تلقى أعيانها وشعاراتها  
بفرح كبير ثم ألهمته قصيدتين من أجمل أشعاره ومن أشهر قصائد الهند قصيدتان هما  
«الله بأسر ملائكته» و «ليبين في حضرة الله»

وتقول قصيدته الأولى «إن الله دعا الملائكة وكلهم سُمِرَ واحد هو أن يوقطوا فقراء العالم لكي يحطموا العالم» الرأسمالي والإقطاعي. وأن يساعدوا البشر في إقامة العالم الجديد. خلاص الإنسان»

وتقول القصيدة الثانية «إن ليمين حينما انتقل إلى العالم الآخر، تلقى الله امن به، ولكنه اعتذر أنه لم يكن يستطيع أن يرى الله في عالم يستقل فيه العامل ويسترق الفلاح وتستعد فيه الشعوب وترتفع فيه السوك أغنى من الكناش، ولكن وقد رأى الله ومن به ، فإن خلاص الإنسان أصبح قريباً»

وتجاوزت الهند كلها بالقصيدتين وأثارت الجماهير والمتعبين ولكن قامت الأوساط الدينية المترزمة تنهم أقبال بالشيوعية والاشقية ويتبر حمل صفة

صده

ووقف أقبال يبرئ نفسه من التهمة ويدفع عن موقعه وبدأت مرحلة من القلق والحيرة، دين اعجابه بالثورة الاجتماعية التي حققها الثورة الروسية وبين رفضه للإلحاد في الفلسفة الماركسية وبعد البحث والعناء توصل إلى معادلة فلسفية تقول: «الشيوعية = الإيمان بالله = الإسلام»

ولم تنقطع الحملة عليه، ودخل في حوار مع الشيوعيين هم والمنزمنين ولهذا قال:

«إن الإسلام يتفق مع الشيوعية في أنه ضد الرأسمالية وضد الإقطاع وضد الاحتكار وأنه ضد الملوك والقيصرية ، وأنه ضد رجل الدين والاكليروس.. ولكن كل هذه مبادئ في القرآن ولا حاجة للمستعبيين لتلمسها في كتاب آخر».

وفي خطاب كتبه إلى بريطاني قال روسيا. والإسلام.

«إنني لا أعنفد أن الروس يطيعونهم شعب غير مدين، بل العكس وموقعهم الآن من الدين حالة طارئة.. وليس هناك نظام يمكن أن يقوم ويقوم على الإلحاد.. وحيما تستقر الأوضاع في هذا السد. سوف يعكرون مرة ثانية. ولأثنى على بغير أن اللشقية، مع الإيمان بالله هي الإسلام تقريباً. فلن أستعرب على مر الوقت أنه إن تكتسح روسيا الإسلام أو يكتسح الإسلام روسيا.. ويوقف هذا على دور المسلمين اليهود في ظل الدستور الجديد»

وكان هناك بحث ومفاوضة حول دستور للهند في ظل الحكم البريطاني وقد طلت المشكلة الاجتماعية هي المشكلة التي تعيبه ولم يقطع بحثه في إسلام وهي

الاشتراكية والشيوعية . عن حلول لها .

وفي آخر حياته اراد قلقه وهيرته وفي خطاب كتبه إلى (محمد علي حة) قبل وفاته بشهور قال .

«إن على حزب العصنة الإسلامية أن يحسم نهائياً موقفه، هل يظل حزب الطبقات العليا من المسلمين أو يصحح حزب جماهير المسلمين، وهي الجماهير التي لا زالت ويحق بعيدة عن الحرب».

«إن كل مستقبل حزب العصنة الإسلامية يتوقف على شيء واحد هو كيف يمكن أن تحل مشكلة الفقر بولحسن الحظ هناك حل في تطبيق مبادئ الإسلام وتطويرها بما يتفق وروح العصر»

«لقد بدأ السلم العادي في الهمد يحس بأسباب تدهوره وانحطاطه، من خلال المائتي عام الماضي، وهو يعتقد أن سبب فقره هو الرأس مالية والمرايين الهدوس، واشتراكية «جواهر لال» الملعنة ليس من المحتمل أن تجتذب كثيراً من المسلمين، ولهذا فإن ما اقترحه ربما يكون خير رد يمكن أن يواجه به اشتراكية جواهر لال».

ورأى كثيرون أن اقبال قد حل أخيراً المعادلة الصعبة التي كانت تحيره بين الاشتراكية الديمقراطية والدين

ورأوا أيضاً قلقه يشتد حول العصنة الإسلامية وحول حلم باكستان وهل يصبح حزب اقطاعيين فقط وهل تولد باكستان صبيحة الإقطاعيين المسلمين، وهل لا تكون بداية ثورة وديمقراطية اشتراكية إسلامية، كما تصور

ومات محمد اقبال، ولكن لا زال واحداً من أعظم شعراء ومفكرى وثوار الهند والباكستان معاً، وصمم قلة دائرة يجمع عليها شعبا البلدين.

وفي باكستان - الآن - عودة إلى مراجعة أفكار اقبال وذلك لإدراك مدى الانحراف والبعد عن الطريق الصحيح وكيف يمكن العودة إليه.. خلاص باكستان هو في استئناف المسيرة في طريق اقبال.

وهذا هو خلاصة حديث طويل مع (حاويو محمد اقبال) ابن الشاعر الكبير، والقاصي في لاهور، وحديث طويل آخر مع (رشيد خان) و (محمد مهدي) من شعراء وأدباء الهند المعاصرين في دلهي..

وهو حديث فيه ما يفعم ويلانمنا ويعني الفكرة السائدة عندها، أن اقبال كان متصوفاً بحسب بعض قصائده فقط

الفضل المزدوج

---

« قصة أسد كشمير »

---





لا شيء يعكس كل متناقضات شبه القارة الهندية أى (الهند وباكستان) مثل مشكلة كشمير. ولا أحد يعكس هذه المشكلة مثل شخصيتها الأولى (الشيخ عبد الله) أسد كشمير. وقد قابلت الشيخ عبد الله مرتين. كانت المرة الأولى عام ١٩٥١، وكنت المرة الثانية سنة ١٩٦٤، كانت الشيخ محمد عبد الله، رئيس وزراء كشمير، ورئيس حزب المؤتمر الوطنى الكشميري، وأهم من هذا وفوقه، كان بطلاً وطنياً من أبطال الهند، وزعيماً مسلماً يصعه الكثيرون قبل أبو الكلام آزاد وورع أحمد كدواي، وكانا قطبي رعاة المسلمين الوطنيين فى الهند فى ذلك الحين.

وفى عام ١٩٦٤، كان الشيخ عبد الله، حارجاً منذ قليل من سجن دام ما يقرب من أحد عشر عاماً، قاسى في خلالها هو وأسرته (كل ما لا يمكن أن يحدث في دولة تقول إنها ديموقراطية علمانية) وخارجاً من محاكمة صورية لم تتم، وجهت إليه التهمة (التي كنت أتصور كل شيء إلا أن تحدث له ونوجه في ظل حكومة يرأسها نهرو) وهي الضيافة.. ولكن سواء هي المرة الأولى أو المرة الثانية كان (الشيخ عبد الله) هو هو لا يزال (شير كشمير) أى أسدها، ومعبود جماهيرها..

حينما خرج من السجن، وعاد إلى كشمير، قبول مقابلة (أعادت إلى الأدهاس ذكرى

مظاهرات 'يوم عادي، أو مظاهرات الاستقلال'. كما قالت أشد الصحف عدا له.. ولا زال في المرة الثانية كما كان في المرة الأولى هو العامل الحاسم، والفيصل في مصير كشمير وشعب كشمير..

وحينما روى لي الشيخ عبد الله قصة كشمير في المرة الأولى قال «فصننا بسيطة ومعقدة، ككل شيء في الهند، ولكن لابد أن تبدأ منذ البداية.. هذا الوادي الجميل الذي فتك. والذي يستأثر بكل من يراه، اشتراه المهرابا «جولاب سنج» من البريطانيين هو و «جامو» بمبلغ سبعة ملايين ونصف مليون روبية، وكان ذلك مكافأة للمهرابا على خيانتة لقائده الكبير «راجبيت سنج» في هروب السيخ الشهيرة. ومن ذلك اليوم (وقد سميت الصفقة معاهدة ارتيسار سنة ١٨٤٩) اعتبر المهرابا جولاب سنج وأحفاده أن ولاية جامو وكشمير هي ضيعة اشتروها هي وأهلها، ليعملوا بها ما يشاؤون وقد قام حكم المهرابا والأمراء على الاستبداد والاستغلال، بأشد أنواعهما، ولكنه في كشمير كان مصاعف.. كانت الأسرة الحاكمة هندوكية والأغلبية مسلمين، ولهذا كونت الأسرة أرستقراطية هندوكية، ملكت كل شيء، وبطشت بكل الحقوق والحرمان، وسامت هذا الشعب الوديع الموهوب أقطع أشكال الاستبداد والاستغلال.

وفي سنة ١٩٣١ اجتمعنا - بعض الشباب - وقررنا إنشاء (حزب المؤتمر الإسلامي) ليدافع عن حقوق الأغلبية ضد حكم المهرابا والقلعة الحاكمة ولم يمضِ قليل حتى أصبح الحزب قوة سياسية تقلق المهرابا والإنجليز.. وأخذوا يفكرون في كل الطرق للقضاء عليه.

ووجدنا عدداً شبيهاً غريباً.. انتقى المهرابا ومستشاروه الإنجليز عدداً من المسلمين، ومن الحرب ومنحورهم بعض الوظائف والمناصب الكبيرة.. وإذا بهؤلاء ينشقون عن الحزب، وينضمون لأعدائه ويصيهون أشد بطشاً بالمسلمين.. وأبركنا أن المشكلة ليست مسلماً وغير مسلم، بل وطني وغير وطني، ومستعمر ومضطهد، ومستغل وإقطاعي.

وقررنا أن نغير الحزب، فلسفته وتنظيمه وبرامجه وسميته (حزب المؤتمر الوطني) وأصبح يضم كل أهالي كشمير، من مسلمين وهندوكيين وسيخ، ويصهرهم معاً، في كفاح ضد الاستعمار وضد الإقطاع.

وكان هربنا مستقلاً، معتمداً على قوته، وكفاحه الذاتي، وكان حزب المؤتمر لا يمارس العمل السياسي في ولايات الأمراء كان قاصراً على الهند البريطانية. وقد زاده البلش

والإرهاب الذي أنزله بنا المهراجا ، قوة وصلاة ، حتى أصبح نموذجاً لكفاح كل الولايات... ونحن وإن كنا مستقلين تماماً عن حرب المؤتمر الهندي، إلا أن مثلنا وأهدافنا مشتركة ، فقد كنا نكافح ضد الاستعمار ومن أجل حرية الهند وكنا نكافح ضد الانقطاع ركيزة الاستعمار ومن أجل عدائه اجتماعية هي الهند، وكنا نكافح أيضاً الطائفة ومن أجل الوحدة القومية للهند..

ولهذا تمت الصداقة والرمالة لوثيقة بيند وبين حرب المؤتمر الهندي وبين قايته خاصة عاندي وبهرو . وعلى العكس من الخلاف حاداً حتى أصبح معركة سفرة بيننا وبين حزب العصاة الإسلامية، ومحمد علي حنة.

لقد تعلمنا من تجربتنا.. أن المسلمين والهندوس ليسوا أمتين منفصلتين، ولكن أمة واحدة مستغلة ومضطهدة، ويوم يرتفع الاصطهاد والاستغلال، سوف تتأكد وتتدعم هذه الوحدة.

وقد قدم حزبنا المثل لهذا . فقد انضم إليه كل العلماء والكهنة، والمثقفين المسلمين والهندوكيين والفلاحين و لصناع وكل الجماهير من كل الأديان والطوائف..

واستطاع الحزب أن يعزل المهراجا، وحاشيته من الهندوكيين والمسلمين والسيخ والبريطانيين، ولم تعرف الولاية أي صراع طائفي رغم ما حاوله كل هؤلاء من تحويل الكفاح الوطني إلى مذاهب طائفية كالعدة.

ولم يقتصر حزبا على الكفاح الوطني، وتنظيم الصفوف ضد المستعمرين وعملاء المستعمرين، ولكنه أعد نفسه لتبعات ما بعد الحرية، نحننا كل مشاكل كشمير ، وكان أهمها الفقر المدقع، ونهب كل موارد ومواهب هذا الشعب المسكين ، وقادنا النضال إلى الحل الاشتراكي، ووصعنا برنامجاً مفصلاً، بعنوان (كشمير الحديدة) لإقامة تجربة اشتراكية ديمقراطية علمانية في الولاية تكون نموذجاً للهند كلها . كان برنامجاً متقدماً بكثير عن برنامج حزب المؤتمر الهندي واتسقتا نظرياً وعملياً وسياسياً أن الإسلام لا يتعارض مع الوطنية ولا مع الاشتراكية.. قدمنا الحجة والدليل . وحيثما قسمت الهند كنا ضد التقسيم، ولكنه أصبح حقيقة واقعة فقبلناه..

وقد منح الأمراء والمهراجات الهندوس، بعد التقسيم حق الانضمام إلى الهند أو باكستان ، مع مراعاة العوامل الجغرافية ورغبة شعوبهم.

ولما كانت كشمير تقع بين الهند وباكستان وكان المهراجا هندوكياً والأطعية مسلمة ، كما كانت كشمير ضمن أحلام «جنة» وحريطة لباكستان، فقد تلكا المهراجا في الاختيار

ويدأ بماطل كلنا الدولتين.

وانتهزت باكستان فرصة بعض الاضطرابات التي وقعت في مدينة (بونش) دمعت  
ماتقائل الشمالية لكي نهاجم كشمير بحجة (أنهم يريدون الإساهام في تحرير إخوانهم  
المسلمين..)

وهجم رجال القتائل ، ولكنهم لم يسيروا إلى بونش ولكن إلى الودى حيث بهبوا  
وسلبوا وارنكبوا كل المويقات..

واستعانت المهرابا بالهند.. واشترطت الهند انضمامه، وأن يصدق حزب المؤتمر الوطني  
على هذا الانضمام، ولن يظل كل هذا معلقاً حتى يعود الأمن والاستقرار فيحصرى استفتاء  
بين الشعب ليقرر بنفسه إلى من يريد أن ينضم.. وأخرج عنى ، وتوليت رئاسة الوزارة  
ونظمنا المقاومة الشعبية التي اشتركت مع القوات الهندية في صد العدوان).

وأضاف الشيخ محمد عبد الله في نهاية حديثه عام ١٩٥٦ (لو انضمت كشمير إلى  
باكستان.. ماذا ستكون النتيجة ستقع كشمير في قبضة الإقطاعيين، وعلاء الاستعمار  
البريطانى القدامى وأخطر من هذا ستقتو كشمير قوراً قاعدة من قواعد الحرب الباردة  
هى قلب اسيا .. إن كشمير ذات حدود مشتركة مع الهند ومع الاتحاد السوفياتى.  
والعرب يتطلع إليها بلهفة ليجعلها من قواعده.

وأخطر من هذا أيضاً، سوف تدكى كل أحقاد المتعصيين الهندوكيين في الهند نفسها،  
وستحمل الأربعين مليون مسلم الذين لا زالوا في الهند والذين يريدون أن يعيشوا في أمان  
كمواطنين ستجعلهم (أجانب) مكروهين في الهند وستحل بهم كل الأخطار المحتمة..  
ولكن مع الهند، سوف تكون كشمير قمة الديمقراطية والاشتراكية والعلمانية، مركز  
إشعاع في قلب آسيا، ومارة تلقى صوبها على الجميع . وعلى كل فإن الشعب هو الذى  
سيفصل (ولا شك في نتيجة الاستفتاء).

وغادرت كشمير يومها، مقتنعاً بكل ما قاله الشيخ عبد الله.. وبأن كشمير سوف تكون  
تجربة ثورية جديدة.. فلديها كل مقومات هذه التجربة . زعم شعبي قوى، وحزب جماهيرى  
نو قيادات واعية باضحة .. قابلت يومها هذه القيادات وكانت مجموعة متناسقة تكاد تكون  
نموذجاً لما يمكن أن يكون عليه (كادر) حزب ثورى . مولانا سعيد الفقيه الماضى الواسع  
الأفق، وميرزا أفضل سدح المهية الجماهيرى الاشتراكى، وعلام صادق السياسى المحك  
(الماركسى) ثم شخسى علام محمد الرجل الثانى في الحرب، ورجل كشمير القوى، أو كما  
قال البعض (الحديدى)، وقائد المعارك العديدة العيبة التي حاصها الحزب

ولدى هؤلاء القادة، كان برنامج واضح محدد هو برنامج (كشمير الجديدة) بدأوا بالفعل تطبيقه ، وأعلن (ميرزا أفصل بييج) الإصلاح الزراعي في كشمير ولم يكن يعوقه يومئذ في اسيا سوى الإصلاح الزراعي في (الصين)، وأثار يومها دويًا في الهند كلها حتى لقد قال بهرو نفسه (أتمنى لو استطعنا تطبيق منه في الهند كلها)

ويومها قررت أن أتعمق بنفسي في حوارى وأرفق كشمير ألس بنفسى هدى كل هذا، وكان من الصعب أن يتكلم الناس أو أن يستجوبهم أحد حتى يعرفوا أئنى (عرمى مسلم) وحينئذ تشرق الأسارير وتتفتح القلوب والأفواه . واستغفرت يومئذ أن وجدت الجميع يؤمنون إيمانًا مطلقًا تامًا (بالشيخ عبد الله) ولكن كثيرين منهم أيضًا يفضلون باكستان. وأقنعت نفسى أن هذه مجرد عواطف غير واعية وإبها بالترمية السياسية، ويلمسها نتائج التغيير الاجتماعى سوف تقتنع.

وأمت يومها أن كشمير لاند وأن تنضم للهند وأن هذا موضوعياً هو لصلحة السلام والتقدم والوحدة القومية، (لو انضمت كشمير إلى باكستان لأصبحت قاعدة للحرب الدارده، وضبعة للاقطاعيين المسلمين الذين لن يختلعوا عن المهرجا، ولألهيت العداء الطائفى الذى هو لعنة المسلمين كلها)

وتبكت كشمير متحسماً لهذه التجربة الجديدة.. مصعماً على متابعة أخبارها وتوالت هذه الأخبار ولكن غريبة عجيبة.

فى أغسطس سنة ١٩٥٢ أعلن فجأة وبلا مقدمات اعتقال (الشيخ عبدالله) وقام باعتقاله تلميذه وزميله ومساعدته الأيمن (بخشى غلام محمد) نفس الرجل الذى قال (أن أركان الإسلام بالسبعة للجميع خمسة ولكنها بالنسبة لى ستة والركن السادس هو إيمانى بالشيخ عبد الله).

ولم يكن بخشى غلام ليجرئ على اعتقال أحد زعماء الهند كلها، بغير موافقة الحكومة المركزية أو اقتراحها.. وهذه الحكومة بدا أنها تبارك هذا الإجراء، لأن مصادرنا صرحت بأن (الشيخ عبد الله قد تاجر على كشمير مع الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة ادلاى شتيفنسون وذلك لإعلانها ولاية مستقلة)

وأسدل ستار (حديدي) على الشيخ عبدالله وعلى كشمير كلها، وتولى بخشى غلام حكمها (جعل الشعب كله منرحم على أنام المهرجا الهدوكى) وبلغ الإرهاب والبطش كما بلغ الفساد واستغلال السلطة والنفوذ حدًا لم تبلغه ولاية فى الهند مع كثرة الولايات الفاسدة..

وبعد خمس سنوات طويلة في السجن، قصدها الشيخ (عبد الله) وأربعون من رفقه هم  
رهرة شاب وقيادة الحزب، دل كشمير كلها، أفرج عنه، وعاد إلى كشمير..  
وانفجرت كشمير كلها، وخرجت جموعها كلها رجالاً ونساء وأطفالاً لترحب به، ولتؤكد  
إيمانها وإخلاصها له..

ودفعت الحكومة وعرضت على الشيخ عبد الله أن يتولى رئاسة الوزارة.. وأن يسمى  
الطرفان ما حدث، ويعود كل شيء إلى ما كان عليه ولكنه رفض..

وبعد ثلاثة أشهر أعاد (الشيخ عبد الله) وعشرون من رفاقه إلى السجن وفي هذه المرة  
وجهت إليهم تهمة التآمر مع باكستان لضم الولاية إليها بالقوة والرشوة.. ولكن بعد خمس  
سنوات أخرى.. انفجرت الأمور في كشمير.. بنفسها.. بنع الاستبداد والاستغلال حداً هدد  
بالثورة في الولاية.. وحيثما يصل شعب كشمير الوديع إلى حافة اثورة.. على شمال الهند  
كله سوف يتزعزع.

وقرر حزب المؤتمر إزاحة (بحشى غلام محمد) من حكم كشمير قبل أن تشتعل الولاية  
كلها. وتولت وزارة جديدة برئاسة علام صادق لإصلاح ما أسدنته إحدى عشرة سنة من  
حكم (الحجاج الثقفي) كما يسمون بخشى في الولاية .

ولم يكن ممكناً أن يحدث شيء قبل إطلاق سراح الشيخ عبد الله ورفاقه. وبالفعل تم  
هذا الإفراج.

وفي هذه المرة قوبل الشيخ عبد الله في الولاية تلك المقابلات التي قالت كل صحف الهند  
حتى أشدها عداً، أنها أعادت ذكرى أيام الكفاح.. ومظاهرات الأيام الأولى للاستقلال)  
وفي ظل كل هذه الظروف قابلت الشيخ عبد الله المقاسمة الثانية.

وفي هذه المرة قال

(أنا لا أطلب شيئاً.. سوى الحق الطبيعي السيط المعترف في العالم كله لشعب كشمير  
وهو حق تقرير المصير.

وأنت تعرف التاريخ.. حينما بدأت عارات القبائل وهزمت قوات المهرابا، وأحص أنه لا  
يستطيع بعد الآن حماية الولاية طلب المساعدة العسكرية من الهند، ووافقت حكومة الهند  
على منحه هذه المساعدة بشرط أن يوقع على وثيقة الانضمام للهند وذلك لأن كشمير بعد  
الاستقلال والتقسيم، أصبحت مستقلة فعلاً ، وهم لا يستطيعون إرسال الجيش الهندي إلى  
ولاية مستقلة . لأن هذا قد يدفع باكستان إلى إرسال جيشها وتصيح حرياً عامة بين  
الدولتين ولدى قبول هذا الانضمام كنتت حكومة الهند إلى المهرابا تعلن أن هذا

الانضمام مشروط بتصديق شعب كشمير عليه حيما يعود الأمر والنظام وذلك من خلال استفتاء عام.

ومن خلال استمرار القتال، ذهبت الهند إلى هيئة الأمم، وظلت التدخل لوقف باكستان عن مساعدة العرارة وأعلنت الهند في هيئة الأمم أنها أرسلت جيوشها إلى ولاية جامو وكشمير (لا للتوسع ولكن لمساعدة شعب كشمير ليحافظ على حقه في تقرير المصير) وأن يقرر بحرية كاملة إلى أي بلد ينضم.

وبعد عدة جلسات في مجلس الأمن، اتفقت الهند وباكستان في النهاية على أن تترك لشعب كشمير حرية الانضمام إلى الهند أو باكستان، وذلك من خلال استفتاء يؤيه يعقد تحت رؤية الأمم المتحدة.

وجاء يوم قررت الهند فيه من جانبها أن الاتفاقيات القديمة مع باكستان على عقد استفتاء في كشمير قد أصبحت باطلة المفعول، وأن الهند لا تحس أنها مرتبطة بها وهي لا تعطي لباكستان ولا للأمم المتحدة ولا للشعب في كشمير الحق في الاستفتاء، وظلت الهند ذلك بأن باكستان تتأهب لتتصم للأحلاف وللغرب..

وكان هذا بداية الخلاف بيني وبين الهند.. إن الاستفتاء حق منح لشعب كشمير نفسه، وقد حارب هذا الشعب منذ سنة ١٩٤٦ من أجل هذا الحق وانضمام باكستان للأحلاف يجب ألا يؤثر بحال على هذا الحق المقص.

وحينما حدث هذا التعبير عن موقف الهند، رفضه رفضاً تاماً، كان من الصعب على أن أخلف وعدي للشعب ثم أحافظ على ثقته، كان من المستحيل أن أكون طرفاً في عملية تزيف ونقض وعود.. (ولهذا اعتقلت).

وأعلنت الهند الديمقراطية مياسة الذهب والمدفع في كشمير، ومن لم يشتره بالذهب، أرميه أو أعدمه بالمدفع.. واستولت على كشمير عصاة عشت بكل شيء، وأضاعت بحر خيط من الثقة كان لشعب كشمير بحكومة الهند أو بمبادئ الهند.

لقد كان ما يريظنا بالهند هو الإيمان بالعلمانية والديموقراطية، وبالاشتراكية ولكننا اكتشفنا أن كل هذه واجهة أو مجرد شعارات للاستهلاك الخارجي..

وكيف يمكن أن ننضم أو نتحالف مع بلد لا نتق بمبادئها ولا في وعودها تصور أنني اعتقلت في ظل أكبر ديموقراطية في العالم.. وحملت أرسل الرجاء تلو الرجاء وألح على أن يسمحوا لي بمواجهة المجلس التأسيسي في كشمير بلكي أرد على الاتهامات وأحصل على الثقة أو أفقدها.. فرفضوا وظللنا أحد عشر عاماً في السجن بعيد



ثمة واضحة أو محددة، وحينما حوكمنا رفض كل المعامين الدفاع عنا لأن أي محام في كشمير أو في الهند لم يجرؤ على الدفاع حتى اضطررت إلى أن أستمع من محامياً بريطانياً . هل تسمى هذه حكومة ديموقراطية. وأنا أعرف نهرو جيداً، ولا أظن أنه كان موافقاً على كل هذا، ولكن ماذا تقول عن حكومة لم يكن نهرو يستطيع أن يمنعها من أن تدوس كل المبادئ والأسس وعلى كل حال فنحن قد نسبنا مشكلتنا الشخصية، ولكننا نصر اليوم أكثر من أي يوم آخر على حق شعب كشمير في تقرير مصيره. له هو أن يهتار ولا يمكن أن يتنازل عن حقه في الاختيار لقد أردنا أن نمهد لهذا، بخلق حوامل بين الهند وباكستان.. أم سياسة الهند تقوم على عداوة باكستان وسياسة باكستان تقوم على عداوة الهند، وقد أردنا أن نبني هذا الجو، وبخلق أولاً حوامل من التفاهم يمكن في تله أن تحل مشكلة كشمير بل وكل المشاكل الأخرى.. وقد نما الآن شعور في الهند، بعد سبعة عشر عاماً من الاستقلال أن الدولتين لا يمكن أن تعيشا إلى الأبد في صراع وحقد لا ينتهى وحدث نفس الشيء في باكستان وهذا هو أهم ما يعتمد عليه، في مثل هذا الجو يمكن أن تتحقق إرادة شعب كشمير وهي تقرير مصيره بنفسه باستفتاء أو بأي طريق آخر يوضح هذه الإرادة)

وسألت الشيخ عبد الله (ولكن لو تقرر الاستفتاء فكيف ستختار أنت). وضحك قائلاً (هذا ما سأحفظ به سرّاً) ولكن أحد معاوني الكبار قال لنا أن ما تتطلع إليه كشمير ليس الانضمام إلى الهند ولا الانضمام إلى باكستان ولكن (تحييد كشمير بالاتفاق بين الهند وباكستان وبضمانة هيئة الأمم وتحت قوات مشتركة من الدول الآسيوية الإفريقية المحايدة.. إن العالمية العظمى، ترفض الانضمام للهند، وقد فقدت ثققتها نهائياً في الهند وهي ترفض باكستان.. لأن مصير شعب كشمير الذي بقي في باكستان لم يكن أحسن حالاً ممن بقوا في الهند)، وفي هذا تكمن كل المشكلة..

لقد ترك خط إيقاف إطلاق النار ثلاث أخماس كشمير في الهند والخمسين الآخرين في باكستان.. ولو كانت باكستان قد حققت في الخمسين الذين بقوا فيها (حكومة إسلامية عصرية تقدمية تضمن لمسلمي الهند حماية وتطوير عقيدتهم وثقافتهم، كما كان هدف باكستان . لو كان هذا قد حدث، لكانت مشكلة كشمير قد حلت، ولكن الثلاثة الأخماس الباقون قد فرضوا إرادتهم وأكثروا رعبهم في الانضمام إلى باكستان. ولو كانت الهند قد حققت في (ثلاثة أخماس) كشمير الواحة الديموقراطية العلمانية

الاشتراكية تطبيقاً لمبادئ حزب المؤتمر الوطني الكشميري وحزب المؤتمر الهندي عامة .  
ولو لم تقم الهند هي كشمير حكماً استبدادياً فاسداً قائماً على (الدمع والذهب) طول أحد  
عشر عاماً ، ورغم أنف شعب كشمير كله لكان (الخمسة) الذين بقيا في باكستان، قد  
فرضوا إرادتهم وأكثروا رغبتهم، وانصموا إلى الهند .  
ولكن الهند نفسها لم تكن لتستطيع هذا ، لأن الهند نفسها تجربة فاشلة، وفاقد الشيء لا  
يعطيه.. وباكستان تجربة أشد فشلاً لم تحقق لنفسها شيئاً تحققه لكشمير ومن هنا ندأ  
القصة.



## فشل پاکستان

---



قسعت الهند لأن أغلبية المسلمين هناك بقيادة محمد على حبة آمنوا بأنهم ليسوا مجرد أقلية، ولكنهم أمة ، وشعب كامل يملك كل مقومات الشعب، وله كل الحق في تقرير مصيره، له الحق في أن يحصل على وطن، وأن ينشئ فيه دولة جديدة إسلامية، دولة عصرية ثورية يستطيع أن ينمي فيها حياته وحضارته وتكون استمراراً لتاريخ وتراث ألف عام من الإسلام في الهند وآلف وأربعمئة عام من الإسلام في العالم

تكون هذه الدولة الجديدة طليعة ثورة في حياة الشعوب الإسلامية، والحضارة الإسلامية كاملة كما تخيلها فيلسوف الإسلام الكبير، والاب الروحي لفكرة باكستان محمد اقبال، وكما تخيلها الفلاسفة والثوار المسلمون.. من أبي ذر العفاري حتى جمال الدين الأفغاني..

ولم يكن محمد على حبة مؤمناً بأن الهند وطن للجميع ، وأن الدين لله ، أي أن الهند وطن للجميع، وأن الدين لله ، أي أن الهند وطن لأبناء متعددة، ولأقليات متعددة، ولثقافات متعددة ، ولغات متعددة ولكن كلهم مواطنون هود، ويجب أن يكونوا مواطنين هنوداً وأن يعلموا كيف يعيشون معاً وكيف يؤمنون جميعاً بوطنهم وهذا النوع يجعل الهند ،اد السامح، بلد التنوع والخصب، بلد التفاعل والامتزاج الناضج المتحر .

وكان جنة يؤمن أن قاعدة التناقص والتكامل بين كل عناصر الأمة الهندية المختلفة ، هو التفاهم بين الأغلبية أي الهندوس، وبين الأقلية الرئيسية أي المسلمين ، وإذا ما تحقق هذا فإن الأقليات الأخرى ستجد مثلاً ، ونموذجاً تتحتله.

ولهذا صب محمد على جنة كل جهود حياته في تحقيق هذا الحلم، كأساس لوحدة الهند، ولتقدمها وتحررها.

وكانت شاعرة الهند الكبيرة ، ساروجيني ناندو، عندليب الثورة الهندية كما يسمونها تتغنى (بمحمد على جنة) وقد أطلقت عليه لقب سفير الوحدة بين الهندوس المسلمين.

وقد كان محمد على جنة محامياً ذا عقلية قانونية دستورية عصرية، وكان سياسياً، على الطراز الإنجليزى يؤمن بالكفاح الدستورى القانونى فى إطار قيم ومبادئ وتنظيمات معينة ، وكان محمد على جنة عضواً بارزاً فى حزب المؤتمر الهندى، وكان أيضاً عضواً بارزاً فى الحزب الآخر وهو العصبة الإسلامية.

وكان يرى أن الهند سوف تحصل على حقوقها عن طريق الكفاح السياسى الدستورى، عن طريق مجادلة ومقاومة وإقناع البريطانيين . ولكن فى إطار الحريين القائمين، وتنسيق العمل بينهما ويفصل محمد على جنة استطاع الحزبان أن يعقدا اجتماعاً مشتركاً سنة ١٩١٦.

وسار التاريخ الهندى عبر طريق آخر.

وهى سنة ١٩١٩ ظهر على مسرح السياسة الهندية (غاندى) ظاهرة جديدة مريدة ، أعلنت بدء مرحلة أخرى غيرت كل شيء فى حياة الهند.

كان غاندى يرى أن تحقيق حرية الهند، لن يتم عن طريق (المرافعات) البليغة والحجج المقنعة على مواثد المفاوضات أو داخل الغرف المغلقة ولكن عن طريق إثارة جماهير الهند الفسحة بلا عدد.. أى إيقاظها من نومها العميق، وتهديد بأسسها وضوابطها، ورد تغلبها بنفسها، وتقديرها على امتناعها حقوقها..

ولكى يحقق غاندى هذا، ارتدى ثياب فلاح همدى فقير، واستدع أسلوباً ولغة روحية تنفذ إلى روح الفلاح وتلمس أعماقه، وتحول يأسه إلى صمود، وضعفه وتخاذله إلى مقاومة..

كان غاندى هندوكياً متديناً، ولكنه استتبط لغة روحية مشتركة، تلمس قلوب ونفوس، المسلمين والمسيحيين، والهندوسيين. والمارسيين (عباد النار) وكل دانات الهند..

وأعلن غاندى أن الهندوس يستطيعون أن يقهروا الاستعمار، إذا ما قهروا أنفسهم وسيطروا عليها وإذا ما قاوموا البريطانيين بلا عنف ، مقاومة إيجابية ، ولكن سلمية، وذلك

بعدم التعاون معهم ، ويعصيان قوانينهم، ورفض بصاعتهم، والصمود أمام قوتهم وقسوتهم..

وكان هذا شيئاً غريباً ، ثم يفهمه جنة، ولم يقله ، قال إن هذا رجوع إلى الوراء.. إنه العودة إلى الغيبيات والصلوات.. إنه حركة بحث وإحياء ديمى هندوكى ، سترجع بالهند، إلى عصر الفراهات والأساطير، وسممع قيام الهند لعصرية الدستورية، العلمانية التى تسع جميع الديانات والمعتقدات، ولكن تعتمد أساساً على العلم والعقل.. وتسائر روح العصر..

وهكذا لم يفهم محمد على جنة، الطاهرة الحديدة والقيادة الجديدة، التى تدعى عابدى واعرض عليها.. وربما كان هذا أخطر حدث فى تاريخ الهند الحديثة.

ولم يسلك ضحقاء المسلمين فى الهند نفس مسلك (جنة) بل لقد انضموا جميعاً وراء غاندى، وإلى حزب المؤتمر، وكان من أقوى أعوانه.. وإذا كانت هذه صدمة لكبرياء حنة بوكان يتمتع يقدر كبير منه ، فقد أثر أن يترك الهند كلها، وأن يذهب ليعيش ويعمل فى بريطانيا.. لقد سارت الهند كلها، هندوكيين ومسلمين، وبارسين وراء غاندى.. ولم يعد له ولآرائه مكان.. لم يعد يستطيع أن يكون فى الصدارة ، ولهذا سافر ليعلم احنحجه بطريقة مهذبة.. جنتلمانية).

ولكن لم يعض قليل على الكفاح، وعلى تحقق هذه الوحدة الروحية والقومية، التى قصى الاستعمار مائتى عام فى تحطيمها.. حتى بدأت تتداعى وتترزع أركانها..

لقد ذهل البريطانيون ، لأن رأوا الهند كلها، جماهير وقادة تتبع هذا (العقير العارى) وذهلوا أكثر لأن تتبعه الأقلية الرئيسية التى ظفوا منذ أواخر القرن التاسع عشر يعتقدون أنها عماد حكمهم ويقاؤهم فى الهند..

وذهل البريطانيون لأن هذه الأقلية كانت أشد ثورية وحماساً من كل أهل الهند وأنها قدمت رعباً، انبشقوا كأعظم أبطال هذا الكفاح وأشددهم حرارة وقوة، الأسماء التى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الثورة الهندية. محمد على وشوكت على . والدكتور الأنصارى وحكيم أجمل حالى.. وأبو الكلام أراد.. واصف على ورفيع كداوى.. وغيرهم.

وأثرك البريطانيون أن بقاىهم فى الهند يعتمد فى هذه المرة، كما اعتمد بعد ثورة سنة ١٨٥٧ على تقويص الوحدة القومية بين المسلمين والهندوك ويدأوا العمل بهمة..

ولم ينجحوا تماماً، ولكنهم لم يفشلوا أيضاً.. وقد ساعدتهم أن أخذت تنمو فى داخل حزب المؤتمر اتجاهات بحث هندوكى حقيقى،



يعلن أن (الهند الهنوكيين) وحولوا اليقظة والتجهد الروحي إلى تعصب ديني ، كان رد فعله على العور بشاة اتجاه مماثل له بين المسلمين داخل حزب المؤتمر وخارجه.. وساعد البريطانيين أيضاً أن العاصر السورجوارية داخل حزب المؤتمر . وكان أغلبها من الهنوكيين وهم أكثر ثروة وثقافة من المسلمين، بدأوا يعصحبون عن نوابهم في جعل الحركة الوطنية كلها أداة لتحقيق طموحهم.. والتعامل مع البريطانيين حول (سوق الهند) و(سلطة الحكم) في الهندا.

وبدأ صراع طويل داخل حزب المؤتمر حول حقوق المسلمين ومطالب المسلمين.. انتهى بخروج عدد من رعاء المسلمين، وبحمود حرارة عدد منهم أو خيبة امالهم. ولكن مع هذا استطاع غاندي وبهرو.. أن يحفظا الغالبية العظمى من قادة جماهير المسلمين داخل حزب المؤتمر..

كان غاندي وبهرو يدركان أنه بغير كسب المسلمين أن يمكن تحقيق حرية الهند . وكانا يتظران بإعجاب لما حققته الثورة المصرية سنة ١٩١٩ من وحدة المسلمين والأقباط في مصر ويبريدان تحقيقه في الهند.

وكان غاندي وبهرو يحاربان في جهات كثيرة داخل حزب المؤتمر وخارجه لتحقيق هذا الهدف الكبير

ولهذا ظلت الوحدة قائمة ولكن قلقا، تهب عليها الريح عاتية عاصفة من ثلاث جهات الاستعماريين البريطانيين ، والمتعصبين الهنوكيين والمسلمين، وتختفي وراءهم مصالح الرأسماليين والإقطاعيين الهنوكيين والمسلمين.. وتطورت الأحداث خارج الهند ودخلها.

أعلن غاندي جولة ثانية من المقاومة السلمية والعصيان المدني في ثلاثينيات هذا القرن انتهت بمؤتمر مائدة مستديرة ومفاوضات طويلة معقدة لم تنته إلى شيء..

واقترن هذا بظهور العاشية وقيام هتلر في أوروبا.. والعسكرية اليابانية في آسيا، وبداية تحالف الاثنين لتقسيم العالم من جديد خصوصاً آسيا وإفريقيا.

وأعلنت بريطانيا دستور سنة ١٩٣٥ للحكم الذاتي في الهند البريطانية.. وهو دستور يسمح التفازلات المحدودة التي بممحتها عادة الاستعمار البريطاني حينما يترك أن لا يخرج

وفي عام ١٩٣٧ أجريت الانتخابات وفق الدستور، لإقرار هذا الحكم الذاتي.. واكتسح حزب المؤتمر هذه الانتخابات في كل الولايات.

طاف جواهر لال نهرو الهند، شديراً شديراً، وأشعل جماهير الهند، كما لا يستطيع أن يشعلها سواه. وكانت الانتخابات. نصراً ساحقاً كاسحاً لحزب المؤتمر..

وتوات حكومات من حزب المؤتمر الحكم في ولايات الهند البريطانية ووفق هذا الدستور لأول مرة في تاريخ الهند منذ الاستعمار. كانت أول تجربة في حكم الهنود لأنفسهم وأعلن نهرو مرهواً أن في الهند قوتين (حزب المؤتمر والاستعمار البريطاني) وأن التاريخ طبعاً مع القوة الأولى. أرتفع صوت يقول (لا . هناك قوة ثالثة هي المسلمون) كان هذا صوت محمد علي جنة.. لقد عاد من منفاه الاختياري سنة ١٩٣٥ ، قيل صدر هذا الدستور المحدود .. وعاد بناء على طلب عدد من المسلمين لكي يترشدوا به في المرحلة الجديدة من تطور الحركة الوطنية في الهند..

وربما كانت عودته ، لأنه استشعر أن الهند سوف تنتهي إلى ما كان يريده وهو الحصول على حقوقها الدستورية بالطريق السلمي التدريجي . وأنه في إطار هذا الحكم الجديد سوف يكون له دور يلعبه ، بمواهبه السياسية والقانونية..

وكانت دعوته من خلال أيام عودته الأولى هي للوفاق القائم بين المسلمين والهندوس. ولكنه لم يجد مكاناً له في حزب المؤتمر، ولهذا عمل مع العصبة الإسلامية..

وحيثما اكتسح حزب المؤتمر الانتخابات وأعلن نهرو كلمته المشهورة كان لابد وأن يعترض (جنة وإن كان اعتراضه قد بقي مجرد اعتراض (أكاديمي)..

ومن خلال حكومات حزب المؤتمر في الولايات وقع التمييز الحاسم الذي بدأت منه المساواة..

أحسست جماهير المسلمين في الهند أن حكم حزب المؤتمر.. ليس حكماً نزيهاً غير متحيّز، ولكنه حكم مسخر لصالح الأغلبية وعلى حساب الأقلية، وأخطر من هذا أحس أكثر المثقفين المسلمين والتقدميين منهم على الأخص ، أن حكم حزب المؤتمر هو حكم بورجوازي.. هندوكي مسخر لحساب الرأسمالية الهندوكية ، التي لا تهجم عن استغلال الدين..

وأحسوا أن ميادئ غاندي ونهرو.. هذه هي الواجهة التقدمية، أما السلطة الحقيقية والسياسات العملية فيملكها ويوجهها الرأسماليون الهندوكيون.

إن الهند المستقلة لن تكون دولة ديمقراطية علمانية اشتراكية كما يريد نهرو، ولكن سوف تكون دولة رأسمالية هندوكية، كما يريد بانل وبيرلا..

وبدأ تحول حاسم آخر..

وبدأت هجرة كبرى من حزب المؤتمر إلى حزب العصبة الإسلامية  
ولابد من كلمة عن الحريين.

اشتهر حزب المؤتمر الهندي سنة ١٨٨٥ وأمسأه بريطاني يدعى (هيو) وذلك لكي  
يمتص السخط الذي بدأ يظهر في صفوف الطبقة الوسطى والعيان الهندية.. والذي بدأ  
يقلق الإنجليز.

وكان انتشار الحرب ، وانضمام أفراد هذه الطبقات إليه، يمكن الإنجليز من معرفة  
التيارات المختلفة في المجتمع لفكر الهدوكي، فيستطيعون توجيهها أو تشتيتها..  
ولكن ما لفت هذا الحزب أن بدأ يصطدم بتيارات زادت من قلق الإنجليز. هو وإن لم  
يخرج عن دائرة الولاء المطلق للإمبراطورية، ولرغبة في الوصول إلى الحكم الذاتي بالتدرج  
وتحت رعاية ووصاية بريطانيا، إلا أن تيارات أخرى (متطرفة) بدأت تظهر وتحتل مكاناً  
فيه.

ورأى البريطانيون أن يلجأوا مرة أخرى إلى تطبيق جديد لسياستهم التقليدية وهي  
التفرقة بين الهندوس والمسلمين..

وفي سنة ١٩٠٦ أُنشئوا بزعامة أحد رجالهم الأقطاب وهو (أغاخان) حزب العصبة  
الإسلامية ليمثل حقوق ومطالب المسلمين.. وضم هذا الحزب الاقطاعيين والموظفين الكبار  
المسلمين وكان ينافس حزب المؤتمر في تأكيد ولائه للإمبراطورية وتطلعه في مدى بعيد إلى  
الحكم الذاتي..

وكما تطرف حزب المؤتمر، دب النشاط في حزب لعصبة الإسلامية، والعكس صحيح..  
وبدأ بعض (العقلاء) والوطنيين في الحزبين يتركون أن البريطانيين يلعبون بالحزبين، وأن  
لا بد للقوى المستبيرة في الحزبين من تنسيق سياستها وقوتها، وكان من أقطاب هذا الرأي  
(محمد علي جنا) وبفصل جهوده عقد الحزبان اجتماعاً سنوياً مشتركاً في (لنكاو) سنة  
١٩١٦.

ويظهر غاندي، وتحول حزب المؤتمر إلى حزب جماهيري للثورة الوطنية الهندية،  
انضمت كل العناصر الوطنية والمستبيرة من كل الأقليات إلى الحزب..

وظل حزب العصبة الإسلامية مجرد تنظيم أجوف حاو، الاقطاعيين والامراء المسلمين  
والموظفين والصغار المتقاعدین - ويمثل أقوى القوى الرجعية المتعاونة في الهند..

وبدأ التغيير يدب في الحزب حينما عاد محمد علي جنا إلى الهند سنة ١٩٢٥، ولم يكن  
صعباً ولا غريباً أن يصل إلى قيادته بعد قليل من رجوعه .

ولكن التغيير التاريخي حدث بعد هجرة المثقفين والطنقة الوسطى المسلمة إلى حرية بعد حكومات حرب المؤتمر الأقلية سنة ١٩٣٧

ولقد كان شاقصاً أن يهاجر هؤلاء الثوريون الوطنيون، التقدميون إلى حرب الإقطاع والبروقراطية والتعاون مع الاستعمار، ولكنهم رأوا أنهم يستطيعون الاستيلاء على هذا الحزب، وطرد أو تصفية هذه العناصر، وتحويله إلى حزب ثوري شعبي يكون قائده محمد علي جيه، وهو رجل جمع بين الإسلام والوطنية وروح العصر ويكون فيلسوفه قبال، وهو الذي وفق بين الإسلام والتقدم إلى أبعاد حدود لتقدمية، وتكونت قاعدته الجماهير الإسلامية، المعطشة إلى استرداد حقوقها وحرمانها، ومحنها وتراثها. ليكونوا هم قياداته وضمائنه مثله ومبادئه .

وهم بذلك يستطيعون تحقيق حلم (باكستان) دولة تصمم المقاطعات التي تحوى العالمية لعظمى من الهند، ومن بينها مقاطعات من أهم وأغنى وأحمل ولايات الهند مثل البنجاب والبنغال وكشمير، وسوف ينشئون فيها دولة جديدة ثورية تقدمية اشتراكية إسلامية، تفوق ما سوف يحققه اليورجوازيون الرأسماليون اليهود، وتتمسك مثلاً هي لديمقراطية والتسامح والثورة الاجتماعية ، وترتبط بكل الشعوب الإسلامية الثائرة ويكل الحرية في العالم .

ومنذ ذلك التحول.. أصبحت (باكستان) حقيقة وأصبح تحقيقها مجرد خطوات وتحققت بالفعل في ١٥ من أغسطس سنة ١٩٤٧.

ولكن منذ تحقيقها بدأ الصراع التاريخي في داخلها. صراع عنيف بين رجال العصاة الإسلامية القدامى.. وهؤلاء كانوا يريدون باكستان لكي يحافظوا على ثرواتهم الشاسعة وعلى سلطة الحكم التي تمتعوا بها طويلاً وعلى ولائهم ، لدى قارب العقيدة للبريطانيين وبين القادة (الجدد) تسيماً الذين كانوا يريدون تحقيق دولة إسلامية ثورية جديدة ويعد أشهر من قيام باكستان مات (محمد علي جناح)، (القائد الأعظم) كب يسمونه والرجل الذي قامت على أكتافه باكستان.. وكان موته ضربة قاصمة لاتحاد الثاني في باكستان فقد كان يحميه ويؤيده ، وبعد موته بدأت لمزمرات لتصفية هؤلاء (المشاعيين) ولهمم باكستان إلى السياسة العربية والانهيار للكتلة العربية، وكانت الحرب الباردة في ذلك الحين على أشدها ، وهذه الكتلة تحت عن فواعد، لصعد لحركات الوطنية والثورية قبل صد الشيوعية!.

وأدركت القوى الثورية و لتقدمه أن لابد لها من عمل حاسم

وتجمع الضباط بقيادة الحدرال (أكبر خان) وكان الجيش الباكستاني الجديد منقسم إلى الصباط التقدميين بقيادة (أكبر خان) وصباط الجيش البريطاني بقيادة (أيوب خان) وجمع معهم المثقفون (الثوريون) الباكستانيون بقيادة (هاير أحمد هابز) شاعر باكستان الكبير، وقرروا القيام بانقلاب عسكري يحمي (الثورة الباكستانية) من الوقوع في يد الإقطاعيين والعرب . واكتشفت هذه المؤامرة .. خانها أحد المشتركين فيها وقصى عليها قضاء قاسياً وشنت جميع من اشتركوا فيها ..

ولولا تدخل (ليافت على خان) رئيس الوزراء في ذلك الحين، لقصى عليهم جميعاً بالإعدام.. وكان (ليافت على خان) يقف في منتصف الطريق بين الاتجاهين ويريد أن يوفق ويوازن حفظاً لبقاء باكستان..

وبعد أشهر قليلة في سنة ١٩٥١.. قتل (ليافت على خان) في جريمة غامضة لم يظهر منبرها حتى الآن.. ولا زالت مئات من علامات الاستفهام تحيط بها.

وبموت (ليافت على خان) سقطت باكستان مهاتياً في يد الغرب وعملاته العريقين.. الذين خدموا الإمبراطورية البريطانية بتعانٍ عظيم طوال ما يقرب من قرنين من الزمان. فقط.. حاولوا شيئاً من ولانهم إلى إمبراطورية أعنى هي الإمبراطورية الأمريكية .. وتحول حزب العصبة الإسلامية مرة أخرى إلى عصاة تريد نهب وسلب كل ما تستطيع نهبه وسلبه ويبيع كل ما تستطيع بيعه من باكستان..

وأصبحت باكستان قاعدة لحلف بغداد ولحلف جنوب شرقي آسيا . وأصبح الإسلام أداة لتدوير أي شيء وكل سياسة خائنة ساقطة.. وانهدرت باكستان من هاوية إلى هاوية أعماق حتى وصلت إلى الحضيض سنة ١٩٥٨ . وأدرك السادة الذين يتصرفون في أقدار باكستان أن لابد من تغيير (الطاقم) الحاكم.. إن السياسيين قد استهلكوا أنفسهم في الفساد والاستغلال.. وقرروا استدعاء العسكريين للحكم.. وقامت بذلك حكومة أيوب خان .

فشلت باكستان.. وهي منذ البداية ولدت ولادة صعبة. كان (محمد علي جنا) وكان قادة المسلمين يطمون متى تضم باكستان ولاية البنجاب كاملة وولاية السعال كاملة. ولم يخالفهم شك في أنها ستضم كشمير ( جوهرة الهند) كلها ..

ولكن قسمت البنجاب وأصبح نصفها في الهند ونصفها في باكستان، وقسمت السعال تقسيماً أقسى، ولم تذهب كشمير إلى باكستان. بل بقيت في الهند.

أصبحت باكستان دولة يفصل بين جناحيها ألف ميل من أرض الهند ولهذا سماها محمد علي جنة نفسه (باكستان مبتورة، متأكلة) ليست طبعاً حلم ولا حلم أقبال ولا حلم الثوار المسلمين.

ولم تستطيع باكستان أن تسع كل مسلمي الهند فقد بقي عدد كبير منهم في الهند، وفي حزب المؤتمر بقي عدد من الذين ظلوا على إيمانهم بوحدة الهند وبيماري، عاندى ومهرو، ويأن الهند ستخرج كنولة علمانية ديمقراطية.. تسع جميع أبنائها..

وبقي في الهند أربعون مليون مسلم في أرحاء مدعوفة من الهند، ولم تستطع أن تضم باكستان ولم يكن ممكناً أن تضمهم..

بل وبقي في باكستان عشرة ملايين هنوكى لم يستطيعوا أن يغادروا مواطنهم التي عاشوا فيها هم وأجدادهم آلاف السنين.

وحينما تم تقسيم الهند لم يتم بهدوء أو باتفاق وبى بين زعماء العريين الرئيسين ولكنه تم في جو مكهرب مشحون، بالصراع والعداء، ما لث أن سال بحر من الدماء، لا مثيل له لرهبة وشاعته، ونبح وقتل وشوه ملايين من الرجال والنساء والأطفال..

وبعد التقسيم بيضعة أشهر نشبت الحرب بين الدولتين.. هي ولاية (كشمير) وكانت تنحول إلى حرب شاملة من الدولتين اللتين كانتا من قبل دولة واحدة.. لولا أن تدخلت هيئة الأمم وتقرر إيقاف إطلاق النار.

ومن يومها تعيش الدولتان في حالة حرب..

الهند تنفق نصف ميزانيتها على التسلح.. ضد باكستان.. والباكستان تنفق ثلثي ميزانيتها على التسلح ضد الهند.. وشعبا البلدين يتصوران جوعاً.. ولا زال بعد سبعة عشر عاماً من الاستقلال.. يعايبان أحط مستوى معيشة في العالم.. باختلاف لا يبرك لصالح الهند.

### فشل الهند

بعد استقلال الهند وتقسيمها، أعلن الزعماء الهنود بقيادة عاندى ونهرو، أنهم لم يوافقوا على تقسيم الهند إلا اضطراراً، لأن الهند لم تكن لتحصل على حريتها إلا بإرضاء العنصرية الإسلامية ولكنهم لم يوافقوا ولم يعترفوا مطلقاً بنظرية (الأثنين).

وأعلن زعماء الهند أن باكستان، أصبحت دولة ولها الحق أن تتصرف كما تشاء ، ولكنهم هم، زعماء الثورة الهندية، سينتصرون دولتهم وفق المبادئ التي قامت عليها ثورتهم..

منذ البداية ، والتي لا يمكن أن يتحلوا عنها

وتستطيع باكستان أن تمنى دولة ديمية، ولكن الهند سوف تمنى دولة علمانية، أى دولة (محايدة) ديبياً، تكفل الحرية لكل الأديان والعقائد، بالتساوى وبلا تحيز، وبما لا يضر بحرية الآخرين أو بالنظام العام.

وتستطيع باكستان أن تسمى دولة اقطاعية أو رأسمالية ولكن الهند سوف تمنى دولة اشتراكية لا يقف فيها ،للاستقلال عند حد طرد المستعمر ولكن يمتد إلى بناء مجتمع جديد، يفتقى فيه الاستغلال والفروق الطبقة الفاحشة

وتستطيع باكستان أن تتبع سياسة منحازة أو عربية، ولكن الهند ستتبع سياسة جديدة هي الحياد الإيحاسى.. سياسة تحفظ حريتها ذاتيتها وتجمع حولها كل الدول الحديثة، لتحفظ السلام، وتقرض إرادتها على الوحدة الدولية التى تخرج إليها للمرة الأولى ولم تضرب الجماهير الهندية وحدها لهذا حل طرحت له كل شعوب اسيا وأفريقيا إن تجربة جديدة عظيمة سوف تبدأ، وسوف تكون لدرسة والمادة للشعوب جميعاً وبدأ التطبيق..

ويشأن بين ما أعلن وما تحقق.

لم تكن إقامة دولة علمانية في الهند، ليتمكن أن تتحقق بمجرد النوايا الطيبة أو بنصوص الدستور. وإما كانت إقامة هذه الدولة تتطلب ثورة اجتماعية جذرية تقضى على الأسس لاقصادية والاحتماعية للطغمة و لمعصب الطائفي، كما تتطلب ثورة روحية وثقافية جذرية ، تحدد وتصلح وتوفق بين الأديان العديدة، والمذاهب العديدة، ولتعتدات العديدة التى تزهر بها الهند.

و لطائفة والتعصب الطائفي، ظاهرة استثمرت في الهند، بمعنى الاستعمار ، وقد كانت وحدة الهند وتاريخ الهند قبل الاستعمار ، يتميز عامة بالتسامح وقد أراد الإمبراطور (أكبر) ذات يوم أن يخلق ديناً واحداً جديداً، يجمع خلاصة أديان الهند ويعتقه شعبها كله، وكان الهندوسيون يخدمون في بلاط المسلمين، والمسلمون يخدمون في بلاط الهندوكيين، بلا تعصب ولا مذابح.

وحينما استولى البريطانيون على الهند، وصمدت سياسة فرق تسد، بدأ حفر أخاديد عميقة من التعصب بين كل الأديان، بل بين المذاهب لمختلفة من الدين الواحد . ولكن معاد هذه الحرب لطائفة كن الهندوس الدين يكونون لأطمية، والمسلمون الذين يكونون الأقلية الرئيسية ولدين متزوج منهم الإنجليز حكم الهند بعد ما يريد عن ألف عام

وقد كان عملاء الإنجليز، من المهرجات الهندوكيين أو الأمرء المسلمين، يدعمونهم بدورهم هذه السياسة، وكان أكثر المهرجات يدعون أنهم من سلالة الآلهة، وأنهم يحفظون مجد وراث الهندوكية، وكان كثير من الأمرء المسلمين يدعون أنهم (أشراف) من سلالة النبي محمد وأنهم يحفظون مجد وراث الإسلام.

وكان البريطانيون يصنعون 'حملاً' مسلفً على ولاية أعليتها هندوكية، أو أميراً هندوكياً على ولاية أعليها مسلمة كما حدث في ولايتين من أهم ولايات الهند هما حيدر أباد وكشمير، لضمان تنفيذ هذه السياسة

وإذا ما ثارت الجماهير في ولاية من الولايات أعلن المهرج أن الهندوكية في خطر أو أن الإسلام في خطر فتتحول المعركة إلى مذابح.. ويظهر الضحايا يصمدون جراحهم رمزاً طويلاً. ويسبون كل ما عداها

وقد استعار الرأسماليون هذه الأسلوب أيضاً، واستخدموه في سعيهم للسيطرة على سوق الهند وعلى مواردها.. وإذا ما سرى قلق أو سخط بين العمال أو تقدمو بمطالب افتعل الرأسماليون معركة أو مذبحة بين العمال المسلمين والهندوس يظل بعدها (السلام) الصناعي سائداً مدة طويلة ويظل لعمال كل متحفز للثأر من الآخر.

ولهذا كانت إقامة الدولة العلمانية، تقتضي 'ولاً' تصفية (أوكار) التعصب، وهي الإقطاع والرأسمالية فقد أثبت تاريخ الهند كله أن ليس هناك ما يوجب لصراع مطلقاً بين المصلحين والعمال والتجار الصغار وكل لصبقات المصطهدة هي الهند. و'نّها' عاشت وتستطيع أن تعيش في ونام ما لم تسخر لخدمة مصالح استقلالية أو استبدادية وقد قسمت الهند بعدما سعى (مجررة التاريخ العظمى) ولهذا لم يكن (العلمانية) لتتحقق بعد هذا الواقع المر إلا بحد صدق كبير. لا يصمد فقط لجراح العميقة، ولكن يريد أثرها، وما حفرت في جسد الأمة قلبها.

كان هذا يقتضي ثورة روحية وثقافية، يقتضي تعبير نظم التعلم تعبيراً حوالياً، ويقتضي بحث التراث الاصلاحى، في كل الأدب، والهندوكية بين حفل تربيته بالمصلحين الذين أرادوا تجريده من الخرافات ليلانم روح العصر، وإسلام في الهند حفل بعدد كبير من المفكرين والمصلحين كان من أهمهم وأعظمهم (أسو الكلام ارد) وكان لابد من تجديد الفكر الدينى و لتناقى للهند كلها، وخلق تعايش وتناسق، عقلى وروحى بعمق التعايش والتناسق الاجتماعى والسياسى.

ولم تكن هذه بالمهمة السهلة ولا بالسيطة فقد كانت تقتضى أمقا وسعاً وحداً، وعمولا



كبيرة خلافة. ولكنها لم تنقص الهند، ولم يكن هناك طريق أخر أمام الهند. ولكن العلمانية في الهند بقيت قشرة على السطح مجرد نصوص ، ثم بضعة مناصب ووظائف تمنح للأقليات لتثبت تحرر الهند و علمانيتها. ولكن داخل الهند وقلبيها، ظل يرخر (بالمصديد) ويتعجر بين حين وآخر، مما كان يجعل نهرو يصيح قبل موته بأسابيع ( أن ما يحدث يعطيني أشعر بالعار والفزى).

وأعلنت الهند أنها سوف تقيم دولة ديمقراطية برلمانية.. كحدث ما تكون الديمقراطية البرلمانية.

وأقامتها بالفعل..

وقد كان نجاح الديمقراطية ، وكانت ثقة الهند بقنرتها على إقامة الديمقراطية، قائمة على الثقة بحزب المؤتمر

وكان هذا هو حزب الأغلبية وأقدم أحزاب الهند ويشتم كل الطبقات الوطنية فيها، وكان نجاح الديمقراطية يعتمد على قدرته على أن يطور نفسه مع حزب يستطيع أن يبني الهند الجديدة وأن يحقق لشعب الهند كل أمانيه من الاستقلال.

وكان نجاح الديمقراطية في الهند يقوم على قدرة حزب المؤتمر على أن يكون العمود الفقري المتجدد المتطور لهذه الديمقراطية ، ولحياة الهند الجديدة كلها.

وكان حزب المؤتمر جبهة عريضة ملاكا ورأسماليين ومثقفين وعمالاً وفلاحين، وبعد الاستقلال كان لابد من أن ينتهي هذا الطيف وأن يحتار حزب المؤتمر أن يكون إما حزب الملك والرأسماليين وإما حزب العمال والفلاحين.. أو على الأقل أن تكون القيادة لهؤلاء أم الآخرين.

وما حدث هو أن نجح الملك والرأسماليون واستولوا على الحزب ، وانشق عنه الاشتراكيون ، وأراد نهرو أن يوفق وأن يحفظ للحزب وحدته.. ولكن هذا التوفيق كان سر قصور وضعف سياسات نهرو وفي ظل حزب المؤتمر، وهو أخطبوط طويل (عاجز) يمتد من أقصى الهند إلى أقصاها، ربما كان من الصعب أن ينمو حزب للمعارضة يستطيع أن يكون البديل أو أن يقدم البديل، خصوصاً وأن هذا الحزب كان في السلطة، وأنه قد بقي فيه جناح يسارى ، وأن رعيمة كان نهرو.. وأن الجماهير ظلت يغاليتها فيه لم تستطع أن

---

(\*) إشارة إلى حصاره الحرب الشيوعي الصيني للإنتخابات هي ولاية (براك) التي كانت معقلاً أساساً

الحزب، وذلك بعد الحرب الصينية الهندية .

تدرك متناقضات حزب الحركة الوطنية وحزب عادي ونهرو.

ولهذا أصبحت الديمقراطية الهندية قائمة على حرب أطله راكد عاجز. لا تظهر موهبة ولا تبرز إلا في كسب الانتخابات، وأحزاب أخرى صغيرة تشتت وتشتت وتناهت في البيداء...

الاشتراكيون الذين انشقوا عن حزب المؤتمر ليكونوا جبهة تقدمية ثورية، تغشوا إلى أحزاب صغيرة، وانحرفوا إلى تأييد الكتلة الاستعمارية ومصارعة العرب والشيوعيين الذين تحطوا كثيراً. استطاعوا أن يصلحوا من شأنهم، وأن يبدو كأنهم الحزب الثاني، ولكنهم تبعثروا، وانشقوا على بعضهم مرة أخرى حتى قال البعض منهم إن حزبهم قد انتهى.

ولهذا ضاع الركن الأول والرئيسي لقيام الديمقراطية وهو قيام أحزاب قوية ذات مبادئ وبرامج ومنظمات، تقدم حلولاً للمشاكل الرئيسية والجوهرية وتستطيع خوض المعارك السياسية والدستورية على نطاق الأمة كلها.

على أن نجاح الديمقراطية في الهند، لم يكن يعتمد على قيام نظام حزبي سليم فقد، بل كان لابد له أولاً من تصفية العقبات أمام إقامة مثل هذا النظام. تصفية الطوق الحديدى الاستعماري الذي حكمت به بريطانيا الهند.

وقد قسمت بريطانيا الهند إلى قسمين، الهند البريطانية وهي التي تحكمها حكماً مباشراً.

ولايات الهند التي تحكمها حكماً غير مباشر عن طريق الأمراء والمهراجات وعددهم ٥٦٢ ولدى كل منهم مقيم بريطاني له حق (الفيتو).

وقد حكمت بريطانيا الهند البريطانية، عن طريق البيروقراطية (الإنجلو هندية) وعن طريق البوليس. وكان لابد لإقامة الديمقراطية الهندية، من تصفية الحكم البيروقراطي البوليسي القديم، تصفية جذرية لكي تزدهر شجرة الديمقراطية ولكن لم يحدث هذا، ويبقى هذه البيروقراطية، وبقي البوليس بروحهما وإجراماتهما، ولهذا ظلت روح الشعب وقواه مختلفة.

وقد كانت أساليب الحكم في الولايات أقسى وأفظع، معظمها كانت نظماً من القرون الوسطى أو ما قبلها وكانت تصفيتها بل اجتثاثها تماماً شروناً رئيسياً للقيم أي ديمقراطية، ولكن الأمراء والمهراجات، وإن كانت قد صغيت إلى حد ما سلطتهم

(٥) بلغ عددهم الآن مع الرابطة السكانية في الهند حوالي مائة مليون مسلم

السياسية. إلا أن عدداً منهم ظلوا حكاماً (مستوريين) وترك لهم القسط الأكبر من ثرواتهم وقصورهم، بل وعين عدد منهم في مناصب السفراء ووكلاء اللورارات. مما جعل نفوذهم المعنوي والمادي بارزاً ولا يزال خاصة في الريف وجعل نمو الديمقراطية أو فتح لصهاير الديمقراطية عسيراً

وكان نجاح الديمقراطية في الهند، يتطلب ولا بد قيام رأى عام مستدير في الهند وكان هذا يقتضى ثورة ثقافية كاملة في الهند، فقد كانت نسبة الأمية في الهند هي أعلى نسبة في لعالم وكانت الصحافة والإذاعة وكل أجهزة الرأى والإعلام ممسخرة لخدمة المصلح البريصادية، وكان مصم التعليم الهندى يهدف أساساً إلى إخراج موظفين مهود يخدمون الإدارة البريصادية لا مواطنين صالحين يخدمون وطنهم.

وكان خلق رأى عام مستدير يتطلب لهذا القضاء على الأمية، ويتطلب نقل الصحافة والإذاعة لخدمة الشعب الهندى، ويتطلب تغييراً جذرياً في نظم التعليم الهندى..

ولكن منذ سنة الأمة شعر طغيف أعلى نسبة وانتقلت ملكة الصحافة مناصفة بين لرأسماليين الهود، و لرأسماليين الأجانب وتخطط نظام التعليم الهندى، تحسباً أدنى إلى أزمة عامة في كل أجهزة التعليم خاصة الجامعات.

على أن الصمار، الرئيسى للديموقراطية في الهند، كانت الثورة الاجتماعية فلا يمكن إقامة ديموقراطية برلمانية سليمة لشعب جائع عار.

وقد كما بهرو نفسه بقول ( إن الديمقراطية لاند وأن تؤدى إلى رفح مستوى معيشة الشعب، وإذ لم تؤد إلى هذا فلا بد من لبحث عن نظام آخر) بل وهذا، البحث قد تقوم به الجماهير نفسها، إذا ما أحست أنها لا تحقق شيئاً في ظل الديمقراطية.

وهى هذا الصدد أيضاً. أى في تحقيق الاشتراكية لم تحقق الهندوسى أشجع النتائج

وقد كانت الهند تقيم تحريتها الاشتراكية في قلب آسيا وعن شرقها الصين تقيم تجربة عظمى، وإلى شمالها الاتحاد السوفستى، حيث أقام محارب جذرية في آسيا السوفيقية.

وكان على الهند أن تقيم تحرية تصارع هذه التحارب وتقدم مويحاً خارج الكتلة الشرقية لإقامة الاشتراكية الديمقراطية، يكون مثلاً، لنزول الحدودة المحايدة.

وكان بناء الاشتراكية في الهند لاند وأن يقوم أساساً على إرساء أسسها في الريف حيث لعالية، لعظمى للشعب الهندى وحيث طواف عابدى ونهرو به قرية قرية، وبذلوا لوعود لعريضة لعلاحين، بان الاستقلال يعنى بالنسبة لهم الأرض والرخاب..

وكان الاستعمار البريطاني قد عتمد في تثبيت دعائمه وحكمه على الإقطاعيين ، وخلق نظاماً معقدة لشعة للأرض والاستغلال الفلاحين، ولهذا كان تحقيق إصلاح زراعي ثوري، في الهند، باحتلاف نظم الملكية والاستغلال من ولاية لأخرى، يتطلب جهداً حارقاً ويطلب دقيقتاً.. ويطلب صغرات قاصمة متتالية ، تكسر ظهر الإقطاعيين الذين تقسوا في لبطش بالفلاح وانتصه من يمانه.

ولم يحدث هذا، وبخرحت قوانين الإصلاح الزراعي باهتة هزيلة، وإذا كان تطبيق هذه القوانين موكولاً للحكومات الإقليمية ، فقد عث الملاك والإقطاعيون عثاً كاملاً بهذا التطبيق ، حتى أصبح ضعيف لآثر في حياة الهند كلها.

وقد كان بناء لاشتراكية في الهند يتطلب أول ما يتطلب تأميم الرأسمال الاجنبي، أو تأميم فواعده الرئيسية، وحصر الباقي في اصبيق نطاق ، وقد كانت الهند هي المنل التاريخي لاستغلال واستنزاف الرأسمال الاجنبي، وكان اول ما يمكن أن يعن به استقلالها. هو سحب الأرض من يد هذا الرأسمال.

ولكن الرأسماليين الهنود الذين كدتوا يريدون الاعتماد على الرأسمال الأمريكي والبريطاني، والذين كابوا يريدون أن يجمعوا من الهند قلعة الرأسمالية في آسيا.. كتفوا بمشاركة لرأسمال الاجنبي مشاركة (عادلة) وفتحوا أبواب الهند ليدخل الرأسمال من كل جهة. بل ولا تمضي مدة إلا وتذهب وفودهم تطرق كل باب (أجنبي) وتستجديه أن يذهب ليستغل الهند

وكان ساء لاشتراكية في الهند لابد وأن يعنى تأميم الرأسمال الهندي المستغل الكبير، ووضع خطة تنمية صارمة ، تحمي كل موارد الهند، وتتولى التصنيع على أسس اشتراكية. وكان نهرو يدرك أن هذه هي لمعركة الرئيسية، وقد خاضها بكل سالة ولكن ما استطاع أن يفرضه هو قطاع عام.

رما كان أهم وأعظم ما حققه ، ولكن ظلت الرأسمالية الهندية على قدر عظيم من القوة . بل وتكاد تكون القوة الحاسمة في الهند. بقي الحياذ.

وكان قدم مجموعة محايدة حاسمة من الدول الجديدة بمقادة الهند . كان يتطلب أن تكون الهند دائماً في طليعة الثورة الآسيوية الافريقية

ولكن الرأسماليين الهنود، كانوا يريدون أسواق هذه البلاد ولا يريدون استفزاز العرب الذي تشن صده الحرب . هذه البلاد.. وكان الرأسماليون لهنود، يريدون أن يخفوا عن

الرأي العام الهندي، الثورات والتغيرات الاجتماعية التي تحدث في تلك البلاد.. ولهذا أصبح حياء الهند أوعدم انحيازها هي أكثر الأحبان (ناهتا) لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ،وأصبح فهمها وتأييدها للثورات والانتفاضات الآسيوية والأفريقية ناقصاً عاجزاً.

وكما قال ما لاقيا أحد أقطاب اليسار في حزب المؤتمر (أن الذين استلهموا مبادئنا.. واعتقوها قد سبقونا وتركونا .. نحن معلمهم) !!

وهكذا استقلت الهند.

وقسمت الهند..

وأصبحت دولتين الهند وباكستان.

واختلفتا في كل شيء، إلا في شيء واحد هو «الفضل»..

وانعكس هذا ، كما لا ينعكس في شكل آخر، في وادي جميل ساحر اسمه «كشمير».

شكر.. حزب الأطفال

---



شكر كاتب ورسام ومناضل ومؤسسة كاملة (شرارة من روح الهند) بعد ستقلال الهند، قررت أن أكون في المعارضة وأحببت غاندي ونهرو بالقرار وبركاه . كنت أحس ما سوف يكون عليه الحال بعد الاستقلال . حين يتحول المجاهدون والزهاد إلى حكام ويتكلمون على مسرات الحكم سوف تبدأ قصة مسلية ويكون المنظر مضحكاً وميكياً ولاند من أحد يسجله.

(وقررت أن أصدر مجلة كاريكاتيرية ساخرة لا تخاف أو تخشى أحداً وتكون مهمتها نقد الهند المستقلة وبلا حدود وسميتها باسمي).

وشجعتني نهرو كثيراً . في الواقع كان أكبر المشجعين، كانت أميتي أن يقول لمعارضة وعلى أي حال كان رعيم المعارضة وكان يمدنا سرراً بالمعلومات وبالقصاص والعرائن وكما تنشر ويسخر ويشير الزواجع، ولا يستطيع أحد أن يعرف مصانره وكان يوم صغير- شتكر- عاصفاً دائماً، وكنت أمصل أن أختفي فيه.. وأعود لأجد نهرو يصحك سعيداً.. وبعد مضي الوقت وجدت أن النقد والكاريكاتير مهما لى يصلح الهند.. وإن يخلصها.. كان الفساد يتفقم. أحببنا إلى حد اليأس وهناك نكتة مشهورة.. ما الفرق بين السياسي الهندي واللس.. الأول يحل السجن أولاً..



وكان الحلال أولف حزناً سياسياً ولكن كان سيتحول في النهاية إلى (حزب مؤتمر) آخر خاصة إذا استوليا على السلطة، وقال لي نهرو برشك للانتخابات وتناكف من هناك وواق الشيوعيون والاشتراكيون على أن يتركوا لي دائرة.. ولكن رفضت، لم يكن هذا هو الحل على أي حال.

وبات يوم اكتشفت أن سكان الهند، خمسمائة مليون، وبيدهم مائتان مليون طفل.. أي أن الأغلبية الساحقة هم الأطفال. وإذن هذا هو الحرب الذي لابد أن نؤلفه. وكانت محطة (شنكر) تأخذ من وقتي يومي في الأسبوع، في البداية كنت أرسمها وأكتبها من العلاف للعلاف، ثم وجدت معاونين متحمسين ولم تعد تأخذ من وقتي أكثر من يومي، ولما قررت أن أعضى الخمسة الأيام الباقية.. مع الحزب الذي اكتشفته " وفي البداية كان ضرورياً أن أبحث عن لغة للتفاهم معهم كان غاسي يقول دائماً اللغة أهم ما نذهب به للناس، ووجدت اللغة الوحيدة الممكنة هي الفن.. وهي لغة الإنسان الأول.. وقبل أن يكتب الإنسان رسم وتحت..

وأعنا عن عدد خاص من شنكر (لرسوم الأطفال) وطلبنا إلى أطفال الهند أن يوافقونا برسوم، وحينما جاءت اللوحات دهشت للنتيجة.. وأيضاً لما يختزن في نفوس الأطفال.. بدا كأنهم يحلمون بنفس الهند التي نحلم بها.. وقررت بعدها أن يكون مهرجاناً سنوياً للأطفال، وأن نقيم مسابقة في الفن في دلهي لكل أطفال الهند وأن تنشر الرسوم الفائزة في العدد الخاص وأن يقام لها معرض كبير وأن تمنح أيضاً جوائز ثمينة..

وتدافع الأطفال بعشرات الألوف، أصبحت المسابقة حدثاً في حياتهم جميعاً.. ولم نعرف كيف يمكن أن نجد مكاناً تقام فيه المسابقة.. ونصنأ خيمة كبيرة في ساحة واسعة ووضعنا نهرو تحت رعايته. وقرر أن يسلم الجوائز وأن يقضي يوماً مع الأطفال.. (وقال لي واحد من هؤلاء سوف يحقق ما تريده).

واكتشفت من المسابقة، ومن صداقتي للأطفال مدي الحرمان الذي يعيشون فيه والفقرية والعزلة التي يعانون منها.. مع أبنائهم وأمهاتهم.

ورأيت أنه لابد أن نخلق ثقافة هدية للطفل، لابد أن نصدر له محطة خاصة، وأن نعد له مكتبة كاملة وأن نعم له عالم يسعد به، ليتمكن أن يبني السعادة بعدئذ.. في عالم يفتقدها

وسأت أجمع بعض أساطير الهند وقصصها لكي أعيد كتابتها لهم.. وبدأت من كيراالا

مسقط رأسي، كانت جدتي تروي لي القصص، أذكر روت لي ما يقرب من أربعمئة قصة عن أربعمئة قبيل مختلفين، الغير ذو مكانة خاصة هي تراث الهند خاصة هي كيرالا وبدأت أجمع هذه القصص واحترت ستة أفيال طيبة وكتبت ما حري لها ورأيت أن أستعين أيضاً ببعض الكتب الأخرى لكتابة الأساطير، الأخرى، لابد أن يكون لدينا كتاب أطفال يعيشون معهم ويكتبون لهم فقط ولكن لم أحد سوى قلة نادرة. البعض يكتبون للطفل من أعلى، أو يضحكون للأطفال بلا ملل، وكانت متعة أكتب بنفسى أكثر الأعمال ونجحت قصص القيلة الستة وواصلت الكتابة للأطفال بلا ملل. وكانت متعة كبرى. وقررت أن أكتب قصة حياتي لهم.. كيرالا، وجدتي وأهاليها، وإيهر ولسيدين، والهب، والحرية.. وكيرالا بلد الحب والحرية، امرأة تحب من تريد والرجل يثور ويرفض ما يقيد..

وهكرت لماذا لا تكتب قصة الهند الحديثة وقصة أبطالها. أيضاً ما دام هؤلاء أمم الهند هلا يد أن يعرفوا دورهم وتطوع أحد كتاب الكبار بكتابة قصة عاندي ونجحت المحاولة، وتطوع كاتب كبير آخر بكتابة قصة حياة نهرو للأطفال ونجحت نفس النجاح، واجتذب العمل كاتباً كبيراً ثالثاً فكتب قصة ذاكر حسين، رئيس جمهورية الهند السابق، وأرغم مثل ثقافتنا، نجحت الكتب الثلاثة نجاحاً كبيراً.. بدأت معه المكتبة القومية للانفصال تتسع ويشارك فيها عدد كبير من الفنانين والكتاب..

ومن خلال البحث عن القصص والأساطير جمعت بعض العرائس، وفي بعض الولايات مثل كيرالا والبيغال وتريبورا قرى تخصصت كلها في صنع العرائس من شعبي قطري على أرفع مستوى.. نروة هنية عالية..

وجمعت بعض العرائس، و درست أثر العروسة على حياة الطفل، وكل السعادة والألم والصداقة التي تمنحها له.. وقررت أن أجمع عرائس الهند كلها، لتقديم متحفاً لعرائس الهند، وحينما يرى الطفل كل عرائس بلاده، سوف يحب كل الهند سوف يعرف أهلها ويحبهم الحب الذي لا يبرح نفسه عن طريق عرائسها، وإذا ما انتظمت لديه منذ لطولة، صور البنجاب والبنغال، وكشمير هي عرائسها، فستلظ زاهية عميقة ولن يكره أحداً من أهلها أبداً.. وما أشد ما نحتاج هذا..

ورأيت بعدئذ أن أطفال الهند، لكي يؤدوا رسالتهم التي تصورها لابد أن يفتحوا على العالم على كل العالم بلا تمييز ولا تفرقة.. لابد أن يهيو الإنسانية لكي يهيو الهند.. ودعونا إلى اشتراك أطفال العالم في المسابقة وفي الكتابة للمجلة وأن تجمع أيضاً عرائس العالم. ليعرف أطفال الهند، الإنسانية ويحبونها عن طريق عرائسها.

أن نقيم دولية أطفال دمويتها «با أطفال العالم اتحدوا، ليس لديكم ما تخسرونه سوى غباء أبائكم.. وأمامكم عالم بأكمله لتكسيوه».

ووجدنا إقبالاً من العالم كما وجدنا من أطفال الهند، خاصة من آسيا والبلاد العربية وأفريقيا.. واشترك أطفال ١٠٥ دول في المسابقة وفي الكتابة المجلة.

وقررت أن لا بد من إقامة متحف للعرائس التي تجمعت. لا بد من إقامة مكان يجمع العرائس والمجلة واللوحات .. ويكون بالنسبة للأطفال.. سفارتهم الثقافية ومظلتهم الروحية وأن نبني معبداً ليعبد الطفل وتطمئن فيه روح الطفل ولم يكن لدينا مال واقترضت من أحد أصحاب البنوك مبلغاً وبتينا هذا البناء.. وأصبح أحد معالم دلهي ومعالم الهند.. طبعاً ربحنا القرض حتى نهر سليم، ليس لأحد فضل علينا.. وأصبح البناء مقصداً للجميع بالهنود والأجانب وكل زائر كبير يأتي للهند، كان نهر يصبه إلى هنا.. وبالبطبع نحصل على هدية من العرائس، خروشوف أهدانا القسم الروسى وأنتديه مالرو أهدانا القسم الفرنسى.. والقسم المصرى حصلت عليه بنفسى ذهبت إلى القاهرة.. وحصلت على عدد من العرائس وذات يوم قال لى السفير المصرى هنا.. عدى لك أخيار طيبة.. هناك سبع عشرة عروسة مصرية فى السفارة ستصاك ومنذ ثلاث سنوات لازلت أنتظر .. والعالم عنينا ممثل بأعمل ما فيه وكما ترى لا ينقطع سيل الزوار من الكبار والصغار..

وكلما ضقت بالعمل أو بالكرسى الذى أجلس وأعمل عليه منذ خمسين عاماً.. أخرج إلى المتحف ويكفى أن أرى الانعكاس على وجوه الأطفال أنكر دائماً كلمة نهر.. (واحد من هؤلاء سوف يحقق ما نعتش من أحلامنا) وأعود للعمل راضياً..

نهر

---

المعركة ضد الداخل

---



الذى لا شك فيه أن الهند تسير نحو الاشتراكية ولا تسير نحو شيء آخر، ونجاح نهرو الكبير هو في أنه عزل رأس المال عن السيطرة ودعم القوى التقدمية إلى القيادة، ووضع وأرسى عمق الأسس المادية والفكرية لتقدم الهند. وحدد اتجاه البوصلة، بحث لن تسير الهند إلا في هذا الاتجاه وسواء تحققت الاشتراكية في حياة نهرو الذى يتمنى في سن السبعين بحيوية خارقة أو لم تتحقق في حياته. فإن الهند ستنتج القيادة التى ستحققها ومهما كانت قوة الحرب الشيوعي في الهند مثلاً ومهما كانت استفادته من التحارب ومهما كان نسوج قياداته الآن إلا أن الحزب الشيوعي في الهند لا زال، وسيمثل بعداً جداً عن الحكم، ومهما كانت الرأسمالية الهندية ومهما كانت حنكتها وبراعتها وسمائتها في المعركة، إلا أن الهند لن تكون أبداً دولة رأسمالية ولا قاعدة للرأسمالية في آسيا وإفريقيا..

ولقد كان الامتحان الكبير لنهرو - وللتنهوية كلها - من خلال أزمة الاعتداءات الصينية، ولقد اعتقد معامرو اليسار في الحرب الشيوعي الصيني أن أي أزمة بين الصين والهند، ستعجز السخبط الذى أساوا همهم وتوهمه في الهند، وسيقف الشعب الهندى مع الصين، «أمل شعوب آسيا وأفريقيا، وسيتدعم مركز الحرب الشيوعي الهندى بعصل بقدام رفاهه الصينيين، ولكن كل ما قنروه كان عماء وحققا منقطع النظر، ووقف الشعب الهندى كله

إحدى وقفاته التاريخية للشهيدة ، وانقسم الحزب الشيوعي بقيافته على أنفسهم «ولمّا عشرة أيام حتى أصدر قراره بتأييد نهرو» ومن خلال هذه الأيام العشرة خسر المعركة في كيرالا» وذلك كما قال لي أحد أقطاب كساب اليسار في الهند «ملك راج انانده» وإن نكون كيرالا هي الفسارة الوحيدة للحزب»<sup>(١٠)</sup>

ومن خلال أزمة الصين أيضاً هبت الرجعية الهندية كلها صائحة مولولة على سيادة الهند واستقلال الهند، وأصبح كل عملاء الاستعمار في الهند أكثر وطنية من نهرو، وأكثر حرصاً، على «أمن الهند» وكرامتها من نهرو، وأحفوا ينددون ويسخرون ويشمتون بسياسة الحياد وما جرت به سياسة الحياد ويطالبون بالدفاع المشترك مع باكستان أي الانضمام غير المباشر لسياسة الأحلاف والاستراتيجية الغربية.

وبيرت الرجعية الهندية مؤامرة الضباط الكبار ضد «كريشنا منون» وهو الرجل الذي وضعه نهرو لكي يقضي على سيطرة ضباط الجيش الإمبراطوري الهندي السابق ولكن يمكن الجيل الجديد الوطني من الضباط من مراكز القيادة فيه، وهو أيضاً الرجل الذي وضعه نهرو لكي يجمع الهند من السياسة العربية الاستعمارية الجديدة منذ ١٩٥٨ وهي سياسة الاعتماد على العسكريين البعثيين وتعبير انتقالات عسكرية بميمية في آسيا وإفريقيا

### الفارس .. والحسناء

وجاء أيزنهاور مسرعاً ملهوفاً إلى الهند لكي يمثل دور الفارس والحسناء في مئرق ، ولكن بدأت بالزيارة وانتهت واعتذرت الحسناء عن كل عروض الغزل والإعراء ووقفت على قدميها، ومضت في طريقها هي، وقد فويل عبد الباصر مقابلة تاريخية أعظم مما فويلها أيزنهاور فكان هذا تأكيداً لشخصية الهند كما هو احتفاء برعيم من زعماء الحياد، والذي يساهم المنشائون بمستقبل الهند هو أن الثورة الاجتماعية في الهند ليست فقط معركة ضد سيطرة رأس المال والإقطاع والاحتكار ولكنها أيضاً معركة لا تقل تعقيداً ضد طبيعة وكيان المجتمع الهندي نفسه.

### مائة مليون مسلم

والبيانة الثمانية الرئيسية هي الإسلام، وكان عدد المسلمين في الهند مائة مليون، وقد حكموا الهند ما يقرب من ألف عام، وكان تاريخياً حافلاً بالمجد والمآسي وانتزع البريطانيون الهند منهم، وقد ولد الاستعماريون حكمهم، بالتفرقة بين المسلمين والهندوس، وللأسف فشلت الحركة الوطنية الهندية في انمصاصهم وصقلهم في كيانها وفي كيان الأمة

الهندية، وانتهى استقلال الهند بتقسيمها إلى دولتين مضاعيتين يوقظ عداهما دائما كل التعصب الديني، بل ويقي في الهند أربعون مليون مسلم، مهما كانت جهود الحكومة الوطنية في تطمينهم إلا أنهم كتلة قلقة مشتتة غير مستقرة لا تماعد على الاستقرار.

والديانة الثالثة في الهند هي ديانة «السيخ» وهي مزيج من الهندوكية والإسلام والبوذية، يعتنقها ما يقرب من ستة ملايين

وقد استطاعت الحركة الوطنية، وبحسب حزب المؤتمر في أن يكون عموداً فقرياً صلماً يحفظ وحدة الهند «الوحدة من خلال التنوع» كما يسميها، حتى الاستقلال، ولكن فشل الحركة الوطنية الهندية في لحم الأقلية الكبرى وهي المسلمين في جسم الأمة الهندية وتقسيم الهند إلى هندوسنان وباكستان، وما صاحبه من مجازر وأتجار من الدماء، وما صحبه من حرب في كشمير أبكى مرة أخرى كل هذه القوى المحررة السوداء، وكون قرحة مزمنة في النفس الهندية، كال على الثورة الاجتماعية أن تجتثها وتقضي عليها.

ولكن كيف كسب نهرو والمركة ضد الرجعية الهندية وضد عناصر المجتمع الهندي الهدامة؟ لقد كان الانتصار بطيئاً ومريراً، ولعبت عوامل كثيرة مساعدة دورها الكبير في صالح نهرو، ولكن العامل الحاسم كان نهرو نفسه، قيادته وفهمه للشعب، وأمانى الشعب، وبفسية الشعب ونتجاوب الشعب القطري الغريزي مع قائده، وإبه إذا كان هناك نماذج لنور القرد في التاريخ فسيكون نهرو أحد النماذج الكبرى مثل لينين مثلاً في الثورة الروسية أو جمال عبد الناصر بالنسبة للثورة العربية .

وقد كان أول عامل رئيسي هو مقتل عاندي، وقد قتله المتعصبون الهندوكيون بحجة أنه متحيز للمسلمين وأنه يقف عقبة دور «هندوكية الهند» وكانت جريمة بشعة مروعة هزت ضمير الهند وذهبت بحياة القديس السبل الذي امتزج بروح ونفس كل هندي، وبعثت الرعب والفجل والمخري في نفس كل هندي ولم يكن أحد ليتصور أن في الهند مثل هذه اليد الشريرة وما دامت قد وجدت ملا حدود لما يمكن من خراب وتدمير وحاف الشعب على مصير الهند كلها وعلى وحدتها وتقدميتها وبرر نهرو كسقل الشعب الأول والأخير، وسقط المتعصبون الهندوكيون إلى الأبد من حياة الشعب الهندي، وانكشفت الشعارات الدينية الزائفة التي كان يختفي خلفها الرأسماليون والنجالون، وارتدت الرصاصات إليهم جميعاً وضاعت هيئتهم إلى الأبد.

ثم مات سردار باتل «في الوقت المناسب» وبموته انهارت قلعة الرجعية والرأسمالية الكبيرة داخل حزب المؤتمر وتداغت سيطرتهم على تنظيمات الحزب وأجهزته، وتخلص



العرب من «كاموس» باتل، واستطاع نهرى أن يطرد ويخرج تلاميذ وأذئاب السكرتير الرهيب، وأن يدفع الجناح المستتير المتقدم ليوجه ويرسم سياسة الحزب.

ثم عجز الاشتراكيون الهنود، وزعيمهم «حاي براكاش نارين» الذى كان يوما ما المرشح الأول ليكون خليفة نهرى محزوا عن تقديم بردمج 'و سياسة أو قيادة تستهوى خيال الشعب بعد الاستقلال، ثم ما لبثوا أن انقسموا على أنفسهم وهازيوا بعضهم بعضاً من أجل الزمامة والرئاسة، وأبدوا العرب ضد سياسة الحياد، وأبدوا مثلاً إسرائيل ضد سياسة نهرى فى التحالف مع العرب، وما لبثوا أن أصبحوا أضحوكة الهند وسفريتها

ثم فشل الشيوعيون فى حربهم الأهلية و طبقية بعد مؤامرة دامية لإقامة جمهورية شيوعية فى تلجانا فى حيدر آباد ولم يستطيعوا أيضاً أن يقدموا قيادة تسحب الأرض من تحت نهرى كما أرادوا ولم يستطيعوا أن يقدموا تنظيماً أو برنامجاً، يحول الشعب عن حزب المؤتمر، بل لقد أبقت مغامرة تلجانا كن ذكريات الشعب الهندى المريرة ضد الشيوعيين من خلال المعركة الوطنية.

ثم قامت القوى الشعبية وقصت على كل أحلام التوسع الأمريكى فى آسيا وقدمت للشعوب الآسيوية 'الأفريقية نمودجا فى تحقيق الثورة الاجتماعية، كان تحدياً مباشراً شملاً سليماً للهند، وترك كثير من الرأسماليين الهنود أن هذا هو الخطر الرئيسى عليهم، واستغل نهرى هذا 'الإدراك لدفع سياسته وبرامجه.

### مرحلة باندونج

تم عدل الاتحاد السوفيتى والكتلة الشيوعية سياستهم إزاء الحركات الوطنية الآسيوية 'الأفريقية ومجموعة الدول الآسيوية الأفريقية، وتقررت سياسة التعايش بين الكتلة الشيوعية والكتلة الحيادية على أساس مبادئ 'الباناشاسيالا' كما تقررت سياسة التعايش بين الأحرار لشيوعية والأحزاب الوطنية و الاشتراكية فى آسيا وأفريقيا وبرزت مرحلة باندونج والمساعدات السخية غير المشروطة.

ووفرت كل هذه العوامل الجو الملائم لنهرى ،ولكنه مع ذلك لم يكن يستطيع أن يشن معركة مباشرة ضد الرجعية الهندية وذلك لأنهم مهما ترعرعت مراكزهم إلا أنهم كانوا تلاميذ نارعين للرأسماليين الاجليز يعرفون كيف يلائمون انفسهم وكيف يهرسون هرساً محكماً على مصالحهم، وكيف يتدخلون عن القليل من سبيل 'الاحتفاظ بالكثير ولهذا كان لابد للمعركة أن تكون معركة 'فاهيمانية' تدريجية معركة الثقافة وتسلل واستغلال متناقضات، وقلب سياسات وشعارات الرجعية ضدها وردها إلى صدرها.

## توحيد الهند

وبدأت أولاً معركة توحيد الهند. وكان توحيد الهند بعد قسمتها بين هندوستان وماكسستن تعنى القضاء على ما يقرب من ستمائة عرش كانوا يحكمون في إماراتهم ولايتهم كظل الله في الأرض جل وكان بعضهم يعتقد أنه الله نفسه ،ولذا لا بحاسبيه أحد على النهب والسلب والقتل وهتك العرض الذي كان أمراً عادياً في معظم هذه الإقطاعيات التي لم يكن يحميها من انتقام الشعب سوى الحراب البريطانية.

وكان الرأسماليون الهنود الذين عهدوا إلى السردار مانل بمهمة تصفية هذه الإمارات لا يريدون القضاء النهائي على الإقطاع وركائز الاستعمار، ولكن يريدون عقد صفقة بين الرجعية القديمة والرجعية الجديدة، توسع وتنظم السوق الهندية الكبيرة ، وتؤكد سيطرة الرجعية الجديدة وتحفظ بالرجعية القديمة كدعامة مؤيدة لسيطرتها ولولا اكتفى سرदार باتل بأن حولهم إلى ملوك وحكام شبه دستوريين ، يعبون وراهم ومستشاريهم من أقطاب حرب المؤتمر، طمعاً لأقطاب اليمين الذين يدينون له بالولاء ومحتهم مرتبات ومعاشات طاعة ، واحتفظوا بقصورهم الخرافية وشواتهم، وذلك لأنهم كانوا في رأيه رموزاً ودعامة للهند الهندوكية وللتراث الهندوكي كسلالات من الإلهة الهندوكية،

وكان نهرو طبعاً يريد اجتثاث هذا النظام من أساسه وإزاحة هذه الوصعيات التي خففتها قرون لاهل والحرافة ،والتي لم يطل في عمرها ويفرضها فرضاً على الشعب والعصر سوى الاستعمار وحراب الاستعمار وكان نهرو يريد إعادة رسم خريطة الهند، ووفقاً للعلم ولتراث والمصالح، وك تحرير للشعب، وقوة الخلافة ، لا وفق نزوات الأمراء أو نزوات نائب الملك الإمبراطور، ووفق المصالح الإمبراطورية.

وكسب مانل الجولة الأولى وكسب نهرو الجولة الثانية، وأزال المهرجات وكانت المعركة الثانية هي معركة الديمقراطية.

وكان هؤلاء الرأسماليون يريدون الديمقراطية كمجرد صمام أمن يندد سحق الشعب، وأن يكون البرلمان الهندي كالبرلمان الإنجليزي مجرد نقابة رأسماليين تحمي مصالحهم وتبشرها وتلبسها الثوب الديمقراطي.

وكان نهرو يريد لها تحريراً للشعب بعد إرهاب الحكم البريطاني وإرهاب المهرجات والأمراء ، وكان يريد لها تنمية سياسية للشعب ، وإطلاقاً لقواه الكامنة ، وتدريباً له ونميقاً لتجور الحرية والمسئولية، وكان يريد لها أيضاً تدريباً لحزب المؤتمر ومصادره المستتيرة على الحكم ومواجهة تبعات الحكم ومسئوليات الحكم تحت رقابة الشعب، وكان يريد لها أيضاً

طريقاً لاستدراج الشيوعيين إلى الشارع وكشف سياساتهم وأساليبهم أمام الشعب وتحويلهم إلى قوة دستورية للمعارضة الإنتشائية بدلا من قوة تحريرية للتأمر والحرب ،الأهلية العنقية وكان يريد أيضا طريقا لاستدراج الرجعية وتعريضها في وصح النهار أمام الشعب وإسقاط هيبتها وشعاراتها الزائفة.

وقد كسب نهرو هذه المعركة ومهما كانت عيوب الديمقراطية الهندية إلا أن الكيان الديموقراطي والإطار الديموقراطي للهند، أصبح من عبق الحذور بحيث لا بجرؤ أحد على أن يمسه أو يشويه ، وربما كان البرلمان الهندي هو أرقى مجمع لحرية الفكر في العالم إن لم يكن في التاريخ، ومهما كانت جذور الرجعية فيه إلا أنه أصبح حصنا من حصون الشعب، وقد دفع البأس الرجعية الهندية إلى أن تدبر مؤامرة الضباط الكبار لإقامة انقلاب عسكري في الهند تطبيقا للإستراتيجية العربية الجديدة في اسيا وإفريقيا

### معركة ضد التعصب

وكانت المعركة الثالثة هي المعركة الطمائية، وكان الرأسماليون الهنود هم الذين يعملون ويدفعون لكل حركات التعصب الهندي، وهم الذي يرفعون عالياً شعار «الهند الهيدوكية» وكان بيرلا قطبهم الأكبر يتنصت ويؤيد ويسير حافيا وراء غاندي وكتب كتابا كاملا عنه، وكان «داعيا» ينافس «بيرلا» في إنشاد «الجيता» و «الواياتيشاد» الكتب المقدسة.

وكان هؤلاء الرأسماليون هم أحد الأسباب الرئيسية بأن لم يكونوا السبب الرئيسي في تقسيم الهند ، وإقامة باكستان، وما صحبه من مذابح رهيبة ولهذا كانوا يريدون طمأنينة الهند كمجرد ستار شفاف يحفون وراءه تعصبهم ورجعيتهم وينهون وراءه حقوق الأقليات المشروعة ويرصون به الرأي العام الخارجي وينافقون روح العصر ، وكان نهرو يريد طمأنينة حقيقية، تكون تأكيداً لأن الدين لله والوطن للجميع، وتأكيداً لأسس الحركة الوطنية الهندية ، ولروح الهند وعقريتها في التوحيد والامتصاص syns hesix وكان يريد إقامة دولة ليست دينية ولست ملحدة ولكن فوق الدين تكفل الحرية العقائدية لكل ما سبجه التقسيم من مأس.

وقد كسب نهرو هذه المعركة ومهما كانت رواسب الماضي الكثيرة والثقيلة في نواح ما من الهند، إلا أنها تدوب وتحتفي يوماً بعد يوم وسرعة كبيرة، والخوف على وحدة الهند وعلى طمأنينة الهند هو مجرد أماني وأحلام شريفة في مفوس أعداء الهند، وأعداء الشعب لأن عوامل الوحدة وعملية الصهر تتطلب كل يوم على عوامل التعرقة وعناصر التثقيب والتعريق..

### معركة السياسة الخارجية والحياد

وكانت المعركة الرابعة هي معركة السياسة الخارجية والحياد، وكان الرأسماليون الهنود يريدون الحياد، معتدلاً نارداً يميل إلى الغرب، بل وكان معظمهم يتصور معناه أنه البقاء في الكومنولث، وتدعيم كتلة الكومنولث لتكوين السمسار بين الشرق والغرب ولتفديد على حساب الصراع بين الشرق والغرب، وذلك وفق ما أراده أرنست بيغن وزير خارجية بريطانيا وكان مهرو يريد حصاد الهند كأساس ومحور لجبهة أسيوية أفريقية تقف كمانعة صواعق بين الكتلتين الشيوعية والرأسمالية، وكجسر تلقى وتتفاعل وربما تتصالح عليه الكتلتان، وكدعامة لاستكمال تحرير آسيا وأفريقيا ولا انتصار الثورات الوطنية وتحقيق الثورة الاجتماعية الجديدة.

وكسب مهرو هذه المعركة، وكان آخر وأكبر نجاح له هو زيارة أيزنهاور ثم خروشوف ثم عبد الناصر ثم سوكارنو، ثم شو أن لاي للهند.

بقى الإصلاح الزراعي والتصنيع، أي بقيت معركة تغيير الكيان الطبقي للهند أي إزاحة الطبقات المستطه والمستبدة وتحرير الطبقات المنتجة والعاملة والمهضومة الحق، بقيت معركة القضاء على الاقتصاد الاستعماري الإقطاعي الاحتكاري وإقامة الاقتصاد الوطني الاشتراكي العادل، وحول الإصلاح الزراعي والتصنيع دارت معركة ضارية كانت المعركة المامية.

### الثورة بدأت من الأرض

وكان لابد وأن تبدأ الثورة الاجتماعية كما تبدأ في كل بلاد آسيا وأفريقيا من الأرض، حيث يعيش ٨٠٪ أو ٩٠٪ من السكان ولأن الاقتصاد الزراعي في الهند كما هو في كل بلاد آسيا وأفريقيا هو الأساس وهو الذي يحدد شكل المجتمع كله، واتجاه التطور الاقتصادي كله، وكان على الهند أيضاً أن تقدم نموذجاً للإصلاح الزراعي يقف جنباً إلى جنب مع السودج الذي حققه الصين والذي كان أساس الغفزة الجساسة نحو التصنيع والاشتراكية في الصين والذي استنهوى حبال الجماهير في آسيا كلها وكان على الهند أن تكون أكثر حسماً فيما يتعلق بالإصلاح الزراعي لأن نظام الأرض في الهند كان أساس السيطرة الاقتصادية والسياسية للبريطانيين وقد خلق البريطانيون في الهند أعرب نظام الملكية الزراعية في هذا العصر، فقد قلبوا نظم الملكية التي كانت قائمة وعيروا نظم جياية الضرائب، وأقطعوا عمالهم إقطاعيات شاسعة ليخلفوا منهم طبقة حاكمة لحسابهم، ثم جعلوا الضرائب تدفع رأساً للحكومة بعد أن كانت تدفع لمجلس القرية الذي يوردها

الحكومة، وبذلك خلقوا طبقة من المرابين الجشعين تحكموا في الفلاح وامتصوا دمه، وكانوا هم الطبقة التي استغلت أموالها بعدئذ في الصنعة

وكان الإقطاعيون الهنود ويسمون «الرامدار» يسلّمون الأرض للمنتزعين يجمعون الضريبة ويقطعون لهم نصيبا وكان المنتزم الكبير يسلّم الأرض المنتزم الصغير وهذا المنتزم أصغر حتى كان عددهم يصل أحيانا إلى ستين منتزعا يعيشون جميعا على دم وعرق الفلاح.

وكان الإصلاح الزراعي يعنى إلغاء الإقطاعيين والمنتزعين وإعادة توزيع الأرض وبهديد الملكية، وتنظيم العلاقة بين الفلاح والمالك، وتعديل نظم جديده الضرائب، ثم إرساء أسس التعاون الزراعي وتطويره إلى الزراعة التعاونية.

وكانت الرجعية الهندية تريد الإصلاح الزراعي أن يكون مجرد قضاء على الإقطاع والالتزام الكبير مع تعويضه واستنقاذ للإقطاع المتوسط، والملاك المتوسطين والفلاحين الأعياء ليكونوا أساس الاقتصاد الزراعي الرأسمالي الذي هو أساس التطور الرأسمالي للهند، كما يريدونها ويتصورونها وكانت الرجعية تريد التعاون الزراعي أن يكون معتدلا ومحدود الأثر وأن يظل تعاونا لا يصل أبدا للزراعة التعاونية.

وقد كسب الرأسماليون الهنود الجولة الأولى في الإصلاح الزراعي، وصدرت قوانين الإصلاح الزراعي حميت ما تراه كل ولاية، وطبقت الإدارة المحلية القوانين الإصلاح الزراعي واستطاع الإقطاعيون والملاك، من خلال هذه الإدارة العاسدة أن ينحكموا في القوانين وأن يفسدوا أثارها وكان هذا سمما رئيسيا في تعثر الثورة الاقتصادية والاجتماعية كلها، ولحأ نهرو إلى بحث محاليس القرية القديمة، وإلى تعميم الوحدة المجمعية في الريف، وكان همها إبقاء الفلاح وتعصنته، وتنظيم سطحه ليكون رقيقا وقوة وأعية ضاغطة على تلعب الملاك والإدارة بقوانين الإصلاح الزراعي وفي العام الماضي وتحت ضغط هذه السياسة أقر حزب المؤتمر في دورته السنوية تحديد الملكية بـ ٤٨٠ فداناً وبدأ تطبيق الزراعة التعاونية، وكان هذا سمما مباشرا في انفجار سطح الرجعية الهندية، وإعلانها حربا على حزب المؤتمر. وتكون حزب حديد باسم حزب «السواتاتراء» أي حزب «الحربة» لمحاربة تحديد الملكية والزراعة المعاونة لأنها تتنافى مع حرية الإنسان وتراث الهندوكية وتراث عابدي» وهذا الحزب يموله «ناتاء» أحد الأقطاب الرأسماليين الثلاثة (بيرلا- ناتا- دالما) ويرأسه «راجا جويلاتشاري» أول حاكم هندي للهند، وأحد أقطاب اليمين في حزب المؤتمر، وينظمه «م ساسي» وهو اشتراكي سابق ضد الاشتراكية وأمن

بالرأسمالية والعرب ويفكر له «راسخ» وهو أستاذ اقتصاد رجعي يثبت أن الإصلاح الزراعي كارثة هؤلاء هم نماذج لحلف الرجعي القائم في الهند.

### من البقرة والمحراث الكهربائي والذرة

ولكن مهما كان الإصلاح الزراعي الهندي متعثراً ومعرقلاً لكل تطور اقتصادي واجتماعي، ومهما كان السبر بطيئاً وتقدلاً ومهما كانت ولولة وصراخ حزب «السواتنتراء» إلا أن الريف الهندي يسير في الاتجاه الذي حدده بهرو أي نحو زراعة اشتراكية تعاونية ومصنعة»

وكانت المعركة حول التصنيع أشد صراوة منها حول الإصلاح الزراعي وتصنيع الهند بالنسبة لبهرو نعى قمة حياته وكفاحه وفصلها الأخير والمجيد فإن تصنيع الهند يعني خلاصها الحقيقي، ويعني القفر بها من عصر البقرة والمحراث الذي رسفت فيه طوال حياتها إلى عصر العلم والكهرباء والذرة الذي سبقتها إليه دول العالم.

وكانت الصناعة الهندية قد قامت في أوائل هذا القرن وحاربها البريطانيون حرباً شعواء حتى قامت الحرب العالمية الأولى فسمح البريطانيون بشيء من التصنيع الخفيف لتموين معاركهم ومن خلال الحرب العالمية الثانية اتسع نطاق الصناعة الهندية لنفس الأسباب أي في نطاق الاستراتيجية الاستعمارية وكان تصنيع الهند معنى تعديل الأسس التي قامت عليها الصناعة.



**إلى أين تسير الهند**

---





**السؤال الذي يشغل آسيا هذه الأحيان هو إلى أين تسير الهند؟ وكيف تتجه؟ وقد كان هذا أحد الأسئلة الكبرى في آسيا منذ استقلال الهند، ولكنه يسأل كثيرا منذ العدوان الصيني، ويضاف إليه. هل تغير الهند اتجاهها؟ وهل تعدل من سياساتها أو من طريقها لكي تواجه التحدي الصيني؟**

الذين يطرحون هذه الأسئلة يريدون أن يتحققوا هل انتهى عصر التعايش بين الهند والصين، وهل انقلب هذا التعايش إلى تحد عدواني؟ أم أن هذه أزمة عارضة صارت يعود بها كل شيء إلى ما كان عليه؟ وهم يريدون أن يحققوا هل تستطيع الهند إذا ما أضرت الصين على عدوانها، أن تواجه هذا التحدي.. وهو تحد شامل تترتب عليه نتائج كثيرة. وخطيرة

ولم يترك نهرو مجالا للشك هي أن الهند سوف تواجه التحدي، وأنها التقطت القطار بالفعل ولكن لن يكون هذا بالحرب أو بمواجهة العدوان بالعدوان، وأن الهند، وإن كانت لن تقف مكتوفة لأيدي ولا تترك حدودها عارية مكشوفة، ولكنها لن تحارب إلا إذا اضطرت إلى الدفاع عن نفسها وقد رفض نهرو أن يواجه تحدي الصين أو أن يبحث عن الأمان والطمأنينة بالتنازل عن سياسة الهند أو، لمثل العليا للهند أو الأسس التي قام عليها

استقلال الهند وفشلت كل المحاولات السانحة في نظر الهنود- لاستدراج الهند إلى حلف عسكري من الهند وباكستان وأفغانستان لجعل من شبه القارة الهندية قاعدة كبرى للحرب الباردة ضد الفطر القادم من الشمال وأعلنت الهند أنه إذا كان لابد فلتقم قاعدة كبرى للحرب والتصامن الآسيوي الأفريقي بين بلاد شبه القارة الثلاث، تواجه التحدي على أسس ومثل وقوى نابذة منها.

وأكد «نهر» أن سلاح الهند الرئيسي في مواجهة هذا التحدي الجديد ليس تسليح الحدود وتدعيم الدفاع عنها ولكنها أولا وأخيرا تحقيق الثورة الاجتماعية في الهند.. وهذا هو سلاح الهند في مواجهة كل تحد وأى تحد من الداخل أو من الخارج من الشر أو من الغرب.

### المشروع الثالث

وتتلو هذه الثورة الاجتماعية الآن حول المشروع الثالث مشروع الخمس سنوات الثالث، وهو خطوة واسعة المدى في تحقيق هذه الثورة، ونقطة حاسمة في تحديد اتجاه الهند ورد على إنسانى إنشائى على التحدي الصينى.

والثورة الاجتماعية هي القضية الرئيسية الملحة الجاثمة على صدر الهند منذ إعلان الاستقلال وذلك لأن قصة الفقر والمجاعة في الهند قصة قديمة قدم مائتى عام من الاستعمار والاستغلال فقر وجوع الهند لا يصدق ولا يتصور حتى يرى ، وأكثر الناس وصيا به وحجلا منه هم الهنود أنفسهم ، ولهذا كان هدف الحركة الوطنية دائما الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية معا.

وتوقع الشعب بعد الاستقلال في الهند أن تتحقق الثورة الاجتماعية فوراً وأن يعم الرخاء كل الطبقات التي استنزفت بها طوال عهد الاستعمار ونحن لا نستعمر الهند، نحن نستنزف دم الهند وإيتما بفعل هذا بحكمة كما قال الماركيز «سالمسرى» ولكن بعد ثلاثة عشر عاماً من الاستقلال ، تضطرم الهند بالسخط لأن الاستقلال لم يحقق ما توقعه شعب الهند، ولأن الحركة الوطنية لم تحقق الثورة الاجتماعية، وهؤلاء الساخطون لا ينكرون أن الهند قد تقدمت منذ استقلت بأن مشروعي خمس سنوات للتخطيط قد دفعا الاقتصاد الهندى إلى الأمام، ولكنهم يرون أنه بالنسبة للهند لا يكفى مجرد التقدم، ولا التخطيط ولكن يجب أن يتحقق هذا التقدم بنسبة حدة وعمق وبشاعة المشكلة الاجتماعية، ويجب أن يحطم التخطيط الكيان العتيق الموروث وأن يزيح ويغير أجهزته العتيقة البالية، وأن يقفز بالهند من القرون الوسطى إلى منتصف القرن العشرين.

## الساخطون في الهند

والساخطون في الهند مثل الساخطين في بلاد كثيرة يصفون الأخطاء والعثرات ولا يرون كثيرا الإنتشاءات والخطى الإيجابية ومهما كان معه خطوات الهند، ومهما كان تعثر الثورة الاجتماعية في الهند إلا أنها تسير بحمل ثابتة ومطردة وقد اختارت الهند في معركتها لتحقيق الثورة الاجتماعية، طريق الديمقراطية البرلمانية، والتخطيط الاقتصادي في ظل هذه الديمقراطية وذلك لكي تحقق الهند، الحرية المدنية والطمأنينة الاقتصادية معا لكل مواطن ، أبحت لا يتحقق أحدهما على حساب الآخر.

## الزراعة والرئ

ولقد صدرت الهند بعد أربع سنوات من الاستقلال، وقد كان توطيد استقلال الهند أنقسي من انتزاعه مشروع الخمس سنوات الأول سنة ١٩٥١ وتحقق هذا المشروع ونجح نجاحا ملموسا وتلاه مشروع الخمس الثاني سنة ١٩٥٦ الذي ينتهي في أبريل القادم، ليتلوه مشروع الخمس سنوات الثالث والحاسم.

وقد أقامت الهند تخطيطا منذ المشروع الأول على أساس الاقتصاد المختلط وتوزيع التنمية الاقتصادية بين قطاع خاص وقطاع عام يتكاملان ويتناسقان لتحقيق خطة شاملة. ومن خلال المشروع انصب الاهتمام في التنمية على الزراعة ومشاريع الرئ الكبرى وكان ذلك لتدارك نتائج تقسيم الهند، وكان تقسيما مقوصا للتكامل الاقتصادي للهند، فنقل معظم الولايات الزراعية الخصبة إلى باكستان وبقيت الولايات الصناعية في الهند، ثم تلاه في المجاعة وأثار الاقتصاد لإقطاعي الاستعماري الذي انصبت وطنته على الريف، ثم لإعداد القاعدة الزراعية المتوارية المنجدة التي يقوم عليها التصنيع والتي لا مناص من إعدادها لقيام التصنيع على أسس حقيقية.

وكان نصيب القطاع العام أقل قليلا من نصيب القطاع الخاص من خلال المشروع الأول فكان القطاع العام ٥١ / وكان القطاع الخاص ٤٩ / ولم يكن أحد في الهند ضد المشروع الأول وكان يحظى بتأييد الرأسماليين الهنود ذوي النفوذ الكبير والذين كانوا يريدون ملاستها لاقتصاد متطور جديد

## الصناعة الثقيلة

وأعد مشروع الخمس سنوات الثاني وهو مخططا عن المشروع الأول، وكان طبيعيا أن

يختلف وأن يتطور عنه، وذلك أن الاهتمام تحول من الزراعة كمحور المشروع إلى الصناعة والصناعة الثقيلة بالذات ، لوضع أسس تصنيع الهند عامة وتحولات الأنسجة بين القطاع العام والخاص ولم تعد كما كانت هي المشروع الأول، بل تقدم القطاع العام، وأصبح نصيبه في استثمارات التنمية ٦١/ ونصيب القطاع الخاص ٣٩/ ومن خلال هذا المشروع كان نهرو قد زار الصين ورأى مدى القفورات التي حققتها الصين ومشاريع التخطيط لديها وكان لتعاون بين الكتلة الشيوعية والكتلة لحيدارية قد بلغ أوجه ، بعد مؤتمر بانديج ووجد نهرو أن هي استطاعته الحصول على كل ما يلزمه من المال والخمرة والآلات اللازمة للتصنيع الثقيل من الكتلة الشيوعية. وبدأ بكسر الحصار الذي كانت تفرضه الكتلة الغربية على تصنيع الهند تصعيما ثقيلًا وفي نطاق القطاع العام.

وأعلن نهرو أن هدف الهند من مشروع الخمس سنوات الثاني هو تحقيق «مجتمع قائم على النمط الاشتراكي» وكانت كلمة مبهمة تلقاها الرأسماليون الهنود بسخريةهم التقليدية من مثالية نهرو الغامضة ، وتلقاها الشيوعيون بحملة تقليدية عيفة ضد ميوعتها وتخديرها وتصليلها للشعب الهندي.

ولكن مشروع الخمس سنوات الثاني سار في طريقه سيرا ثابت الخطى.. وكان من أعظم ثمراته ثلاثة مصانع رئيسية للصلب هي قاعدة التصنيع الرئيسية في الصين وحسب أدرك الرأسماليون الهنود الكبار من خلال السنة الثالثة أن المشروع يسير سيرا جديا وليس مثالية غامضة ، وأن القطاع العام يرحف وينجح بدأوا حملة منطلعة شاملة ضد التصنيع الثقيل وجدوا للهند، وأفضلية التصنيع الخفيف رحمة شعب الهند وصدد العلاقة بين القطاع العام والخاص وأن القطاع العام يجب أن يكون في خدمة القطاع الخاص وليس العكس.

وفي خلال السنة الثالثة للمشروع افتعل الرأسماليون الهنود الكبار يساعدهم الغرب، أزمة تمويل حادة للمشروع الثاني، أرعمت الحكومة الهندية على مراعاة المشروع مراعاة كبيرة بعد أن حادت لجنة من البنك الدولي ونصحت نهرو بأن يعدل عن «اشتراكيته» ورد بهرو ردا عنيقا حاسماً ، وانحصرت الحكومة عددا من مشروعات «الخمس سنوات الثانية» وإن كانت احتفظت «بأنودة الصلة للمشروع» وستهي المشروع في إبريل من العام القادم وهو وإن لم يحقق الأهداف التي وضعت له ، إلا أنه لم يفشل وحقق الهدف الرئيسي وهو إرساء أسس التصنيع بإقامة قواعد الصناعة الثقيلة.

ومشروع الخمس سنوات ثالث هو حققة مكملة للتخطيط الاقتصادي للهند، وإساء

الاشتراكية لديمقراطية في الهند. ويقول واضعوه ان مشروع الخمس سنوات الأول قد أرسى دعائم ريف هندي متوازن وأن مشروع الخمس سنوات لثاني قد أرسى دعائم الصناعة الثقيلة وهذان هما «الحركتان الرئيسيتان» ودارت المحركات ، فإن المرحلة القادمة هي مرحلة «التحقيق» وخروج اقتصاد هندي متدفق بالحياة يسير بقوة اندفاعه الذاتي

وقد حدد مشروع الخمس سنوات وهي نسبة متساوية ويجب أن يقوم التخطيط على التوازن المتساوي بين التقدم الزراعي والصناعي، ولكن أهم وأخطر ما حسمه مشروع الخمس سنوات الثالث هو أن التصنيع سيبذل مركزا على التصنيع الثقيل وداخل النظام العام ، وأن القطاع العام هو المهيمن نهائيا على القطاع الخاص ولا بدور هذا القطاع الخاص إلا في النطاق المحدد له داخل الخطة، وورعت نسبة استثمارات التنمية بين «قطاعين إلى ٦٦ وثلثين للقطاع العام و ٣٣ وثالث للقطاع الخاص وطرح بهرو شعار «المجتمع على النمط الاشتراكي وواجه الرأسماليين قائلا «بمראה أيها السادة وبلا حاجة إلى الموارية نحن نريد وسوف نكمل تحقيق الاشتراكية اشتراكية كاملة»

وقد وكل نهرو اعداد الأسس الأولى لمشروع الخمس سنوات الثالث إلى لجنة خاصة من المثقفين والاقتصاديين المستعربين في حزب المؤتمر وابعقدت هذه اللجنة في شكل لجنة دراسية أكاديمية وخرجت مجموعة أبحاث قيمة تناولت كل الأسس والساحات و لإنشاءات الاقتصادية للهند منذ الاستقلال واستعرضت المحاح والفشل وأصدرت مجموعة أبحاث صممتها الأسس التي لاند وأن يقوم عليها المشروع الثالث ومنذ أن ظهرت أبحاث حلقة «أولى» نسبة للمكان الذي اجتمعت فيه ساد الفرع دوائر الرأسماليين الهنود وبدأت حملة ضارية ضد المشروع الثالث واجتمع اتحاد عرف التجارة الصناعة وهو منظمة الرأسماليين الهنود، وقرر الرد على حلقة «أولى» تكون النسبة بين القطاعين قيمة ٥٥-٤٥/ ويميل إلى الصناعة الحقيقية لا الثقيلة .. ودعا اتحاد عرف التجارة والصناعة إلى مؤتمر عام لكل الرأسماليين في الهند، الكمار والصغار والمتوسطين وعقد في دلهي منذ شهرين، وكان هدفه هو تعمئة الرأسماليين جميعا، واحتذاب الرأسماليين الصغار والمتوسطين الذين يؤيدون سياسة نهرو، ويوافقون على الخطة ويقبلون نصيب القطاع الخاص ويكونون أيضا الغالبة بين الرأسماليين الهنود.

### ناقوس الخطر

ووجد بعض الرأسماليين الكبار أن مشروع الخمس سنوات الثالث ناقوس خطر، داهم وأنه يؤدى بنهاية مالهم من قدرة على تسيير وتسيير حزب المؤتمر ولهذا قرروا إنشاء حزب

جعيد سموه حزب «السوانالترا» أي حزب الحرية .. وأعلن الحرب أن المشروع الثالث سوف يدمر الهند وروح الهند وراث الهدد، لأنه يسير إلى الزراعة التعاونية وإلى الصناعة المؤمنة وهذا قضاء على الديمقراطية وإهدار للحرية وخيانة لروح وراث غاندى.

وكانت كلها محاولات يائسة ضد مصير محتوم وزعم كل العويل الذى تارحرج المشروع الثالث فى مصه الأول بفلس الأسس التى تقرر فى حقة «أولى». وكان انتصارا حاسما لنهرو.. وخطة قاطعة فى طريق تحقيق الثورة الاجتماعية ولم تستطع دوائر العرب أن تساعد الرأسماليين الهنود هذه المرة، وذلك لأن قوة هؤلاء قد اتضعت على حقيقتها ولأن رعب الولايات المتحدة من أن يتفوق النموذج الشيوعى الصينى وأن يكتسح اسيا وأفريقيا، اقتنع كثيرون خاصة بين الديمقراطيين فى أمريكا أنه لا بديل للصين سوى الهند ولا بديل فى الهند لاشتراكية نهرو.. وأن لا جدوى من مساعدة قوة لا تستطيع أن تستد نفسها!

وبقى السؤال هل يستطيع مشروع الخمس سنوات الثالث أن يحقق أهدافه؟ وهل يستطيع أن يحلص الهند أو أن يعدر الهوة التى تؤدى إلى لاهام ؟ وهل يستطيع أن ينافس القفرة الكبرى إلى الأمام بوجه مشروع الصين الجديد.

ليس هناك من يبالغ فى مدى ما سوف يحققه المشروع لا من الهنود، ولا غير الهنود . وهم يجمعون بلا استثناء بأن مشروع الخمس سنوات الثالث لن يند ، فقر وجوع عدة قرون وإنما سوف يربح بشاعته ويكسر حدة ، وسوف يرسى الثقة فى اقتصاد يعتمد على نفسه ، ويولد قواه وحيويته وإن كان مشروع الخمس سنوات الثالث حتى لو حقق كل أهدافه لن يلحق مطلقا بالصين، وسيظل البعد شاسعا بين تقدم الهند وتقدم الصين ومع هذا، فإن من السخف خلق سباق أو منافسة بين الهند والصين أو النظر إلى الهند كبديل للصين أو للاشتراكية الديمقراطيه فى الهند كوسيلة لصد الشيوعية من اسيا وأفريقيا، وهذه هى النظرة الغربية نظرة الحرب الباردة، ولكن لواقع أن الهند أسلوب ومدرسة فى التنمية الاقتصادية والسياسية ، والصين أسلوب ومدرسة أخرى، وكل من الهند والصين يستفيدان ويقتبسان من بعضهما وشعوب اسيا وأفريقيا سوف تمتع نفسى المدهج وتضيف إليه من تحاربها الخاصة وإذا كانت الصين قد قدمت أعظم تجربة فى تاريخ اسيا وأفريقيا لتحقيق الديمقراطية الاقتصادية، فإن الهند قد قدمت أعظم تجربة فى تاريخ اسيا وأفريقيا وربما فى تاريخ العالم لتحقيق الديمقراطية السياسية، وكلا التحريتين اساس لا غنى عنه لتحقيق الحرية والرخاء سواء لشعوب اسيا وأفريقيا أو لكل شعب.

ولهذا ليس من العدل وضع الهند والصين كمثاقمين أو كمتصارعين الرعامة والقيادة في آسيا وأفريقيا لأنهما متكاملتان . ولم يكن ممكنا للصين أن تسلك طريقا آخر غير الذي سلكته كما لم يكن ممكنا للهند أن تسلك طريقا آخر غير الذي سلكته.

والفرق بين الهند والصين ليس في الأهداف ولكن في الطريق واختلاف الطريق، وكل من الهند والصين ، يشعنان أن لكل شعب فلسفته إلى الحرية والاشتراكية ولكل شعب طريقه إلى الحرية والاشتراكية والفرق بين الهند والصين هو أن الذي حقق الثورة في الصين هو الحرب الشيوعية وبعثه من الأحزاب الوطنية والديمقراطية أما الذي حققها في الهند فهو حزب المؤتمر الهندي.

### الإقطاعيون والرأسماليون

وقد كان الإقطاعيون الكبار والرأسماليون الكبار في الهند في قلب حزب المؤتمر وهي قياداته الرئيسية، أما في الصين ، فقد خرجوا عنها مع تشيانج كاي شيك وحزب الكومنتانج.

وحينما انتصرت الثورة في الصين كان من السهل عليها أن تصدر املاك الإقطاعيين الكبار وتورعها على لفلاهيين وكان من السهل عليها أن تؤمم الصناعة والتجارة والسلوك الكبيرة، لأن معظمها كان هناك في أيدي أربع عائلات من أقارب تشيانج كاي شيك أو زوجته.. أما في الهند، فلم يكن من الممكن سوى السير سيرا تيريجيا الحد من سيطرة الإقطاعيين والاحتكاريين، حتى نزع محالبهم في مشروع الخمس سنوات الثالث.

والفرق بين الصين و الهند هو أن حرب المؤتمر في الهند لم يكن حربا مدبرا على الحكم ولم يكن لديه القادة المدعون اعدادا حاصا للحكم والإدارة أما الحرب الشيوعية الصينية فقد عاش ربع قرن في البراري والقرى يدير ويحكم ويحارب وكان من مبادئ الأساسية اعداد «الكوادر» السياسية والاقتصادية والإدارية والعسكرية للاستيلاء على الحكم

وحينما تولى حزب المؤتمر الحكم كان مضطرا لأن يعتمد على الإدارة التي كونها وحلقها الإنجليز لاستعداد واستغلال الهند وكما يقول بهرو «من الصعب على الدين كانت كل مهمتهم حفظ الأمن ونحصيل الضرائب للأجنيبي أن يديروا دولة الرعاية الاجتماعية ومن الصعب على من صيغت عقولهم صيغة رأسمالية استعمارية أن يحققوا اقتصادا اشتراكيا» ولهذا تعد الهند جهازا جديد يصدم في كل لحظة بالجهاز القديم.

### البرصوا الاقتصاد

أما في الصين، فقد استولت «الكوادر» على الحكم والإدارة واستناعت بمقدرة هارقة



أن تعين الشعب تعنة شاملة وأن تعد بعصمها لكل المهام، وحينما أبدى ماوتسى دوج نصيحته إليهم « ادرسوا الاقتصاد» انكرو جميعا على دراسة الاقتصاد واستطاعوا السيطرة والهيمنة على كل دقائق الاقتصاد الصيني والفرق بين الصين والهند هو أن الهند قد اختارت الطريق الديمقراطي البرلماني وأصررت عليه وأظن نهرو «لن نضحي بالحرية المبدية من أجل أي تقدم اقتصادي» واختارت الصين طريق ديكتاتورية الشعب، والديموقراطية وتحالف الأحزاب والطبقات الثورية ضد الأحزاب والطبقات الرجعية.

ولهذا لم يلق الحزب الشيوعي في الصين المعارضة العنيفة التي تلقاها ويتلقاها حزب المؤتمر داخل الإطار الديمقراطي سواء من اليمين واليسار، بل ولا يلقى الحزب الشيوعي الصراع لدخلى الحاد الذي يدور في قلب حزب المؤتمرين اليمين واليسار ولهذا أيضا فمن سياسات الحرب خاصة التخطيط الاقتصادي في الصين لا تلقى الصعوبات والعثرات التي تلقاها سياسات نهرو وتخطيطه الاقتصادي والفرق بين الهند والصين أنه منذ انتصرت الثورة الصينية وقف الاتحاد السوفيتي وكل دول أوروبا الشرقية بكل إمكانياتهم الاقتصادية إلى جوار الصين، ومنح الاتحاد السوفيتي الصين ١٦٨ مصنعا كانوا أساس الصناعة الثقيلة وأساس تصنيع الصين كلها وهذا إلى جوار القاعدة الصناعية الكبيرة التي كانت القاعدة الصناعية الكبيرة التي ورثتها الصين عن اليابانيين في منشوريا.

أما الهند فقد ورثت اقتصاد إقطاعيا احتكاريًا استعماريًا، مخربا مخططا، وقد زاده خرابا وانهيارا تقسيم الهند إلى دولتين، وانتقال المناطق الراحية إلى دولة والمناطق لصناعية إلى دولة أخرى واستحكم العداء والقطيعة الاقتصادية بينهما، ثم رفض الكتلة الغربية والشرقية على السواء مساعدة الهند بعد الاستقلال، كل منها لأسباب مختلفة وقد قررت الكتلة الغربية أي الولايات المتحدة الأمريكية ألا تساعد الهند إلا إذا أكدت أن تطورها الاقتصادي سيقوم على أساس رأسمالي أو يميل إلى لرأسمالية وأنه سيقوم على أساس منح الأولوية للزراعة والصناعة الخفيفة، ثم على أساس ندد سياسة الحياد وعدم الانحياز و لاصممام إلى العرب أو الحياء حيادا مائلا للغرب، ورغم أن نهرو ذهب بنفسه إلى الولايات المتحدة سنة ١٩٤٩، وحاول أن يقع ويؤمن الرأسماليين الأمريكيين إلا أنهم رفضوا أي مساعدة للهند، حتى حينما هددتها المجاعة ولم تساعد أمريكا الهند إلا بعدما انتصرت ثورة الصين، وتغير ميزان القوى، ورد نهرو الإهانة مضاعفة لهم، وقرر أننا سموت حوما قبل أن نمارز من مبادتنا أما الكتلة الشرقية، فقد امتنعت عن مساعدة الهند بفضل سياسة المعاصرين الشيوعيين التي سيطرت حيا سواء في الكتلة أو في

العرب الشيوعي الهندي، وهؤلاء كانوا يرون في نهرو «كلب حراسة للاستعمار الانجلو أمريكي في اسيا» وكابوا يرون أيضا أن محاح نهرو اقتصاديا واجتماعيا في الهند، يعنى أن هناك حلا آخر غير الحل الشيوعي، وبظروية أخرى غير النظرية الماركسية المتزمتة ، وهذا ما لا يودون مطلقاً أن يحدث، ولم تساعد الكتلة الشيوعية الهند إلا بعد مادنونج، وبعد انهيار السياسة الستالينية في المؤتمر «لعمريين للحرب الشيوعي السوفييتي، وكان هذا نقطة تحول في تقدم الهند، وكنت موافقة الاتحاد السوفيتي مثلاً على إقامة مصنع صلب في الهند سيما في إسراع ألمانيا الغربية بالموافقة على إنشاء مصنع آخر، وإسراع بريطانيا بإنشاء مصنع ثالث، وموافقة الولايات المتحدة على إنشاء مصنع رابع ولكن لحساب أحد الرأسماليين الهنود الكبار «تانا» وليس في القطاع العام.

### استقلال... واستقلال

والفرق بين الهند والصين، أن الهند قد استقلت «سلمياً» كما يقولون ، واتسحب الاستعمار وجلا عن الهند بالرضا والاتفاق ، أما في الصين فقد استقلت بعد حرب دامية استمرت أكثر من ربع قرن، وغمرت الدماء كل شبر من أرضها ، وحينما استقلت الهند، انتهت السيطرة السياسية للاستعمار، ولكن النفوذ الاقتصادي لرؤوس الأموال الأجنبية لم ينته بل ظلت رؤوس الأموال الأجنبية تحتفظ بقواعد ومراكز رئيسية في الاقتصاد الهندي إما بدخول معظمها في اتحادات مع رؤوس الأموال الهندية أو باستمرار استثماراتها.. ولم تتأثر رؤوس الأموال البريطانية كثيراً «استقلال الهند، بل حدث نوع من الملازمة فقط، وهي تبلغ الآن ثلاثمائة مليون جنيه استرليني .. ودخلت رؤوس الأموال الأمريكية للاستثمار بنسبة أقل كثيراً ، ولكنها تكافح دائماً في سبيل توسيع وتدعيم مراكزها .

أما في الصين، فبمجرد انتهاء «ثورة اشتهت السيطرة السياسية والاقتصادية ولم تصدر الصين رؤوس الأموال الأجنبية ولكنها أخضعتها لنفس القوانين التي خضع لها الرأسمال الوطني ولم تصدر سوى رؤوس الأموال الأمريكية بعد حرب كوريا.. ولكن ما بقي يعمل في نطاق السياسة وخطة التنمية الصينية.

والفرق بين الهند والصين، أن الاستعمار في الهند كان استعماراً مباشراً ، حكم وصاد ومك ، واستعبد واستغل ووضع في قبضته كل شيء ، أما في الصين فقد كان الاستعمار استعماراً غير مباشر، وهو وإن لم يختلف في العمق والأبعاد إلا أنه اختلف في الأثر وفيما حلقه.

وحيثما انتصرت ثورة الصين كانت كل المقاومة المعادية قد انتهت. وكانت الصين قد

حصلت كاملة موحدة للعهد الجديد والحكم الجديد ، ولم تبق ضده سوى جيوب صغيرة كان مصيرها مفروغا منه

أما في الهند، فقد قسمت إلى بلدين متعاضدين عدا محمومًا يتفق كل منهما ٦٠/ أو ٧٠/ على التسليم، وبينهما بحر من دماء وأشلاء مليوني قتل على الأقل .  
ورثت الهند بلدًا على شعا الهاوية يضطرم ويمرر بكل عوامل الانهيار والانهيار من عداوات دينية وطبقية وإقليمية وحزبية.

وقد كان على نهرو بعد الاستقلال أن يواجه ثلاثة ألوان من التمرد الشامل كان كل منها يهدد مصير الهند وكيان الهند كله والمثل العليا للهند.

أولاً، التمرد الهندوكي من المتعصبين النينيين من الهندوس، الذين كان يشمهم حرب قوى يستند الإقطاعيون الكبار والرأسماليون الكبار والمهراجات، وقد استغل ظروف تقسيم الهند والمسي التي خلعت، وقام يطالب يهدد هندوكية وإبادة كل المسلمين ، واستعادة الباكستان بالقوة وتفزع عن الحزب، حزب آخر إرهابي مسلح ، ارتكب أكثر المجازر ولمذبح التي خلعت التقسيم ، وقررت أن يقصى على أعضاء حزب المؤتمر، خاصة غاندي الذي اتهموه بالتهجير للمسلمين ونهرو الذي كانوا يسمونه «معد نهرو»

وقد ألقى نهرو القفاز في وجه هؤلاء وأعطى أن الهند ان تكون سوى «دولة علمانية» ولي تكون أبداً دولة هندوكية ، مهما حدث في باكستان.

وحيثما ارتكب هؤلاء جريمتهم الكبرى بقتل غاندي كانت نتيجتها انهيار نفوذهم إلى حد كبير، ولكن ظل نهرو في حرب صريحة عنيفة ضدهم، حتى لم يبق لهم سوى نفوذ لا يذكر في الهند، وهرموا هزيمة ساحقة في الانتخابات الماضية، وقد لا يحصلون على شيء مطلقاً في الانتخابات القادمة.

ثانياً، التمرد الرأسمالي وهؤلاء الرأسماليون الكبار الذين كانوا يريدون إقامة هند رأسمالية، يساندها الرأسمال العالمي كله، وكانوا لا يأخذون بمنهج الهد سياسات نهرو ومثاليات نهرو الغامضة كما كانوا يسمونها، وكانوا يحاربونها بكل الوسائل ، خاصة بإثارة التحصب الديني الهندوكي. والتشجيع الصفي للأحزاب التي تمك وحيثما استقلت الهند، كان هؤلاء يسيطرون على حزب المؤتمر عن طريق سكرتيره العام، وأقوى رجل فيه وأقدر المخطمين في الحركة الوطنية الهندية كلها وهو السردار «مال» كما كانوا يسيطرون على المواقع الرئيسية في اقتصاد الهند الزراعي والصناعي والتجاري.

وقد كانت معركة نهرو ضد هؤلاء معركة تدريجية ، بدأت بعض القيود على نفوذهم

ويتوجبه الدولة توجيهها محدوداً للاقتصاد المزدى، وانتهت بمشروع الخمس سنوات الثالث الذى حولهم من الهجوم إلى الدفاع.

ومعركة بهرو الرئيسية الآن ، بل معركة الهند الرئيسية الآن هي ضد هؤلاء الرأسماليين .

**الثالث.** التحدى الشيوعى وكان الحزب الشيوعى الهندى حزناً مغامراً منخبطاً، ظل معزولاً عن الحركة الوطنية متقللاً في موافقة منها، وكان كل هم قابته من خلال الحركة الوطنية أن يشتتو للشعب أن عانى «أكبر عملاء الاستعمار البريطانى» وكان كل همهم بعد الاستقلال أن يشتتو للشعب أن بهرو «كذب حراسة للاستعمار الانجلو أمريكى» وأن الشعب يجب أن يتبعهم لانتراع السلطة من حزب المؤتمر وتسليمها للحزب الشيوعى الهندى

### مهر نهر

وقد خاض مهر المعركة كاملة ضد الحزب الشيوعى سواء أيدىولوجيا أو سياسيا أو ثوريا وفى الداخل أو الخارج وبينما قاموا بمعارتهم الطائشة بإعلان ثورة مسلحة فى أحد أقاليم حيدر آباد قضى عليها، وحينما بدأوا معركة للثارة الشعبية تحداهم بالاحتكام دستوريا إلى الشعب واكتسحهم حزب المؤتمر فى الانتخابات الأولى والثانية مما اضطرهم أن يحولوا من حزب مغامر إلى حزب دستورى للمعارضة البرلمانية وهو حتى الآن يقف بعيداً عن الحكم، ولا يجد ما يكفى من الشعارات ضد نهر .

ودور مهر التاريخى والمجيد بعد الاستقلال هو أنه استطاع بعد الاستقلال ووسط هذه الأمواج العاصفة المتعاطمة أن يهرج بالهند دولة موحدة ديمقراطية علمانية اشتراكية حيادية تسير بشات نحو الأهداف التى رسمها مهر نفسه للثورة الهندية منذ ربع قرن مهما كان هذا السير بطيئاً أو محفوفاً بالمكاره

ودجاح الهند فى تحقيق استقلالها وفى توليد استقلالها، يبعث اليقين بأنها سوف تحقق ثورتها الاجتماعية وسوف تواجه أى نحد لكبابها أو لملها أو لأدهاها .

- جريدة الجمهورية فى ٢ من ديسمبر ١٩٦٠

(\*) كلها تمررت بالقلل فى أواخر القرن العشرين



## حدیث خاقون باکستان))

---



تركزت كل شيء في الوجود، لتكون في خدمة القائد الأعظم. ظلت إلى جواره في كل مراحل كفاحه ولم تتركه لحظة ولم تتزوج حتى تحقق الحلم الكبير. لقبها «خاتون باكستان» أي «أم باكستان».. إنها السيدة الأولى في هذا البلد التي فتحت قلبها لحمد عودة ، وروت له كل النكريات

هذه هي أم باكستان.. السيدة الأولى في باكستان هي الأنسة فاطمة جنة شقيقة القائد الأعظم «محمي علي حجة» منشي باكستان، وزميلة حياته طيلة سنين الكفاح. و«فاطمة جنة» أو «مس جنة» كما يدعوها الجميع هي «خاتون باكستان» أي «أم باكستان» وكل عمل كبير تقوم به الحكومة كل حكومة - لابد أن تباركه أم الباكستان لكي يتساند في خيال الشعب وخمسيره. وحينما أعلنت «خاتون باكستان» الحرب ضد «اسكندر ميرزا» ودعت إلى «الجهاد» ضده لأنه «الحضيض الذي ليس بعده حضيض» لم يبق في باكستان من يشك في أن اسكندر ميرزا يجب أن يذهب وأنه سوف يذهب، وحينما انبثق النظام الجديد في باكستان أعلنت أن هذا النظام لابد وأن يعطى الفرصة كاملة، وقد كان وشت نجاح النظام.

و«فاطمة جنة» في الحلقة السابعة من عمرها وهي بحيلة رقيقة في مظهرها، وقوية



جيرة مضطربة بالعماس والحرارة حين تتكلم، ويستطيع الإنسان، بعد أربع ساعات هي الحديث معها كما فعلت ، أن يدرك أي إرادة جبارة، وأي عزم وتصميم خارق، كان وراء قديم باكستان ونشأه باكستان،

وقد اعتدت «قطعة جنة» نفسها لتكون طيبة ألسان ولكنها ما لبثت أن اعتزلت الطب لتتعرض لرعاية أخيها بعدد ماتت روجته وظلت إلى حواره ولم تترك لحظة ولم تتزوج حتى تحقق الحسم، ورفرف علم باكستان ثم مات القائد الأعظم، بعد أقل من عام وظلت وحيدة تنفذ وصيته.

كان أول ما قالته خاتون باكستان إنني سعيدة.. سعيدة جدا، إن أي ضيف وأي ربح طيبة تأتيها من ملائكم تحمل لك نسمة من السعادة وأنت لا تعلم ماذا تعني كلمة عربي بالبنسية لنا وبالبنسية لأي باكستاني ومدّ تضع سنوات لو سرت في الطريق وعرف الناس أنك عربي، مجرد عربي، لتجتمعت هواءك مظاهرة، ولكن ليجازي الله حكومتنا السابقة لقد كنت تقفر من سبيء إلى أسوأ ، وأب رأيت عبد الناصر في أول مرة رار باكستان وقلت يومها لرئيس الوزراء «يجب أن تتشبهوا بهذا الرجل، يجب أن لا ترهعوا أيديكم من يديه أبدا، إن العرب والمسلمين جميعا قد وحدوا قائدا عظيما ومشكلتنا جميعا، كانت «القائد» ويجب أن ندعموا هذا اقتنا له، وفهمنا له» ولكن لم كنت أقول؟ كيف يمكن جمع النقيض، وإنني لست سعيدة بشيء، مثل تصميم الحكومة الماضرة على إزالة كل السحب في علاقاتنا وعلى دعوة عبد الناصر وسنرى كيف يقابل هنا وسيمرر أولئك السياسيون من نوافذ بيوتهم المنظفة إلى الأبد إن شاء الله كيف فشلت كل مذور تهم لفصل «الأح الشقيق من الأح الشقيق».. أن ما يرباه الله والتاريخ لن يفصمه «اسكندر ميرزا» ولا «حسين سهر وردى».

واسأل ما نشاء وسوف أجب بصراحة كاملة.

### وهبت الحياة

س- كيف نهبت لأخت حياتها لشقيقها، وتترك عملها كطبيبة، ودورها كامرأة؟  
ج- لم يكن القائد الأعظم مجرد أخ لي، ولكنه كان أيضا أبي وأستاذي وصديقي، وقد كنت أصغر الأخوة، وقدم هو بتربيتي منذ الطفولة ، وكان شامنا متحررا وكان مدرك لدور المرأة عن فهم ووعي، وكنت لنا أول فتاة مسلمة في الهند تدخل مدرسة «لراهبيات وثارت ثائرة المسلمين في يومئذ في ذلك الحين وأرغوا وأريدوا ولكنه كمادته حينما يكون على حق، لم يأنه قط، ولم يعبر رأيه، وبخلت المدرسة وطلب من المديرية ألا أحضر بروس الدين

ولا الصلوات، ولا الاعتراف، وجاء لي بمدرس خاص في المنزل للدين الإسلامي، ومنذ كنت في الثامنة، كان يعاملني دائما وكأنني فتاة كبيرة، ولا أذكر أنه نصحني قط كما تنصح الفتيات، ولا أذكر أبدا أنه جرح شعوري مرة واحدة أو وجه لي اللوم على شيء ما، ولذلك كنت أحرص دائما على ألا يكون في تصرفاتي أو في أرائي شيء يمكن أن يكون موضع الملاحظة من قريب أو بعيد، وكان يصحبني معه إلى الحفلات والمحلات العامة، وأنا سافرة، لأنه كان ضد الحجاب وضد أنصار الحجاب والمترمطين ولهذا كان أخی دائما هو «ظلي» ولم نفترق إلا حينما تزوج ونحلت أنا كلية طب الأسنان، وأتممت الدراسة، وبعد أن تخرجت، بوقت قصير ماتت زوجته، ولهذا عدت للحياة معه سنة ١٩١٧، ولم نفترق منذ ذلك الحين من خلال أكثر من ثلاثين عاماً

### الإيمان .. أولا

س- هذا أثره فيك كآخ وما أثره كقائد وسياسي؟

ج- الواقع أن القائد الأعظم لم يكن سياسيا بالمعنى المعروف للسياسي، كان رجل «عقيدة وإيمان» وكان يعطي حياته لما يعتقد ويؤمن به، وبينما كان مؤمنا بوحدة الهند وحرية الهند كانت كل حياته وتفكيره وكفاحه من أجل هذه الوحدة ومن أجل الهدى الحرة حتى أطلقت عليه ساروجيني نايرو «سفير الوحدة بين عنصرى الأمة»، وبينما أمن بباكستان، استبق بنفس الإيمان والعزم والتصميم، ولم يقف أمامه شيء، اوم يكثر بأى عقبة وكانت العقبات أعصى وأقسى من قمم الجبال، كان القائد الأعظم رجلا شجاعا مخلصا، شريفا بسيطا وكل خصومه بلا استثناء حتى أشدهم خصومة له، كانوا يدركون دائما أنه من أشرف وأنبل من أن يجتهد الهند وكانوا يسمونه the incorruptible.

### أعظم لحظات العمر

س- وماهى فى رأيك أعظم لحظات حياته وحياته؟

ج- طبعاً يوم ١٤ من أغسطس سنة ١٩٤٧، واستقلال باكستان، لم تكن باكستان مجرد أرض وحدود جغرافية، ولكنها عقيدة وقضية شعب، وكانت تراث وروحية أمة، وفى ذلك اليوم كان القائد الأعظم يحس إحساس الرجل الذى وصل بعد رحلة مضنية شاقة عبر الصحارى والأدغال إلى مكة والحرم الشريف وأنا أذكر أننا كنا نشهد معا، فى لاهور قوافل المهاجرين واللاجئين من الجانب الآخر، وكانوا يتكئون فى مواكب تمتد أميالاً عديدة، ويصلون إلى الحدود، وقد أنهكتهم وحطمتهم أهوال الرحلة، ولكن ما يكادون يصلون إلى أرض باكستان حتى يرتعوا راكعين ويقبلوا الأرض بشوق وحرارة وتهمل الدموع من

أعينهم ولا أنسى منظر فلاح عجوز كان يتوكل على كتفى ولدين من أبنائه، ولم يستطع أن يركع ليقتل لأرض فطلب إلى أحدهما أن يتأوله قطعة من أرض باكستان وظل يقلبها بحرارة، ولم يتركها من يديه .

ولقد كانت باكستان التي تمخضت عن التقسيم، غير باكستان التي يريدونها ويحلم بها «القائد الأعظم» وكان يحس أحيانا بكثير من الأسى، ولكنه لا يلبث أن يقول لي مهما كان ما حصلنا عليه، ومهما كانت قلة الرجال المدربين لدينا إلا أن باكستان ستزدهر وأننى أؤمن بالشعب ودأبها هير، وكان يقول لي أن طينة شعبنا سليمة ونقية وقوية ، وقد علمتني تجارب العشر سنين من ١٩٣٧ - ١٩٤٧ أن شعبنا لا يتضعضع ولا ينهار ولا يتراجع، وذلك مهما كانت العقبت، ومهما كان الفشل وخيبة الأمل، وكان أمل القائد الأعظم كله ينصب حول الجير الجديد، وكان يقول لي لقد انتهت مهمتنا بقيام باكستان، والدور الآن على الشباب، وعلى الجيل الجديد وتصورى أى عجيبة سوف يكون منها الجيل، الذى ينشأ فى بيئة حرة، الذى لم يعرف عقدة الأقلية ومتاعبها، ولم يعرف دل الاستعمار البريطانى، وجبروته.

### هل تحقق الأمل؟

س- هل حققت باكستان آمال القائد الأعظم وآمال الشعب فى باكستان؟

ج- نحن أمة جديدة عمرها ثلاثة عشر عاما فقط وقد خرجنا من التقسيم بكل ما نعرف ولا نعرف من مشاكل وقد مررنا بتجارب أليمة وتوالت علينا حكومات سيئة وهاسدة ، ولكن ربما كانت هذه التجارب لازمة لكل شعب، لكنى يكتشف طريقه ، ولكى يدرك عيوبه ومزاياه ونحن نحمد الله على أن عصر المياسيين والإقطاعيين قد انتهى.

أما الشعب، فقد لا تكون باكستان حققت كل مطالبه ، ولكن كل باكستاني يؤمن أن باكستان سوف تزدهر وأنه لا مناص من أن تزدهر باكستان وليس هناك طريق آخر واسأل أى مواطن عادى فى الشارع مهما كانت حالته الاقتصادية هل يدافع عن باكستان إذا هدها خطر؟ وستجده ينقلب نغرا خساريا، ويفضل أن يموت هو وأولاده وأحفاده لكنى تعيش باكستان . وأنت لا تعرف وكثير من العرب لا يدركون أى ذل وعذاب عرفه مسلمو الهند منذ استولى البريطانويون على الهند ومنذ حطموا كل محد وراث المسلمين.. ومنذ استغلوا الأقلية ضد الأغلبية والأغلبية ضد الأقلية وأى شعور بالخلاص أحسوه حينما أصبح لهم وطن.. وبعموا بالحرية. لقد جاء سفيركم لزيارتي منذ أسابيع وجلست معه جلسة أطول من جلستنا هذه وشرحت له التاريخ كله وأننى أثق بأن ما تحتاجه باكستان

منكم هو الفهم ،لشيع بالعلمف ، ويوم تعرفون القصة كاملة، إن يكون هناك قدم محال للثقت أو سوء التفاهم.. وحيما يأتى جمال عبد الناصر ساقفل معه نفس الشيء وسأقول له كل شيء

### كفاح المرأة

س- وما دور المرأة فى تحقيق باكستان؟

ج- دور عظيم، دور جوهرى لقد كانت لمرأة المسلمة إلى جوار الرجل فى كل خطوة، بل لقد كانت تتقدمه فى كثير من الأحيان، وحيما كان الموقف يحتاج إلى المخاطرة وإلى التضحية، كانت المرأة كثيرا ما تتدفع بلا تردد أو تفكير، وكانت كثيرا ما تتعوق وتسبق الرجل بأفعال وأنها فى رأى أن المرأة عاطفية ومتطرفة ، ولا تؤمن كثيرا بالحساب والأرباح والخسائر لكثير من الرجال.

وأستطيع أن أقول لك أنه بغير المرأة ربما لم يكن ممكنا ان يسجح حرب العصبة الإسلامية وأن تتحقق باكستان.

وفى كل مرحلة وهى المظاهرات، وفى الانتخابات وفى جمع التبرعات، وفى التعبئة العامة للشعب والجماهير كانت المرأة دائما فى الصف الأول يوم الفتيات المتلزمات إلى ريات البيوت حتى الفلاحات الجاهلات ويفضل المرأة كان شعار «باكستان زبد اباد» وهو شعار كل بيت مسلم فى أرجاء الهند كلها قبل التقسيم.

وكان الرجل الذى يعارض باكستان لا يستطيع أن يجد طعاما فى منزله، لأن زوجته ترفض أن تطبخ له ، وكان الرجل الذى لا يصوت من أجل باكستان يعود فلا يجد زوجته فى البيت لأنها تطلب الطلاق منه ، بل لقد بلغ الأمر بإحدى الزوجات أن سكبت البنترول على نفسها وأشعلت النار مفضلة الموت على الحياة مع زوج لا يؤيد باكستان.

### وصية القائد

س- وماذا فعلت بعد وفاة القائد الأعظم؟

ج- بعدت وصيته ، إسى أقصى كل وقتى فى الاهتمام بالتعليم وإشياء المدارس والجامعات ولا أرفض أى دعوة لافتتاح مدرسة أو تدشين مدرسة ، وقد ألقى خطاب افتتاح جامعة السند الجديدة، وشعرت بسعادة ما بعدها سعادة وأنا أرى جامعة جديدة فى باكستان وأنا أرعى كل صغيرة وكبيرة فى معهد الفتيات النموذجى المسمى باسمى وأنا مهما تعرفت بالجيل الجديد من الأولاد وبنات، رأت ثقتى بمستقبل باكستان، وأنكرت قول القائد الأعظم بعد الاستقلال غلب أن يركز كل اهتمامنا حول من هم أقل من سن

الأربعين ، لأن هؤلاء انتهى دورهم.

وقد قررت بعد موت القائد الأعظم أن أعتزل السياسة تماما، ورأيت أن أخذ إجازة طويلة منها وذلك بعد عمل متصل ليل نهار مدى ثلاثين عاما، ولكك لا تتصور أنه لا أما ولا القائد الأعظم قد أمضيا أي إجازة من العمل لمدة ٢٢ عاما متتابة ، وظللت محافظة على ابتعادى عن العمل السياسى حتى جاء هذا «الاسكندر ميرا» ووصلت الأمور إلى الحضيض الذى ما بعده حضيض وأصبح كل شيء فى باكستان مهديا، وحينئذ قررت العودة «للجهاد» ضده ولإزالة الوضمة التى أفسدت كل حي عندنا.. ونحمد الله أنه انزاح نهائيا عن باكستان وعلى أنه ذهب ليعيش لدى أسياده الإنجليز فى لندن.

واستأذنت من خاتون باكستان.. بعد أربع ساعات طوال، وكان آخر ما قالت

· متى يأتى عهد الناصر.. هل تحدد الموعد؟

- فى أواخر مارس «لم يكن الموعد قد تحدد بعد»

- قل له أن كل باكستاني يعد النفاق والثوانى حتى يحضر، وقل له ألا يكتبى بزيارة

العاصمة ومقابلة الوزراء والحكام ، يجب أن يزور كل مدينة وكل قرية.. ليتأكد بنفسه وليرى بنفسه أنه يعيش فى قلب كل باكستاني فى أثنى مكان من قلبه».

## الثورة الهندية

---



كانت الهند هي التجربة التاريخية النموذجية للاستعمار الحديث، وقد مارس فيها كل وسائله وتجاريه في الاستغلال والاستبداد، حتى أصبحت مدرسة الاستعماريين جميعا، وسميت بحق - الأرض التقليدية للاستعمار.

ومنذ نعت البريطانيون إلى هناك كتجار للفلل والتواصل حتى سيطروا على الهند بعد فشل ثورة سنة ١٨٥٩ واهيار اخر محاولة للهند لقديمة هي لمقاومة ، استنحاح الاستعماريون البريطانيون أن يمرقوا جسم الهند السياسي بكل وأنق أنسجته، واستطاعوا أن يمتصوا آخر قطرة من دم الهند وكيانها الاقتصادي ، وحكموا الهند حكما مباشرا بشعا طيقوا من خلاله ما لم يعرفه وما لم يعرفه التاريخ

ولقد حطم الاستعماريون البريطانيون كل وحدة الهند وتقسقها وتوعها الحصب في إطار الوحدة وأعدموا كل الساء المجيد الذي شاده أباطرة عظام مثل اشوكا البودي واكبر المسلم المغولي.

وقسم البريطانيون الهند إداريا إلى الهند البريطانية التي يحكمها البريطانيون مباشرة حكما نيكانتوريا صريحا، وفند الأمراء التي يحكمونها بطريق غير مباشر عن طريق المهراجات والقواب الذين ظنوا على ظلام لقرون الوسطى والإقطاع. تؤيدهم وتسددهم الحراب البريطانية



وقسم البريطانيون الهند روحياً إلى مسلمين وهندوس وسِيخ ومسيحيين وزرعو بين كل دين وطائفة بحاراً من الكراهية والدماء، وأذكى البريطانيون أشد الفروق ظلاماً ورحمةً وهي قسمها إلى طبقات مقدّمة ومبتدلة مهانة كالحيوانات مثل الميبودين، وقضى البريطانيون على كل صاعات الهند التي كانت فخر العالم الحديث وذلك لكي يخلقوا سوقاً للاكتشير ويوركشير. وقضوا على اقتصادها المزدهر كله وأعانوا صياغته ليكون مجرد مزرعة تحمي ثراء ومجد وحرية الجزر البريطانية السعيدة وقد طلب برنارد شو ذات يوم بحق من سيدات الأرستقراطية في لندن أن يغلّفن من غلوانهن ودلالهن لأن كل ما يتمتعن به هو دماء وعظم هنود ماتوا جوعاً.

وقد سميت الهند أراضي المأساة والمجاعة الدائمة، وقد أحصى كاتب هندي عدد المجاعات التي دهمت الهند من خلال الحكم البريطاني منذ أول مجاعة في القرن الثامن عشر حتى مجاعة البغال سنة ١٩٤٢ التي مات فيها سبعة ملايين، قبلت مائتين مات فيها ثلاثمائة مليون ومن أجل هذا كتب طاغور يوماً «إن مصير الاستعمار شأن كل الكائنات هو القاء» وأن الهند ستشاهد ذلك اليوم ولكن الاستعمار سيتركها بوجه ملطخ بالعار والجور والقدارة واليأس.

### الثورة

وقد قامت ثورة التحرير الهندية لأهداف ثلاثة هي:

١- تحرير الهند تحريراً كاملاً من الاستعمار.

٢ إعادة وحدة الهند المادية والمعنوية التي مزقتها الاستعمار.

٣- تحقيق العدالة الاجتماعية التي حرم منها شعب الهند طوال قرون الاستعمار.

وقاد ثورة الهند في مرحلتها الأخيرة والحاسمة موهانداس كرمته غاندي بظلمته وأسايبه العريضة وقد قامت هذه على اللاعنف وعدم التعاون والعصيان المدني، مستلهمة في ذلك تراث الهند الروحي الشامل.

وكانت الغائبة عقيدة وسياسة وسلاح، وقد استطاعت أن توقظ شعب الهند وأن تعبئه وأن تنفعه للثورة واستطاعت أن تحيله من شعب يائس مشتت جرده الاستعمار من كل سلاح إلى شعب مكافح مستميت سلاحه أقوى ما يملكه الإنسان وهو روحاً نيت.

وقد أتت الغائبة رسائلها بجلاء الاستعماريين البريطانيين عن الهند وتسلم القيادة جواهر لال نهرو ليقوم باستكمال الثورة، وكانت النهروية هي التطور المتناسق للفاندية في مرحلة البناء التي تلت مرحلة التحرير

ونهر في فلسفته غاندي ماركسي اشتراكي ديموقراطي. وهو المزيج العبقري بين أحسن ما في الشرق وأحسن ما في الغرب وإذا كانت الماوتسي توجية هي أقلمة الاشتراكية الماركسية في واقع الصين وواقع الشرق عامة، فإن النهروية هي أقلمة الاشتراكية الديموقراطية الغربية في واقع الهند وواقع الشرق عامة.

### اختلاف الثورتين

وقد اختلفت الثورة الهندية عن الثورة الصينية في فلسفتها وقيادتها وطبيعتها فكانت فلسفة الثورة الصينية في تعاليم ماس بات صنة التي تطورت إلى تعاليم ماوتسي توج وكانت فلسفة الثورة الهندية هي تعاليم غاندي التي تطورت إلى تعاليم نهرو وكانت قيادة الثورة الصينية في يد الفلاحين والعمال بالتحالف مع الطبقة الوسطى، وكانت قيادة الثورة الهندية في يد الطبقة الوسطى بالتحالف مع العمال والفلاحين. وكانت طبيعة الثورة الصينية أنها ثورة مسلحة طويلة المدى ضد رجعية واستعمار مسلح، أما الثورة الهندية فقد كانت هي جوهرها ثورة سلبية لا عنفية ومع ذلك فقد كانت الأهداف واحدة وهي الحرية والوحدة والاشتراكية.

### التحرر

وقد تجتحت الثورة الهندية في تحرير الوطن الهندي من ولاء الاستعمار البريطاني. ومن جيوب الاستعمار الفرنسي التي ظلت باقية حتى بعد الاستقلال، ولم تبق إلا بصغة جيوب للاستعمار البرتغالي تصر البرتغال ويؤيدها العالم الحر على يقائنها<sup>(١٠)</sup>

### الوحدة

ووجدت الثورة الهندية شعب الهند رعم الجرح الدامي الذي شقه الاستعمار بتقسيم الهند واستطاع «السردارياتله الذي يسموته بسمارك الهند أن يهدم كل الحواجز التي أقامها الاستعمار بين الشعب الواحد وداخل الوطن الواحد، واستطاع بالعصا الطليقة وبالجهر أن يقوض حكم المهرجات والأمراء وأن يفرض عليهم الدستور الهندي وحكومات ديموقراطية جديدة، وبذلك عادت للهند وحدتها وتناسقها كشعب واحد ووطن واحد وأعادت الثورة الهندية تخطيط ولايات الهند تخطيطاً قائم على الأسس لصحيحة وقضت على التخطيط المقتل الذي أقامته بريطانيا تحقيقاً لمصالحها ولثروات المهرجات والأمراء

### الاشتراكية الديموقراطية

وقد كان التحرر والوحدة هما الإطار الضروري والقاعديين الأوليين لتحقيق الديموقراطية والاشتراكية.

ويتمام التحرر والوحدة استطاعت الهند أن تقيم جمهورية ديموقراطية اشتراكية بدلا من البناء البوليسي الاستعماري الرهيب.

ولقد كانت الطبيعة السلمية للثورة الهندية هي العامل الأساسي في إمكان قيام ديموقراطية برلمانية كاملة في الهند. وذلك كما كانت الطبيعة المسلحة للثورة الصينية هي السبب في قيام ديموقراطية ثورية أو ديكتاتورية الشعب الديموقراطية وقد صدر الدستور الهندي كأحدى الوثائق المجيدة في تاريخ الشرق كله وقد كفل هذا الدستور من الحريات ما لم يكفهِ دستور قنله في الشرق والغرب.

وقامت على أساسه ديموقراطية برلمانية كاملة هي أكبر وأرقى ديموقراطية برلمانية عرفها التاريخ، وهي لم تُولد بالاستعمار والاستبداد الذي تلوّنت به الديموقراطيات البرلمانية لغربية وكان أهم أسباب انهيارها وتناقضها.

وهي ظل الديموقراطية الهندية استُثرت معظم أحزاب التعصب والتحريب، وذابت أكثر الدعوات المسمومة والمنهورة، واستطاع حزب الأغلبية أن يسترد الكثير من حيويته ومن تقدمه وأن يعيد إلى حظيرته الكثير ممن تركوه سخطاً على جموده وتفككه ونشأت معارضة مستنولة وتحول المسار من سياسة العنف والمؤامرة إلى الكفاح الدستوري المسئول في البرلمان. واستطاع بهذا الوصول إلى الحكم في ولاية يبلغ سكانها عشرين مليوناً.

وهذا للدستور قامت في الهند دول علمانية وهي ليست بالدولة الدينية ولا بالدولة الإلحادية ولكن بالدولة غير الدينية التي تفصل الدين عن الدولة، وتكفل حرية العقيدة كفاية تامة لكل الأديان والمذاهب

واستطاعت هذه الدولة العلمانية أن تقضي على تركة الاستعمار الثقيلة في التعرقة ولتعصب الديني، واستطاعت أن تهزم كل دعائم الدولة المتعصبة التي تقوم على حدودها والتي تفتت الدم والظلام في كل آسيا

### الاشتراكية

وقد كان تحقيق الاشتراكية في الهند في ظل هذه الديموقراطية البرلمانية مختلفاً في الطريق وفي الدرجة والسرعة عنه في الصين.

ويروى أن ستالين في مقابلة له مع هارولد لا سكي قال له «هناك طريقان للاشتراكية الطريق البريطاني وهذا حقيف الوضوء، ولكنه بطيء والطريق السوفييتي وهذا ثقيل الوطأة ولكنه سريع».

والاشتراكية الهندية اشتراكية عملية تحريرية لم تتقيد بالأيديولوجية بقدر ما تقبعت

مآلنتائج وكان مقياسه الرئيسى هو مقياس الاشتراكية الأول والأخير وهو توجيه الإنتاج لسد مطالب الناس لالجنى الأرياح.

والاشتراكية الهندية هى الوسيلة العملية لتوزيع مغانم الثورة توزيعاً عادلاً على كل الطبقات، والوسيلة لعملية لتنسيق الصراع الطبقي تنسيقاً سليماً يوفق بين مصانع الطبقات ولا يعرقل تقدم الهند وينهى بتحقيق العدالة الاجتماعية فى أرقى صورها لشعب الهند.

والاشتراكية الهندية هى النموذج المثالى لقيادة الطبقة الوسطى الآسيوية الإفريقية الجديدة، وتحققها للثورة الوطنية والثورة الاجتماعية والاشتراكية الهندية فى النموذج للقومية الآسيوية الإفريقية ذات المحتوى الاشتراكي.

ولقد تطورت الهند هى تحقيقها للاشتراكية من الدولة الاجتماعية إلى الدولة ذات الإطار الاشتراكي إلى الدولة المتجهة لتحقيق اشتراكية كاملة.

وسارت الهند من الرأسمالية الموجهة إلى الاقتصاد المختلط الذى يطلب فيه القطاع الرأسمالى إلى الاقتصاد المختلط الذى يطلب فيه القطاع الاشتراكي.

وكان صبيحاً أن يكون سير الهند نحو الاشتراكية محاطاً بالعقبات والصعوبات وأن لا يكون بالسرعة التى تتناسب مع حدة المشكلة الاجتماعية فى الهند أو بما يوازى التنافس المشروع بين الهند والصين.

ولعله إذا كانت الصين قد تفوقت على الهند فى تحقيق الديمقراطية الاقتصادية إلا أن الهند تفوقت فى تحقيق الديمقراطية السياسية

### ميثاق الاشتراكية

ولقد كان ميثاق الاشتراكية فى الهند هو مشروع الخمس سنوات الأولى فى الهند الذى صدر سنة ١٩٥٢.

وكان هدفه، الرئيسى هو

١- تحقيق الإصلاح، لاراضى وذلك بإلغاء الإقطاع ومسح الأرض لى يزرعونها تحديد العلاقة بين المالك والمزارع، تحديد الملكية ثم السير نحو الزراعة التعاونية.

٢- ترشيد الانتاج الزراعى، استصلاح الأراضى البور وزيادة إنتاج الغذاء.

٣- إقامة مشاريع الري لكبرى التى تعتمد عليها الثورة الزراعية.

٤- وضع أسس التصنيع والثورة الصناعية فى الهند.

وقد تحقق مشروع السنوات الخمس الأول، بنجاح كبير وصدر مشروع السنوات

الخمس الذي جعل هدفه تحقيق الثورة الصناعية في الهند، فصب الامتعام على إقامة الصناعة الثقيلة.

### الحياد

وإذا كانت الثورة في الهند قد استطاعت أن تجتاز بنجاح كبير طريقها في الداخل فهي قد استطاعت أن تحقق نفس النجاح في شق طريقها في الخارج.

ولقد خرجت الهند من مستعمرة لا تملك من أمر سياستها الخارجية شيئا إلى دولة كبرى وسط عالم كبير متصارع متلاطم.

وقد وجدت الهند نفسها أمام عالم انقسم إلى كتلتين جبارتين تستعد كل منهما لتدمير الأخرى ولحوما من خريطة العالم.

ووجدت الهند كلتا الكتلتين تصر على أن طريقها هو الطريق الصحيح والوحيد وليس هناك طريق آخر.

ورفضت الهند كلا الطريقين وشقت الطريق الثالث وهو الحياد.

وكان هذا تأكيداً لاستقلال وسيادة الهند التي لم تكن لتتحرر من الإمبراطورية البريطانية لتتصم إلى الكتلة الغربية أو الشرقية.

وكان ثميناً للثورة الهندية وللثورة الأفريقية الآسيوية عامة التي يجب أن تختار طريقها وتلعب دورها كاملاً.

ولقد كان الحياد يعنى من الناحية المذهبية أن لا تفرض هذه الكتلة أو تلك أيديولوجيتها وأن يكون للهند حق بحث تراثها، وتطويره ودراسة هذه الأيديولوجية وتلك، وتطعيم تراثها بما تراه صالحاً لها، وأن تخلص كل المذاهب والفلسفات بحيث تبقى شخصيتها وتراثها، وكان يعنى سياسياً حق الهند في أن تتخذ موقفاً من كل مشكلة سياسية في العالم وفق مصالحها المشروعة، ووفق مثاليها العليا السياسية.

وكان يعنى اقتصادياً حق الهند في أن تقيم علاقاتها الاقتصادية ووفق منهجها وعقيدها الاقتصادية.

وهول محور الحياد التقت كل الثورات الآسيوية والأفريقية وولدت قوة ثالثة ومنطقة سلام واسعة تلعب دوراً حاسماً في سياسة العالم وسلامة استقراره .

### التكاتف

وقد ركز الاستعماريون الذين لا يبأسون ولا يكفون أبداً - جهدهم وأملهم على الإيقاع بين الهند والصين وخلق قوتين كبيرتين متعادلتين ومتنافستين في آسيا.

ويذل الاستعماريون جهدا شاملاً متصلاً في هذا الصدد، ولكنه انتهى كله بالفشل وقد حملت الهند منذ اللحظة الأولى لواء حماية ثورة الصين والاعتراف بالصين الجديدة، وأقنعت معها كل دول اسيا بلا استثناء بالاعتراف بالصين والالتفاف لمصايتها.

وحملت الهند منذ اللحظة الأولى لواء الحملة للاعتراف بالصين في الأمم المتحدة ولا يزال مطالبا بتقليدتها للوفد الهندي في كل دورة.

وتكثرت الصداقة بين الهند والصين باللقاء التاريخي بين نهرو وشواين لاي سنة ١٩٥٤ الذي وضع أسس الدبلوماسية الآسيوية الأفريقية الجديدة ومبادئها الخمسة التي اعترفت بالباتشا سيلا.

وكان هذا اللقاء هو المقدمة لأكبر حدث في تاريخ أسيا وأفريقيا، وهو انعقاد مؤتمر باننونج الذي اجتمعت فيه كل دول اسيا وأفريقيا على اختلاف مذاهبها وسياستها ، والذي أرسى دعائم التضامن الآسيوي الأفريقي، ودعائم التعاون بين الكتلة الحيادية والكتلة الاشتراكية.

### القلاع الثلاث

وبهذا قضت الثورة الهندية على قلعة الاستعمار الكبرى في وسط أسيا، كما قضت ثورة الصين على قلعته الكبرى في شرق أسيا، وكما قضت الثورة العربية على قلعته الثالثة والأخيرة في غرب أسيا وقلب أفريقيا.



**عدم الانحياز ولد في باندونج**

---

**ويبلغ الرشد في بلغراد**

---





مجمع مؤتمر عدم الانحياز ، وفاق نجاحه كل ما توقعه مؤيديه وأذهر كل معارصيه ومن  
تشككوا أو قللوا من أهميته وجنواه  
وحقق مؤتمر بلفراد ، كل ما انعقد لأجله وذلك أنه

١- شخص مشاكل العالم الراهنة تشخيصا شاملاً موضوعيا ، لا يستطيع أن يثير  
شبهة أو حفيظة هذا الطرف أو ذاك ، بل ويعطي الفرصة لكل الأطراف المعنية ، لكي تراجع  
موقفها وتترك أخطأها ، يعير أن تفقد كرامتها أو تمس كبريائها

٢- أنه رسم طريقا للخلاص من هذه المشاكل ، لا يعتمد على الشعارات ، وإنما على  
التحجير العلمي والماريخي للمشاكل ، وعلى استعراض وحصر إمكانيات البشرية في  
تحقيق الحلول ، وضرورات البشرية الملغزمة في الوصول إلى حلول

وهي حلول لا تتحجر لنظام أو لذهب ، ولكن تقوم على الأهداف المشتركة بين شعوب  
العالم جميع وعلى الضرورات العامة للإنسانية كلها في هذا العصر ،

٣- أنه أثبت وأكد وجود قوة متكاملة ديناميكية غير ممحارة تمثل ضمير الإنسانية ،  
وصمبر العصر وهي قوة الدول غير الممحارة ، تقف حارسه للسلام ، وتقرع حراس الخطر  
حيث تشم رائحة الجور ، وتضع بكل قواها لكي تنقذ هذا السلام وتحصنه إذ ما بدت

طلّاع الكارثة وربما كانت أوروبا تشهد لأول مرة في تاريخها مؤتمرًا يضم مثل هذه المجموعة من رؤساء الدول. ولا يريد تقسيم العالم أو توزيع العالم، أو تدمير العالم، ولا يستتبع أي الوسائل في سبيل أي الغايات.

### الامكانات الحالية

وربما كانت أوروبا تشهد لأول مرة مؤتمرًا لا تسوده وتحكمه وتسيره التحالف والمبادئ التي قامت عليها سياسة وبلطيماسية أوروبا والعرب منذ «نهضته» أوروبا وساد الغرب، وهي تعاليم «طوب النكر - مكيا فيللي»..

وفي سمرات استنمع العالم كله إلى أصوات صديقة مخلص، ترى مشاكل العالم بلباتير، وتبحث عى حلول بلا ضغائن ولا أحقاد، ولا تقف واجمة أو عاجزة، وإنما ستعسى جهودها ونفرض إرادتها، وستمد حدودها لأن «الانتساع المطرد لمطابق هدم الاحياز في العلم هو البديل الوحيد الذي لا عنى عنه لسياسة تقسيم العالم إلى كتل ولسياسة العرب لباردة»

وإذا كانت باندويج هي ميلاد مجموعة الدول غير المنحازة فإن بلفراد هي «تمام الرشد» وبعد اليوم لن تحل مشكلة في العالم بغير اشتراك غير المنحازين، ولن يقطع برأى قبل معرفة رأى غير المنحازين.

### مشكلة العصر

لقد ملأت الدول غير المنحازة فراغا روحيا وسياسيا واستراتيجيا في هذا العالم. كان وجوده هو الذي يقود إلى الكارثة، وبعد اليوم لن تستطيع دولة، وإن تستطيع كتلة أن تقول أنا الحق والحق كله، أو أنا الخير والخير كله، وإن تستطيع دولة أو كتلة أن تتهم الأخرى بأنها الباطل ولا شيء غير الباطل، وأنها الشر والخطيئة، وملعون من يتبعها أو يلحقها

وأصبح في العالم حكم نزيه، ويمسك هذا الحكم في يديه ميزانا حاسما، ولأحكامه قوة ملزمة لا ينجاهلها أحد، وهي قوة الوعي بين الشعوب «ووعي الشعوب هذا في طريقه إلى أن يصبح قوة معنوية عظيمة قادرة على أن تباشر نفوذا فعالا في تطوير العلاقات الدولية». إن مشكلة العصر الأولى هي الانقسام الكبير بين دولة الكبرى إلى كتلتين، تمثل كل كتلة منهما فلسفة، ونظاما ومصالح وطريقة حياة كاملة، وترى كل كتلة منهما أن هذه الفلسفة والنظم وطريقة الحياة هي التي يجب أن تسود هذا العالم اجلا أو عاجلا، وأن العقمة الوحيدة في سبيل ذلك هي الكتلة الأخرى، وأنه لهذا لابد من إزاحتها والقضاء

عليها، بالسياسة والحرب معاً. ولهذا تحولت الكتلتان إلى «تجمعات عسكرية واقتصادية وسياسية تزداد قوة وتثير حتماً بحكم منطق وطبيعة العلاقات بينهما تفاقماً في العلاقات الدولية بين وقت وآخر، وأن الحرب الباردة والخطر الشديد الدائم من تحولها إلى حرب فعلية إنما أصبح جزءاً من الموقف الراهن في العلاقات الدولية»

### كليف بدأت

وفي خلال الحرب العالمية الأولى وقع الحدث الذي قلب كل موازين القوى، ومقاييس التوازن، وهو الثورة الروسية، ولم تكن هذه الثورة مجرد تغيير في «نظم الحكم أو انتقال السلطة من فئة إلى أخرى، ولكنها كانت قلماً لكل الأسس والقيم التي قامت عليها السياسة والاقتصاد والاجتماع في الغرب، وفدمت عقيدة جديدة، ونظماً جديدة وسياسات أخرى كانت في مجموعها تحد يهدد كل الأسس والنظم التقليدية

«بأن قيام الثورة الروسية أصبح الصراع الأوروبي في مجمله صراعاً من نوع جديد، لم يعد صراعاً بين مصالح ومصالح دول ذات نظم وأسس واحدة ولكن صراع بين مذهبين ونظامين ومجتمعين كل منهما يقيم الآخر وهما الرأسمالية والشيوعية.

وكانت المعركة القادمة والفاصلة هي معركة بين «الرأسمالية» وبين الشيوعية لولا تدخل عامل جديد هو الفاشيستي.

وكانت الفاشيستي مذهباً ونظاماً ومجتمعاً جديداً يتحدى الرأسمالية ويتحدى الشيوعية، ويريد القضاء على كليهما وفرض فلسفته ونظمه وسياسته على العالم.

ومند ظهور الفاشية أصبح هم الرأسماليين أن يذكوا الصراع بين الفاشيست والشيوعيين وأن يجعلوا المعركة تشب بينهما لتقصي عليهما.

وأصبح هم الشيوعيين أن يذكوا الصراع بين الرأسماليين والفاشيست لتتشب الحرب بينهما وتقصي عليهما.

وبدأت عجلة التاريخ بشكل آخر، ووجد الرأسماليون والشيوعيون أنفسهم في صف واحد ضد عدو مشترك هو الفاشيستي، وكانت الحرب العالمية الثانية صراع مذاهب ونظم وكثل كما كانت صراع مصالح ومطامع وأحلام سيادة عالمية.

### بعد الحرب

وحينما انتهت المعركة ضد الفاشية وجد الرأسماليون والشيوعيون أنفسهم في مواجهة بعضهما مرة ثانية كمذهبين ونظامين ومجتمعين، لا حياء لأحدهما إلا بالقضاء على الآخر أصبحت الرأسمالية في كل مكان تهدداً للشيوعية في كل مكان وأصبحت الشيوعية في

أى مكان تهديدا للرأسمالية فى كل مكان.

وأصبح هم الرأسماليين فى كل أرجاء الأرض هو تجميع قواهم وتنسيق مواردهم وأعداد مدافعهم للمعركة الأخيرة والحاسمة، وأصبح هم الشيوعيين ومحو سياساتهم هو التجمع والتكتل وتسليح لدفع خطر الغناء القادم.

وهذا الاستعداد لإلقاء بعضهم هو ما سعى الحرب الباردة، وهى كانت مؤدية حتماً إلى حرب ساخنة لولا تدخل عوامل أخرى أقوى من إرادة الدمار والغباء.

ظهرت مجموعة الدول غيرالمحاربة فى آسيا وأفريقيا وأسيب وأفريقيا وقد أقامت الدول الرأسمالية ثرائها وسيطرتها على حساب استعمارها واستغلالها، للموارد الاقتصادية والمشرية لثلاث قارات منخفضة هى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وقد همت شعوب هذه القارات وقررت أن تنفض أغلالها وقيدوها وأن تخترق ستار الظلام والنسيان الذى فرض عليها وأن تلعب دورها وتحمل رسالتها إزاء شعوبها وإزاء المجتمع العالمى كله.

### قوة جديدة

وكان خروج هذه الدول، صرنا قاصمة قلمت أظافر الدول الرأسمالية التى اعتمدت على مواردها ومواقعها وأعمالها فى تدعيم سيطرتها وسيادتها.

وإد طرحت هذه الدول السيطرة الاستعمارية والرأسمالية ولم تنطو تحت الكتلة الأخرى، فقد مررت محافظة على بقائها، وحفظا للسلام فى العالم أن تضام وتتكاتف ، وتقف حاجزا وسدا عازلا يمنع اصطدام الكتلتين.

كانت الدول غير المحاربة دولاً صغيرة خرجت من قرون طويلة من الاستغلال والاستعمار، وتريد أن تنعم بالحرية والرخاء الذين حرمتها ربما طويلاً.

وكانت الدول غير المتحاربة دولاً جديدة، ذات نظم جديدة ومبادئ جديدة ، بل وكانت تجارب جديدة مريدة فى تاريخ الإنسانية، وهى تريد إنشاء هذه التجارب ، وتزيد تحقيق منلها وقيمتها.

لم تكن الدول غير المتحاربة ، تريد أن تفرض مبادئها أو نظمها على العالم أو ترى أن لايد للإنسانية أن تسلك هذا الطريق أو تعتنق هذا المذهب، ولكنها كانت تريد أن يكشف كل شعب بنفسه عقيدته وطريقه وأن يخلص نفسه كل تحاربه.

### جيش السلام

كان السلام بالنسبة للدول غير المتحاربة عقيدة وضرورة وكانت الدول غيرالمحاربة هى الجيش المثالى لجهاد من أجل السلام.

ولأول مرة في التاريخ ظهرت على المسرح الدولي مثل هذه القوة المتناسكة المتضامنة ولأول مرة في التاريخ تقدم مثل هذه المجموعة المتفاهمة المتناسقة من القادة، من رجال مجتمعين بين الحكمة والنجربة والحركة ويعبرون عن شعوبهم، وعن ماضيها ومستقبلها وتراثها، بقدر ما يعبرون عن المثل الإنسانية عامة

ولأول مرة في التاريخ ظهرت مجموعة من الدول والشعوب، تحتفظ كل منها بديانتها كاملة وسيادتها كاملة ومثلها ومصالحها كاملة، ومع هذا يجمعها أكبر قسطن مشترك من الإيمان والإخاء والسلام والتعاون.

ولأول مرة في التاريخ، ظهرت أسس جديدة إنسانية مثالية في العلاقات بين الدول، وظهرت مجموعة من الدول لا تترصص أحداها بالآخرى، ولا تحتقر إحداها نظم أو قيم الأخرى ولا تطلق إحداها قلدتها وعلقتها دون الأخرى ولا تود إحداها قياء وامقراض الأخرى، ولكن تتعامل جميعها وتتفاعل جميعها، وتتبادل جميعها ما لدى كل منها من ثقافات وعلم وتجارب وموارد

### النموذج التاريخي

وهكذا قدمت الدول غيرالمنحازة نموذجا للأسرة الدولية وكيف ينبغي أن يكون، وللعلاقات بين الدول والشعوب، وعلى أي الأسس ينبغي أن تقوم وتطعن كل شعوب العالم شعوب الدول الكبرى والصغرى على السواء إلى هذا المثل، لقد خاضت البشرية حربين عالميتين في خلال أقل من نصف قرن، ورأت البشرية القتلان والأهوال والجرائم، مااستقر إلى الأبد في ضمير الشعوب، ومن الصمق والهنون أن تستعد البشرية لحرب ثالثة أشد هولا وفنكا.

ولقد أدركت البشرية من خلال هذين الحربين، ومن خلال الاستعداد للحرب، يستطيع أن يحقق الرخاء والسلام والحرية، لغاليتها العظمى التي ترسف في ألال الجوع والفقر والمرص والعبودية.

ولقد أدركت البشرية أن الدفاع عن الحرية وعن الإنسان، الذي يستعد الكل للحرب باسمه، لا يمكن أن يتم بتدمير الإنسان أو القضاء نهائيا على الإنسان إن الحرب أصبحت تعنى نهاية الحياة ونهاية البشرية.

وإذا كان ظهور مجموعة الدول غير المنحازة، ونموها، هو العامل الإيجابي والأول في معركة السلام، فإن هناك عاملا آخر ملحقا ولكن هامسا في هذه المعركة، وهو تغير أساليب الحرب.

والحرب هي حسب التعريف التاريخي لكلا وسفتر «امتدادا للسياسة بشكل آخر» أي أن الحرب لابد أن تحقق هدفا أو غاية ، وتكون تعبيرا من سياسة معينة ، ولا يمكن أن تكون الحرب نزوة أو هواية أو انفجارا عاطفيا .

وقد كانت الحرب تقوم لأنها الحل المباشر للمشاكل، ولأنها كانت تنتهي دائما بانتصار أحد الطرفين المتحاربين وهو انتصار يمكنه عن أن يعنى شروطه، ويصوغ حياته وحياة خصمه وفق مخطاهه.

وقلت الأسلحة الجديدة اللزبة والنوية هذه الأسس لقد وصل التسابق في التسليح القوي والنوي بين الكتلتين حدا جعل الحرب لا يمكن أن تحقق غرضا ولا يمكن أن تحل مشكلا، لأنها لن تؤدي إلى غالب ومغلوب.

### الغناء المتبادل

ولقد مكن التسابق في التسليح القوي والنوي وأمريكا والكتلة الرأسمالية أن تملك الأسلحة الكامنة لجو وسحق روسيا والكتلة الشيوعية كلها. ويمكن هذا التسابق لروسيا والكتلة الشيوعية أن تملك ما تقني وتبيد به أمريكا والكتلة الرأسمالية عن آخرها.

وإن تؤدي الحرب بينهما إلى انتصار أحدهما بل إلى استراضهما معا، وربما إلى انقراض البشرية كلها.

ومهما تفوقت إحدهما على الأخرى في نوع الأسلحة أو في حجمها إلا أن هذا لن يعبر شيئا من النتيجة ، إلا أن تقني أحدهما قبل الأخرى يبضع بفائق أو ثوان.

وقد أصبحت هذه بديهيات يعرفها الجميع من أكثر قائد إلى أصغر جندي في كل جيش من جيوش العالم، وأقصى ما وصل إليه في الحرب في ظل هذه الأسلحة هو ما ابتدعه المرحوم دالاس وهو السير إلى حافة الحرب والنظر إلى الهاوية ثم الرجوع بمهارة، وأصبح الانتصار في الحرب هو أن لا تحون الواقف على حافة الهاوية أعصابه أو ييذي مرعا أو هلعا أو ينسحب بلا مهارة فتتأكد عليه الهزيمة "

### ميزان الرعب

وهكذا أصبحت الحرب «ليست أسلويا باندا فحسب وإنما هي جريمة ضد الإنسانية» وهكذا أصبحت «لا تهدد البشرية من قبل معواقب أوحش مما تهددها اليوم»

إن كل سياسي وعسكري في كلا الكتلتين يعرف تماما ما سوف تؤدي إليه الحرب، وهادما يجعل الحرب مستحيلة ، ولكن تكسب الأسلحة الثرية والنوية والسباق على احتراعها وانتقانها، والمبرينات المستمرة على النهب والرجوع من حافة الحرب وفي ظل

أزمات حادة عنيفة ، كل هذا لا يلقى نهائيا احتمال وقوع الحرب، وانفجار الهول الأكبر. وهكذا تعيش البشرية في ظل رعب دائم وشامل ويكون الضمان هو أن هذا الرعب متبادل، وأن الكارثة ستوزع بالتساوي وهي حالة أصبحت تسمى في القاموس السياسي «ميزان الرعب».

والحياة في ظل ميزان الرعب هذا هي نوع من الدمار ومن الإفلاس الروحي ، وهي قضاء بطل على كرامة وطمأنينة ، ومعنوية الإنسان، وهي سلبية مريعة تؤدي إلى الانتحار. وقد رأت الدول غير المنهزمة أن تحقيق السلام لا بد وأن يبدأ ، بالقضاء على «ميزان الرعب» هذا ، لا بد من إزاحة الرعب المتبادل، وإحلال التفاهم المتبادل ،لا بد من تشديد إرادة الفناء وإرادة الانتحار وإحلال إرادة البقاء وإرادة الحياة. لا بد من استبعاد الحل المنمر السلمي، والوصول إلى حل إيجابي إنشائي خلاق.

وقد قلست الدول غير المحاربة أبعاد هذا العالم، ووجدت «إنه لم تنهياً للبشرية في أي وقت مضى قوى أشد مما أتيت لها اليوم للقضاء على الحروب كأداة سياسية في لعلاقات الدولية»

### التعايش السلمي

ووجدت أن هناك بديلا للحرب هذه «هو» مبادئ التعايش السلمي وهي هذه الظروف البديل الوحيد للحرب الباردة والكارثة الذرية الشاملة المحتمل وقوعها.

ووضعت الدول غير المنهزمة أشمل تعريف وضع حتى الآن للتعايش السلمي وهو «أن المبادئ التي تتضمن حق الشعوب في تقرير مصيرها وحققها في الاستقلال وفي حرية تقرير أشكال وأساليب تطورها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي يجب أن تكون الأساس الوحيد لكافة العلاقات الدولية، وأن التعاون الدولي الفعال في ميادين التبادل المادي والثقافي بين الشعوب هو وسيلة ضرورية لتقوية الإيمان وقيام التعايش السلمي بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة وفي هذا الصدد يؤكد المشتركون في المؤتمر أن سياسة التعايش تعني بذل جهد فعال للقضاء على صور الأوصاع التاريخية غير العادلة كاستطهاد الشعوب وتكفل هذه السياسية في الوقت ذاته لكل شعب تطوره المستقل ولما كانت البلاد المشتركة في المؤتمر تدرك أن اختلافات في العقائد هي بالصورة جزء من نمو المجتمع الإنساني، فإنها تعتبر أن على الشعوب والحكومات أن تمتنع عن استخدام هذه العقائد كأداة هي شئ حرب باردة أو ممارسة أي ضغط أو عرض لإرادتها».

إن التعايش السلمي يعني أولا أن تتحرر إرادة كل الشعوب، لكي يختار كل شعب



طريقه وعقيدة حياته وتعني أن يعترف كل شعب، بحق مماثل لكل الشعوب الأخرى، ويعني أن يقوم التعاون بين الشعوب والنول على أساس احترام كل شعب لاستقلال وسيادة الآخرين، وعلى أساس فهم كل شعب لوجهة نظر كل شعب آخر، ومواجهة المشاكل والعقبات على أساس الفهم المتبادل والرغبة المشتركة في الوصول إلى حل. والتعايش السلمي يعني بالنسبة للكثنتين أن يحتكما إلى شعوب العالم، ويحتكما إلى التاريخ لا إلى السلاح.

ويعني أن تتنافس الكتلتان تنافسا إيجابيا في شرح وعرض مزايا فلسفاتهما وتنظيمها وتراثهما، وفي مزايا الحلول التي يقدمانها لمشاكل العالم كله ولشاكل الإنسان الحقيقية، الجوع والمرض والحقوف ويتركها للإنسانية كلها أن تختار، ويتركها للتاريخ أن يثبت أيهما على صواب.

إن التعايش السلمي يعني أن يقلل كلاهما وجود الآخر كمحققة باقية دائمة وأن يحاولا ابتداء دبلوماسية جديدة وسياسة جديدة، تكفل لهما اللقاء متجاورين وتكفل لكل منهما مهم الآخر، والتفاعل الهلالي والجدل الإيجابي مع الآخر، وتيسر لكل من يريد من عندهما الوصول إلى حل أو اكتشاف حل للمشاكل القائمة وتدعم التبادل الثقافي والعلمي والاقتصادي، بينهما، إن هذا يؤدي إلى نوبان الكتل، واسترداد كل شعب لارادته كاملة، ويعني أن لا يبقى هناك تابع ومنيعوع، بل دول وشعوب مستقلة متحررة تؤمن بالسلام والحياة وتجمعها جميعا وعلى قدم المساواة منظمة تتطلع إليها البشرية كلها وهي الأمم المتحدة.

مالا نتعلمه من الهند

---



ذات يوم في وزارة التخطيط الهندية قال لي أحد كبار موظفيها «إن أحسن ما تتعلمه الشعوب من الهند هو أخطاؤها ليس هناك خطأ لم يرتكبه ونحن نحاول أن نطبق الاشتراكية.. ويهيا لي إننا دفعنا ثمن «الرائد» وكل ما يدفعه الذي يدخل غير مستعد إلى طرق مجهولة».

ومضى الموظف الكبير بصراحة الهند ويساطتهم يقول «خير ما تعلمه الهند، وحير ما تتعلمونه من الهند، ربما هو كيف يجب أن لا تكون الاشتراكية وهذا لا يعني بحال إننا غيرنا طريقنا الخاص إلى الاشتراكية أو أننا لن نصل .. فليس هناك شعب يحب الحياة مثل شعبنا «الراهد» هذا، وليس هناك شعب يتشبث بشخصية مثل شعبنا الوديع المسالم هذا».

وأخطاء الاشتراكية في الهند كثيرة، ولكن لعل أولها وأهمها هو.. الإصلاح الزراعي ولقد حكم البريطانيون الهند، عن طريق الإقطاعيين، والمهراجات والنواب، والنظامات، ثم الرامندر والهجيردار والمهلادار.. إلخ. وحيثما قضوا على إمبراطورية المغول والارسنقراطية «الوطيدة المعولة» ورعوا الأرض على أرسنقراطية جديدة. حكمت الهند واستعلتها في ولاء وتقان تام وعريف للبريطانيين..

وهيضا بدأت الحركة الوطنية، اتجه غاندى رأسا إلى القرية حمل لعصا والمغزل والمعزة وطاف قرية قرية، مشى على رحليه ليزور نصف مليون قرية تقريبا، لأن وطاة الاستعمار والاستغلال الكبرى كانت تقع على «الفلاحين» وعاسدى لم يكن درويشا أو سانجا أو يسيره إلهامه، ولكن كان استراتيجيا وتكتيكا ثوريا من الطرار الأول.. كان يعرف أن القوة الثورية الأولى فى الهند هى الفلاسور، ويوم يصل إلى قلوبهم ويوقظهم ويشيرهم. فقد استقلت الهد وقد استطاع، تحدث معهم بلغة هندية ونفذت إلى روحهم «الهندية» ووضع يده على مفاتيحها وأسرارها

وبعد الاستقلال.. كان القضاء على الإقطاع فى الهند هو المهمة الأولى والرئيسية، وكان يجب أن يكون قضاء مبرما، حاسما، فليس هناك طيقة خات بلادها، و سطهت وبطشت بشعبها مثل الإقطاعيين الهنود.. وكانت النظم الإقطاعية الهدية نطما تزرى بما كان سائدا فى القرون الوسطى، بعضهم كان يملك ملايين الهكتارات، ولا يلتزم بشئ إلا بدفع الضرائب للحكومة، ثم يمنحها من الباطن للترزم وهذا للترزم أجر، حتى يبلغ الوسطاء أحيانا، عشرين أو ثلاثين «حانزا» يعمل لحسابهم جميعا الفلاح الهدى.

ولكن قوانين الإصلاح الزراعى أولا صدرت على هيئة توصيات من الحرب للحكومات الإقليمية هى التى تصدر هذه القوانين وتطبقها، ولما كانت النظم الزراعية ونعم الملكية تختلف من كل ولاية إلى الأخرى، فقد احتلفت قوانين الإصلاح الزراعى، من ولاية إلى أخرى واستطاع الإقطاعيون الذين يتمتعون بنفوذ كبير لارال فى الحكومات الاقليمية، ولدى «بيروقراطية» الريف أن يعيشوا فسادا فى تطبيق وتنفيذ هذه القوانين بحيث أصبحت تكاد تكون حبرا على ورق.. وبعضهم كان أشد جراءة و«صفاعة» فقد أقاموا الدعوى أمام المحكمة العليا الاتحادية، وأمام المحاكم العليا للولايات، يطعنون فى دستورية قوانين الإصلاح الزراعى، وفي صافاتها «الديموقراطية» وحقوق الإنسان، ووجدوا بين كبار المحامين وكبار القضاة.. من يدافع عنهم ويحكم لهم، ولم تستطع الحكومة مواجهتهم إلا بتعمير الدستور كله. ولم يصم قانون الإصلاح الزراعى لهدى على تحديد الملكية، وإنما نص فقط على إلغاء «الوسطاء» فقط بين الملتزم والفلاحين. ولهذا استطاع عدد كبير من هؤلاء الملتزمين أن ينطص من الوسطاء وأن يتسلم الأرض كلها.. وأن يزرعها أو يؤجرها لأقارب أو فلاحيه المختارين، ولهذا اصسحت القوانين تكاد تكون معبر فائدة.

وحينما أدركت الحكومة أنه لابد من تحديد الملكية، وإقامة حد أعلى للملكية وتوزيع

الباقى على الفلاحين أسرع هؤلاء الإقطاعيون وهم يعرفون اتجاه الحكومة، ويعرفون القوانين قبل أن تصدر وياعوا أراضيهم بيعاً صورياً... لأقاربهم أو ذويهم أو حنائلهم، وبذلك - ضاع الغرس من القانون مرة أخرى..

وفي نفس العام سنة ١٩٥٩ الذى أصدر حزب المؤتمر توصياته بتصفيد الملكية فيه، أصدر أيضاً توصية بالزراعة التعاونة والتجميع الزراعى. أن ٨٠٪ من الملاك عشنا أقل من خمسة أفدنة .. بل ويعصهم يملك مزارع لا تريد عن بضعة قراريط، ومثل هذه الزراعة الفردية الصغيرة المتخلقة لا تتفق والتصنيع والاشتراكية ورفع مستوى العرد، وأوضح قرار حزب المؤتمر أن الزراعة التعاونة والتجميع الزراعى لا يعنى بحال إلغاء الملكية الفردية، وإنما تنظيم وترشيد الزراعة ومع هذا أثاروا صجة كبرى في الهند، بل وقاموا بتكليف حزب سياسى جديد هو حزب السواتنابراه أئى الحرية، وترأسه أحد زعماء حزب المؤتمر السابقين وأول حاكم عام للهند المستقلة ، وهو «راجا جوبيا لانشاريه» لأن حزب المؤتمر لم بعد بضم مصالحهم . وأعلن الحرب الجديد أن الزراعة التعاونة ضد الحرية والديمقراطية وتراث عابدى، وأن رسالته هى مكافعتها .

وبهذا فإن الإصلاح الزراعى الذى كان يجب أن يُلخَذ فى الهند شكل ثورة راعية ويقلب رأساً على عقب كل علاقات الحياة والمجتمع فى الريف، قد تحول فى معظمه إلى إجراءات قانونية ونصوص هلم سقل من حيز التشريع إلى التطبيق، والمطأ الثانى الكبير هو تحديد دور وحدود القطاع الخاص..

وقد أشنت التجربة الهندية أن التعايش بين القطاع الخاص والعام، هو افتراض نظرى، لأن الرأسمالية لا تغير من طبيعتها، والرأسماليون، قلما يدركون تغير الظروف، أو يقبلون الانصياع لتقلص السلطة والثروة وما لم يكن القطاع العام قويا ومهيما وموجها توجيهها حقيقيا، فإن مهمة القطاع الخاص تصبح إعلان الحرب عليه حتى أُنات قشله.

وقد أرادت الهند أن تستغل فترة الطنقة الرأسمالية الهندية التامية على الإنتاج، وأعلنت أن اقتصادها سيكون اقتصادا مختلطا، وكانت نسبة القطاع العام إلى القطاع الخاص فى مشروع الخمس سنوات الأولى هى النصف، وفى المشروع الثانى فى ٥٤٪ عام إلى ٤٦٪ / خاص وفى الثالث، ٦٠٪ عام إلى ٤٠٪ / خاص.

ولكن مد اللحظة الأولى.. نشبت الحرب الباردة بين القطايع واشترى القطاع الخاص كل الصحف الهندية تقريبا وسخرها للدعاية له، ولتقد وتسفخ القطاع العام وهذا أحد عجائب الهند واستطاع محبرته الاقتصادية والمالية أن يضع كل العرافيل أمامه .. استطاع

مثلا ، بالمرتببات الكبيرة المغرية أن يجتذب معظم المديرين الأكفاء واستطاع بسيطرته على « البيروقراطية الهندية التي تدير القطاع العام أن يعرقل ويبطئ خطواته، واستطاع بنهوضه لدى بواشر «الرأسمالية العالمية» أن يجعل المساعدات القريبة، مشروطة بأش تذهب كلها أو معظمها للقطاع الخاص وكل الحطأ الثالث هو التصامح إزاء الرأسمال الأجنبي.. ولعل من أغرب الحقائق أن الرأسمال الأجنبي في الهند المستقلة الاشتراكية، هو ضعف الرأسمال الأجنبي الذي كان مستثمرا في الهند المستعمرة والأرباح التي تخرج من الهند هي ضعف ما كان يخرج منها أيام الاستعمار ومهما تخفى هذا الرأسمال تحت واحبات هندية أو اشترك في استثمارات مختلطة مع الهنود، إلا أنه لا زال أجنبيا هي مصالحه وهي تنافيه مع مصالح الشعب الهندي.

والخطأ الرابع هو الجهاز الحكومي الهندي، وهو جهاز رهيب، أنشأه الاستعمار البريطاني، في خلال قرن ونصف الاستعداد واستنزاف دم الأربعمائة مليون هندي، وامتد كخطبوط من العاصمة حتى كل شبر في الهند، وأصبحت له أساليب وتقاليده وتراث، تكون جيلا بعد جيل، ورسخت لديه أفكار وآراء زرعا في أعماقه صانعة المستعمرون..

وبعد الاستقلال، كان أول ما تحتاجه الهند هو «ثورة إدارية» تطيح بهذا الهرم الجاثم وتستبدل نظمه وأشفاصه، بوطنيين وأكفاء.. ولكن حرب المؤتمر لم يكن يملك العناصر المبرية التي تصلح.. «كتا مهيجين ومكافحين ولم نعلم أسرار الحكم والإدارة ولم يكن ممكنا» وهو ليس مجورا كافيا.. ولكن السبب الحقيقي، هو أن هذا الجهاز الإداري لم يتناقص كثيرا مع مصالح «اليمن» في حرب المؤتمر وأثبت ولائه له فور الاستقلال حتى لقد قال ديساي مرة «أن من نعم الحكم البريطاني أنه ترك لنا هذه الإدارة وبذلك لم تقع الهند في براثن الفوضى!

وهذا الجهاز هو الذي ينقد ويدير اقتصاد وسياسة ودبلوماسية الهند، وهو يكافح باستماتة لتظل الهند في فلك الغرب، وذات يوم نقل نهرو سفيرا هنديا في عاصمة عربية، لأن تقاريره إلى وزارة الخارجية الهندية كانت تتفق مع وجهة النظر الإنجليزية في المشاكل العربية تماما وبالبحت أنضج أن هذا السفير «الهندي» كان سكرتيرا «السفير البريطاني في هذه العاصمة، حينما كان البريطاني موطفا كبيرا في حكومة الهند البريطانية» والخطأ الخامس كان الجهاز السياسي.. وقد أثبت حزب المؤتمر أن التنظيم السياسي الذي يحقق الاستقلال.. ليس هو التنظيم الذي يحقق الاشتراكية إلا لو تمت فيه تغييرات جذرية وثورية.

وقد كان بهرو نفسه يقول إذا لم تؤد الديمقراطية إلى الإشتراكية فلا معنى للديموقراطية وأنا على استعداد لأصحى بها .  
ولييه فعل.

وتحقيق الاشتراكية بالطريق الديمقراطي، كان يستدعي حزبا جماهيريا حقيقيا، ذا قيادة وطلايعة اشتراكية حقيقية بين العمال والفلاحين والمتقنين وإذا برنامج أصبح يستطيع أن يكسب الانتخابات وأن يحصل على أغلبية ساحقة وأن يقود المعارك السياسية في البرلمان وحارجه لإقرار وتطبيق القوانين الاشتراكية وحمايتها بالوسائل الدستورية.

ولكن أعداء الاشتراكية في حزب المؤتمر كانوا أكثر من أعدائها في خارجه. وكان بهرو يدرك هذا «وكان كما قال لي أحد المفكرين منه يوما «يتفرز من هؤلاء الذين يبنسون كل يوم في وجهه ويرددون شعاراته ويعملون ما ينأهيا «ولكنه كان معتز بالحزب كاستمرار لتاريخ وتراث الهند، وكأعمود العقري الذي حفظ وحدة الهند المهددة دائما بالآخطار.. وكان يكافح لكي يظهر «الحرب من هؤلاء، ويضم له جيلا جديدا وبما جديدا .

وحيثما يستولى اليمين على حزب الأغلبية وحيثما تتفتت أحزاب المعارضة الاشتراكية والشيوعية، وحيثما تتوافر الحرية لأحزاب التعصب والرجعية ، مثل حزب العان سار، الذي يدعو «الهند للهندوكيين فقط» وحيثما يستطيع الإقطاعيون، وكبار الرأسماليين والمهراحات أن يؤلفوا حزبا حديدا. وأن يسموه حزب الحرية ويكسبون به مقاعد في البرلمان.. كانت مرشحة هذا الحرب هي «المهراني جايپور» وكسبت.. مقعدا في ولاية راجستان .. فلا يمكن أن تتحقق الاشتراكية عن طريق هذه الديمقراطية. ولكن هذا لا يعنى بحال.. أن الهند لن تكمل طريقها إلى الاشتراكية

وكما اكتشف عابدي طريقها الفاص إلى الحرية وقادها من خلاله. وكما اكتشف بهرو طريقها إلى الاشتراكية ووضع أقدامها على بدايته فسوف تنجب الهند من يعبر بها باقي الطريق.





نهرو.. انتهت الرحلة!

---



حينما قتل «غاندي» نهب نهرو على الفور إلى دار الإذاعة ، وارتحل رثاءه لشهيد  
«أيها الأصدقاء والرءاء إن النور قد انطفأ من حياتنا ، والظلام يلف كل شيء» . إن قائدنا  
المحبوب بابو أبو الأمة ، لم يعد معنا ، وربما كنت محطناً في هذا ، ولكننا لن نراه بعد اليوم  
كما رأيناه طوال السنين الماضية ، لن نهزع إليه فنلمس النصيحة ، ونسأل عن الطمأنينة  
وهذه ضربة قاصمة ، ليس لي وحدي ، ولكن للملايين والملايين في هذا البلد ، وأنه لن  
المصير تخفيف الصدمة ، بأي نصيحة أقدمها أنا أو يقدمها غيري» .

ومضى نهرو يقول «لقد انطفأ النور ، في الوقت الذي كان لا زال أمامه الكثير ليحققه ،  
فإن أحداً مما لم يكن يستطيع أن يتصور أنه قد أصبح غير ضروري لنا ، أنه قد أدى دوره  
ومهمته ، بل إن نهاده الآن والمشاكل نحيط بها من كل جانب ضربة فظيعة ، أقطع من أن  
تتمثل . لقد وضع مجنون نهاية لحياته . لأنه كان هناك سم ينفث في حياتنا طوال السنين  
والشهور الماضية» .

وحينما انعقد البرلمان الهندي بعد الحادث توقف نهرو ليقول «إن مجداً عظيماً قد  
غادرنا ورحل إن الشمس التي أشرقت في حياتنا وملاكتها بالندف قد غابت ، وبها نحن  
مرتجف في البرد والظلام واستمررت قاتلاً» لقد ارتفع بهذا البلد في خلال الثلاثين عاماً

الماضية، إلى أفق من السمو والتصحية، لم يرتفع إليها أحد في مكان آخر ، لقد كان هذا نجاحه، ومع هذا، فقد حدثت أشياء في النهاية، كانت تجعله بلا شئ يتكلم أشد الأكم وأقسامه، وإن ظل وجهه الرقيق يحمل ابتسامته، ولم ينس بكلمة واحدة جارحة.. ولكنه تكلم ، لاند.. تكلم لأن هذا الجيل الذي رباه والذي دبره قد فشل، وقد حاد عن الطريق الذي أرانا إياه.. وأخيرا امتدت يد من أسننه. وهو ككل هندي ابن له، فوجهت الضربة التي وضعت النهاية» : لقد كان أعظم رمز للهند شخصية، واسمحوا لي أن أقوله، وللهند المستقلة، ونحن نقف الآن على حافة الخطر. في الحاضر، بين ذلك الماضي وبين المستقبل، ونحن نواجه كل أنواع الخطر ولكن أشدها أحيانا هو فقدان الثقة، وخور القلب والروح حينما يرى مثلبا العلماء مطروحة بعيد . حينما يرى الأشياء العظيمة التي طالما تكلمنا عنها أصبحت كلمات فارغة وأن حياتنا تأخذ طريقا آخر . ومع هذا فإنني لأرجو أن تكون هذه الفترة عارضة مؤقتة وأن تمر وتحنى سريعا.

وحيثما مات نهرو، لم يكن هناك من يستطيع أن يرثيه هذا الرثاء . وإن كان لا زال يطبق عليه هو، ولا شيء ينطبق مثله، لقد وقف هو بعد عام من مقتل عاندي ليقول «إنني أحس باليتم ولا زالت الهند كلها يتيمه» ولكن ربما كان اليتم الحقيقي هو اليوم، وفي ذلك الحين كانت الهند كلها مثقلة بالجريمة ولكن كان الإحساس أن المهاتما قد ذهب، وقد قتلناه، ولكن بقي لنا جواهر لال، وسوف يخلصنا ويقتنا ويمسح الحطينة. ولكنه هو الآخر قد ذهب ، ولم يفعل، ويكمل المهمة.

لقد مات «القديس» بحسرة عيقة لا شك ، لأن الجيل الذي طمه والذي سماه والذي قاده إلى أفاق عليا من الكفاح والتضحية قد فشل.

كان عاندي يريد أن يحرر الهند بالحرب وبلا عتف، أن يحب الهنود بعضهم . وأن يحبوا حتى أعدائهم، مستعمرهم ومستعبلهم، ويقوة هذا الحب، وبالصلاية الداخلية والروحية سوف يقهروا ضعفهم، وسوف يقهروا أعدائهم.. ولن يؤذوا كائننا، ولن يريقوا قطرة واحدة من الدم.

واستطاع غاندي أن يحقق المعجزة. كان هذا يبدو، صلوات وتراتيل كاهن، لا عقيدة واستراتيجية أساسية وقائد شعب ، ولكن «شخصية» عاندي.. جعلت مبادئه ، حقيقة وقوة دفع.. توري حول عاندي صعب الهند ، التي جردها البريطانيون كما لم يجردوا أحدا من كل شيء. إلى قوة واحتمال وحول غاندي استسلام الهند التي سحقها البريطانيون كما لم سحقوا أحدا، إلى صمود، ومقاومة..

## واستقلت الهند..

ولكن نتيجة الاستقلال كانت مفزعة لقد شطرت الهند إلى شطرين ، في «عملية جراحية وحشية لم يعرف لها مثيل في التاريخ» كما قال نهر «لم يكن هناك طريق للتخلص من دين الشطرين، مراكبي مكبونة كانت تخفي طوفاناً من الحقد المسموم . لم يتصوره أحد، وقتل الهندوس ملايين من المسلمين، وقتل المسلمون الملايين من الهندوس وكلهم طمعا «هود» «أساؤ» وأبناء الحيل الذي «رباء» بالذي فشل.

وعصفت النساء بكابه. وبكل ما عاش من أحله وكتب «يقولون لي أن حياتك قد ذهبت هباء وأن الريح قد حملت ويدت كل ما حققت، ولكني سأنزل أومن بالهند وبالإسنان» ولكنه لم يظل كثيراً فإن السم سرى حتى وصل إلى باب صومعته، وانطلقت ثلاث رصاصات «هندوكية» لتضع حداً لحياته «وانتهت رحلته الأخيرة، آخر مرحلة في طريقه المقدس، وطوال خمسين عاماً هام عائد على وجهه في كل أرجاء هذه البلاد، العظيمة، من الهماليا وجبال الشمال الغربي ومن المراهما ووترا والشمال الشرقي حتى الكانبا كوماري في أقصى الجنوب، لقد زار كل ركن في هذا البلد، ولم يذهب كسائح يتسلى، ولكن لكي يتعلم كيف يخدم شعب الهند.. وربما ليس هناك هندي في تاريخنا كله قد طاف الهند وعرفها كما فعل هو، وربما ليس هناك في تاريخنا كله، من عرف «الشعب العادي» يعمل هذه المعرفة، ومن بذل حياته من أجلهم بمثل هذه التضحية . والآن انتهت رحلته في هذا العالم.. وإن كان لارال علينا أن نسير وإلى حين؟

ولكن قبل أن تنتهي الرحلة برمن طويل، كان غاندي قد اختار وانتقى «أنته وخليفته» وأعلن أن «جواهر لال ابني وخليفتي» ورغم المعارضة الشديدة أصر «أن جواهر لال ابني وخليفتي إنهم يقولون لي أنت هندوكي مؤمن وهو لا يؤمن إلا بالعقل، وأنت نباتي متشعب وهو يأكل اللحم، وأنت فردي تؤمن بالمعرة والمفرل، وهو عسري يؤمن بالمدية والآله، وأنت إنسان تؤمن بالأعياء والفقراء، وبوصاية الأولين على الآخرين وهو اشتراكي يؤمن بالفقراء وإراحة الأغنياء، وأنت ترى الحب وعدم العنف عقيدة، وهو يراها استراتيجية وسياسة.. ومع ذلك فإن جواهر لال هو ابني وخليفتي؟

وكان رأى الهود الوطنيين ، أن نهر هو الاستمرار «الطبيعي» لغاندي. ولكفاح الهند، لقد استطاع الأول أن يوقظ الهند وأن يعمل إلى قلبها وروحها وأن يعيبتها، وأن يسير بملايينها الصغيرة إلى الحرية .

وسوف يكون على «نهر» أن يكمل الطريق ، لقد حرر غاندي «الهند القديمة» الهند

الأم، وعلى نهرو أن يسيء الهند الجديدة الهند العصرية الحديثة لقد جاء عاصدي الحرية وعلى نهرو أن يحقق الاشتراكية..

وكانت الهند بأفئيتها العظمى، لا تلك لحظة هي أن نهرو هو أول المرحلة. ولم يكن هناك من يعرف حدود وأبعاد وتبعات دوره ومهمته مثل «نهرو» نفسه. ولكن الرجل الذي كان دائما يقوله لا يكفي أن تعرف بل يجب أن تجرب وتفضل.. ذهب في منتصف الطريق، عند المحنى الخطر وحسرة تشبه حسرة سلفه وأبيه الروحي! ذات يوم من خلال المعركة الوطنية في الهند، زار جون جنتر المعلق الأمريكي الهند، وكتب يقوله إن أعجب ما أثاره في الهند هو أن الموظفين البريطانيين الذي يحكمون الهند لا يزيبون عن ستمائة، وأن عدد القوات البريطانية التي تخضع الهند لم تزد يوما عن عشرة آلاف وقد استولي لبريطانيون على الهند واستعبدوها، واستقلوها إلى آخر قطرة دم، عن طريق الهنود أنفسهم، وبعد ثورة قامت عام ١٨٥٧، وكانت بحر ثورات الهند القديمة كما سميت، قال نائب الملك في ذلك الحين أنا سنظل في الهند، بقدر ما نستطيع أن نفرق بينها، لقد قامت الإمبراطورية الرومانية سلاح «هرق تسد» وعاشت به، وهكذا يجب أن تكون وأقام البريطانيون بناء «سياسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا.. جلس على قمته سمائه «براهما» بريطاني ولم يحتجوا لمراعاة أكثر من عشرة آلاف جندي بريطاني..

أقام البريطانيون ستمائة عرش، يريد بعضها عن هربس مثل نظام حيدر آباد، أو لا يريد عن قطر مثل «سيكتيز» إحدى لولايات. وخسقوا طبقات من الأقطاعيين «الزمامدار» لتظل الهند زرعية، تورد القطن والجوت والشاي إلى بريطانيا. ويكون البريطانيون جيشا هدي، هو الذي كون الامبراطورية البريطانية في اسيا وافريقيا، واحتمل الصدمات الأولى في الحربين العالميتين، ثم عجز أخيرا عن أن يحمي بلاده «الهند»!

وكون البريطانيون بوليسا هديا كان أقسى على الشعب الهندي.. من أي بريطاني.. وما لم يرتكبه البريطانيون ارتكبه البوليس الهندي، ولا ر ل حكمدار «دلهي» العاصمة هو نفس الرجل الذي كان يقبض على «نهرو» في كل مرة!! ويكون البريطانيون بدور قراصية هدية مشهورة، من أبناء العائلات «العريقة» كانوا يسمونها الحقو الحندي الذي يحكم الهند لا زالت حتى الآن تحكم الهند واعتمد البريطانيون على «الفرقة الكرى» بين الهندوس والمسلمين. وإذا كلما اشعب

الحركة الوطنية وتضامن الهندوس والمسلمون « استيقظ المسلمون في اليوم التالي ليجنوا خنزيراً مذبوحاً وملقى على الحراب، واستيقظ الهندوس ليجدوا رأس بقرة مذبوحة في المعبد، وتتشابك المذابح، ويستريح اليريطانيون لفترة طويلة، وظل المجتمع الهنوكي جاهداً على تقسيماته العتيقة إلى «مراهعا» أي الحكماء و«خانداء» أي المحاربين، و«فاشيا» أي التجار، و«سدراء» أي الصناع و«باريا» أي لخدم، وكل طابق منها «جسم» باللسنة الذي يتلوه.

وتفشيت العرقه بين المسلمين أنفسهم، وانقسموا إلى عشرات من المذاهب والعرقه  
سنيون وشيعه واسماعيلية وقاديانية - ويبهم من لعداء ما يعوق ما بيتهم وبين الهندوس





## الكاتب

### • محمد عردة

- من مواليد ١٩٢٠ -
- عمل لفترة في إذاعة الهند
- كتب في مطبوعات - دار الهلال، روز اليوسف، جريدة الجمهورية منذ تأسيسها
- قام برحلات عدة إلى الهند والصين وكوريا وغيرها من البلدان

### • من أهم مؤلفاته

- الثورة الصينية
- ثورة العراق
- الطريق إلى صنعاء
- ثورة عرابي -
- سبعة ناشأون
- كرومر في مصر
- الملك فاروق
- ميلاد ثورة
- الوعي بالثورة

• بهاء طاهر

- من مواليد القاهرة ١٩٣٥

حصل على ليسانس الآداب قسم التاريخ في جامعة القاهرة عام ١٩٥٦

- عمل مخرجاً للدراما ومقدماً للبرامج ومديعاً في البرامج الثقافية بالإذاعة

المصرية حتى عام ١٩٧٥

عمل بمقر الأمم المتحدة في جنيف منذ ١٩٨١ حتى ١٩٩٥

- كاتب روائي أصدر العديد من الإبداعات القصصية والروائية منها

١ الخطوبة

٢ بالأمس حملت بك

٣ أنا الملك جئت

٤ قالت ضحى

٥ شرق الحويل

٦ الحب في المنفى

٧ واحة الغروب

### للتنشر هي السلسلة ،

- يتقدم الكاتب بنسختين من الكتاب على أن يكون مكتوباً على الكمبيوتر أو الآلة الكاتبة أو بخط واضح مقروء . ويفصل أن يرفق معه أسطوانة ( C.D ) أو ديسك مسجلاً عليه العمل إن أمكن .
- يقدم الكاتب أو المحقق أو المترجم سيرة ذاتية مختصرة تصم ببياناته الشخصية وأعماله المطبوعة
- السلسلة غير ملزمة برد النسخ المقدمة إليها سواء طُبِع الكتاب أم لم يطبع .



## صدر مؤخرًا في سلسلة الإحصاءات الخاصة

- 32- الإسلام والمجدي في مصر      تشارلز آدمس - نقله عباس محمود
- 33- إنشاء منظمة خيرية من أسرار المعارك الشامل (ط ٢)      د. فوزي حماد      د. عادل محمد أحمد
- 34- رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية      د. عمرو شريف
- 35- قصة السويس بقصة شعب      د. محمد الشافعي - محمد يوسف
- 36- العمالة والمجتمع المصري      د. صلاح هاشم
- 37- التفسير العرفي للقرآن الكريم      د. سيد عبد التواب عبد الهادي
- 38- هكذا تكلم بلعيب محفوظ (ط ٢)      عبد العال الحماسي
- 39- دراسات في التاريخ الاجتماعي عصر الخليفة      تأليف جابريل بير
- ترجمة وتقديم د. عبد الحافظ لاشين      عبد الحميد فهمي الجلال
- 40- إحصاء الأصناف      د. عبد السميع عمر راس الدين
- 41- السيد العالي هرم الإرادة المصرية      محمد الشافعي - محمد يوسف
- 42- الشمس للشرق      . . . . .
- القديم      د. مصطفى رجب
- 43- المسرح القديم ..      . . . . .
- 44- عبد الحميد إبراهيم في عيون الأدباء والمفكرين      إعداد وتقديم / مصطفى القاضي
- 45- مسرح الآداب علامات على الطريق      د. عمرو دوازة
- 46- بستان المسرح      فريفة النقاش
- 47- المجددون في الإسلام      عبد المنعم الضعبي
- 48- تاريخ وفلسفة العلم في مصر      د. أحمد عبد الجواد



## من أعضائنا القادحة

- 1- حزب الأمة وفورة في السياسة المصرية ..... د. أحمد زكريا الشكلى
- 2- مطالعات في السياسة والثقافة ..... د. السيد أمين شلى
- 3- التاريخ .. تعليمه وتعلمه ..... د. حكمت أبوزيد
- 4- المجتمع المصرى بين الثابت والتغير ..... د. عبد النعم الجمحى







يقدم هذا الكتاب رؤية المفكر الكبير الراحل/ الباقى، محمد عودة، حول عالم أفضل يسوده العدل والسلام والعطاء. وهو هنا ينطلق من تجربة الهند كنموذج يحتذى به على طريق الديمقراطية السياسية.

والكتاب ليس مجرد تجميع لمقالات كتبها عودة في فترات متباعدة حول أحداث ومواقف شاهدها وشهد عليها، إنما هو يسعى للإجابة على عدة تساؤلات تدور حول حق الشعوب فى حياة أفضل دونما استعباد أو استغلال لهم من قبل تكتلات استعمارية تستنزفهم وتقوض مسيرتهم.

والأستاذ عودة هنا لا يريد أن يركب على الأملال أو أن نتعامل مع كتابه بنوع من الحثين إلى الماضى، بل يريدنا أن نستشرف ونسعى لتحقيق المستقبل الذى حلم به طويلاً، ذلك المستقبل الذى يزخر بالعدل والحرية والكرامة.

